كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر

مباحث قرآنية

دراسة وشرح

أ. د. المتمرس
عبد اللطيف حمودي الطائي

٢٠٢٣م

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر

كلية الكوت الجامعة

٢٢٠ /٧

ط ٢٩٩ الطائي، عبد اللطيف حمودي

مباحث قرآنية / عبد اللطيف حمودي الطائي. - ط١. -

بغداد : مطبعة الرفاه ، ٢٠٢٣م.

١٦٠ ص ؛ ٢٤ سم.

١-القرآن الكريم - دراسات أ- العنوان.

م. و.

٢٧٤٦ /٢٠٢٣

المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٢٧٤٦ لسنة ٢٠٢٣ م

الرقم الدولي: ISBN: 978-9922-685-43-4

ملاحظة

مركز البحوث والدراسات والنشر في كلية الكوت الجامعة غير مسؤول عن الافكار والرؤى التي يتضمنها الكتاب والمسؤول عن ذلك الكاتب او الباحث فقط.

مطبعة الرفاه 07902823204

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَفَوْقَ كلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ }

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

إلى :

سيدي ومولاي ، المبعوثُ بالحقِّ رحمةً للعالمين كافة رسولُ الله الأكرم أبي القاسم مُحَمّدٍ صلى الله عليهِ آلهِ وسلم .

وإلى :

أعلامُ الهُدى آلُ بيت النبي الطيبين الطاهرين الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام .

المقدمة:

القرآنُ الكريم هو دستورُ الإسلام والمسلمين ، وهو الركنُ الأولُ من الشريعة الإسلامية المقدسة ، لذلك تُعدُ مائدتهُ أغنى الموائد ، لِما تقدمه من غذاءٍ روحي ونفسي للإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم ، لذلك شمرتُ عن ساعدي لأغترفَ من منهله الكريم العذب ما استطيع القدرة عليه ، فاغترفتُ من منهله العذب الصافي عدة جواهرٍ ودررٍ ، وجدتُها تتناغم مع ما أفكرُ فيه من موضوعاتٍ ، فكتبتها بحوثاً لتكونَ فصولاً لهذا الكتاب ، فكتبتُ سبعةَ بحوثٍ مثلت فصول الكتاب ، وهي كما يأتي :

الفصل الأول : الذي حمل عنوان (صورةُ الرسول الأعظم كما رسمها القرآن الكريم) وذلك للبركة ، وقد تمثلتْ أدوات رسم الصورة بالآيات الكريمة التي أشارت إلى شخصية الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) .

أما الفصل الثاني : فقد الذي حمل عنوان (كبائر الذنوب كما حددها القرآن الكريم) وذلك من خلال ما حددهُ الإمام أبي عبدالله جعفرٍ الصادق (عليه السلام) ، فقد حددها الإمام الصادق بشكلٍ مختصرٍ ، فقمتُ بدراستها من خلال الآياتِ القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، الي أشارت إليها ، وما يترتب عليها من عقوباتٍ ربانية .

فيما تكفل الفصل الثالث : والذي حمل عنوان (العقوبةُ القرآنية منهجٌ تربويٌ لإصلاحِ الفرد والمجتمع) ، ودرستُ في هذا الفصل عقوبات الحدود ، وذكرتُ الآيات التي نصّت عليها ، وهي عقوباتٌ ربانية حددها الخالق عزَّ وجل في القرآن الكريم ، وهي ليست عقوبات وضعية من صناعة الإنسان .

أما الفصل الرابع : والذي حمل عنوان (الصيحةُ في القرآن الكريم) وهي عقوبة ربانية طالتْ الأمم السالفة التي سبقت الإسلام، فوقفتُ على الآيات التي ذكرتها مع ذكر آيات العقوبات المصاحبة لها ، فدرست عددها والأمم التي طالتها تلك العقوبات ، كما وقفت على أنواعها وأوقاتها .

وتكفل الفصل الخامس : والذي حمل عنوان(الصاعقةُ في القرآن الكريم) وهي عقوبةٌ طالتْ الأمم التي سبقت الإسلام ، وهذا الفصل نظيرٌ للفصل الخامس ، وكذلك وقفت على عددها وأنواع العقوبات المصاحبة لها .

وأما الفصل السادس : والذي حمل عنوان (الخطبة النبوية الشريفة امتداد للقرآن الكريم) ، الخطابة أعلى فنون القول البشري مرتبةً ودرجةً ، وقد اتخذها الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) مَرْكَباً لإيصال رسالته إلى الناس كافة ، لذلك ارتضى الله سبحانه وتعالى للنبي أنْ يكون خطيباً ولا يكون شاعراً ، لذا تكفل هذا الفصل بدراسة خطبة قصيرة للرسول الكريم مُحَمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتم دراستها وشرحها من خلال آيات القرآن الكريم .

وأما الفصل السابع : والذي حمل عنوان (الأفكار الحنيفية في القرآن الكريم) ، فقد تكفل هذا الفصل بدراسة العقائد والأفكار التي كانت سائدة عند عددٍ من شعراء الجاهلية الذين ماتوا قبل الإسلام ، وجاءت متطابقة ومتعالقة مع القرآن الكريم ، وكان التعالق أما بالمعنى ، أو باللفظ والمعنى .

وفي الختام أرجو أنْ أكون قد وفقتُ في دراسة الفصول ، وتقديم المعاني المطلوبة منها ، وقد بذلتُ جهوداً كبيرة لتحقيق الهدف المنشود ، فإنْ أصبتُ في مسعاي فبفضلٍ من الله وتوفيقه ، وإنْ جانبتُ الصواب ، فذلك من تلقاء نفسي الخاطئة ، ربنا لا تزغ

قلوبنا بعد إذْ هديتنا .... وآخرُ دعوانا إنْ الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أكرم الأنبياء والمرسلين مُحَمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين الكرام وسلم تسليماً كثيراً .

أ.د.عبداللطيف حمودي الطائي

رجب / ١٤٤٥ هجرية

الفصلُ الأول

صورةُ الرسولِ الأعظمِ
كما رسمها القرآنِ الكريمِ

صورةُ الرسولِ الأعظمِ كما رسمها القرآنِ الكريمِ

أرسلَ اللهُ سبحانه وتعالى عدداً كبيراً من الأنبياء والرسل إلى الناس ، منذ أنْ خلق آدم (عليه السلام) إلى أنْ ختمهم بالرسول الأعظم مُحمَّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ فقد بلغ عدد الأنبياء والمرسلين قرابة المائة وأربعة وعشرين ألفَ نبيٍّ ورسولٍ ، وقد اختلفت مراتب هؤلاء المرسلين بين نبي ورسول ، ونبي رسول ، ومنهم من كان مرسلاً إلى قرية صغيرة ، ومنهم من كان مرسلاً إلى أكثر من ذلك ، وقد يكون هناك أكثر من نبيٍ واحدٍ في آنٍ واحدٍ ، وفي مناطق متعددة ، ومنهم من كان رسولاً ، ومنهم من كان نبياً رسولاً ، ومنهم من أرسل إلى الناس كافة ، وكلُّ هؤلاء الأنبياء والمرسلين على مراتب متفاوتة في الدرجات ، وقد أكد اللهُ سبحانه وتعالى ذلك في محكم كتابه المبين (١) : **{ تلكَ الرسلُ فضلنا بعضُهم على بعضٍ منهم من كلمَ اللهَ ورفعَ بعضهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ }** ؛ فالله سبحانه وتعالى جعلهم مراتب ، بعضهم أفضلُ من بعضٍ ، وأعلى درجةً ، ولكن يبقى الأنبياءُ الرسلُ أصحاب الرسالات العامة ، هم أعلى الأنبياءِ مرتبةً ؛ فقد قال الإمام أبو عبدالله الصادق (عليه السلام) (٢) : (الأنبياءُ والمرسلون على أربعِ طبقاتِ : فنبيٌ مُنبأ في نفسهِ لا يعدو غيرها ، ونبيٌ يرى في النومِ ويسمعُ الصوتَ ولا يعاينهُ في اليقظة ، ونبيٌ يرى في منامه ولم يبعث إلى أحد وعليه إمامٌ مثل ما كان إبراهيم على لوط (عليهما السلام) ، ونبيٌ يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد

أرسل إلى طائفة قلوا أو كثروا كيونس ، قال الله تعالى عن يونس(٣): **{وأرسلناه إلى مائة ألفٍ أو يزيدون}** قال : يزيدون ثلاثين ألفاً وعليه إمام ، والذي يرى في نومه ويسمعُ الصوتَ ويعاين في اليقظة وهو إمامٌ مثل أُولي العزم ، وكان إبراهيم (عليه السلام) نبياً وليس بإمامٍ حتى قال الله (٤) : **{ إني جاعلُكَ للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينالُ عهدي الظالمين }** ، أي أنَّ منْ عبدَ صنماً أو وثناً لا يصلح أنْ يكون إماماً ، فالأنبياء أولي العزم هم الصفوة المختارة من الأنبياء المرسلين ، فنبي الله نوح عليه السلام ، هو أبو البشر الثاني بعد النبي آدم عليه السلام ومعجزته السفينة والطوفان ، والنبي إبراهيم وهو خليل الرحمن ومعجزته أنْ جعل الله النار عليه برداً وسلاما بعد أنْ جردها من خاصية الإحراق ، والنبي موسى بن عمران كان رسولاً نبياً ، وهو الكليم وصاحب التوراة ومعجزته العصا ، وهو النبي الذي ليس بينه وبين الله وسيط من الملائكة ، والمسيحُ عيسى بن مريم كان نبياً رسولاً ، وهو روح الله ، وقد جعله معجزة للخلق فقد وُلِدَ من أمٍ بلا أب ، وتكلم في المهد وهو ابنُ لحظاتٍ ، وأنزل عليه الإنجيل ، ومعجزته الطب ، يبرأ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ، وعلى الرغم من كلَّ هذه المعجزات التي خصَّ الله سبحانه وتعالى بها الأنبياء المرسلين من أُولي العزم ، إلا أنَّهُ اختار محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكون نبياً رسولاً وخاتماً للأنبياء والمرسلين كافة وسيدهم وختم بدينه كل الديانات والشرائع السماوية ، وجعل

الإسلام مسك ختامٍ الأديان ، وهو الدين الوحيد الذي انماز عن غيره من الأديان ، بأنه الدين التام الكامل الذي لا يعتريه النقص ؛ فقد قال عزَّ من قائل (٥) : **{ اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً }** وقال (٦) : **{ومن يبتغي غيرَ الإسلامِ ديناً فلنْ يقبلَ منهُ وهو في الآخرةِ من الخاسرين}** وهذه الخاصية لم يمنحها الله لنبي ولا لدين قبل النبي مُحمّد (عليه الصلاة والسلام) ، فإذا كان الدين بهذه المرتبة الرفيعة ؛ فما بالك بالنبي الذي تحمل مشقة نشر هذا الدين ، فالمنطق والعقل يقولان : يجب أنْ يكون بمستوى الدين الذي أرسل به ، ولم يكن هنالك على وجه الكون في السموات ، ولا في الأرض شخصاً مؤهلاً لهذه المهمة غير سيد الكونين النبي الأعظم مُحمّد (صلى الله عليه وسلم) ، فمن هو النبي مُحمّد ؟ فهل بالإمكان رؤيته بالعين المجردة في عصرنا الحالي ؟ طبعا لا ، ولكن يمكننا رؤيته في يوم المحشر حينما يقف شفيعا لنا ، ومنقذاً من النار ، ولكن من جانب آخر منَّ اللهُ سبحانه وتعالى علينا بصورة فكرية لنبيه الكريم في القران الكريم يراها المسلمون بعين البصرة بقلوبهم في عصورهم كافة ، ومع ذلك فهناك صورةٌ وصفيةٌ رسمها الإمام أبو جعفرٍ الباقر (عليه السلام) لجده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أنْ أجاب على سؤالٍ لجابر بن عبدالله الأنصاري حينما قال له : صف لي نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأجاب (٧) : (كان نبيُّ الله أبيض مُشربٍ حُمرة ؛ أدعج العينين ؛ مقرون الحاجبين ؛ شتن الأطراف ؛

كأنَّ الذّهبَ أُفرغ على براثنه ؛ عظيمُ مُشاشةِ المنكبين ؛ إذا التفت يلتفتُ جميعاً من شدة استرساله ؛ سائلةٌ من لبته إلى سرته كأنَّها وسطُ الفضة المصفاة ؛ وكأنَّ عنقه إلى كاهله إبريق فضة ؛ يكاد أنفهُ إذا شرب أنْ يرد الماء ؛ وإذا مشى تكفأ كأنـَّهُ ينزلُ في صببٍ ؛ لم يُرَ مثل نبيُّ الله قبلهُ ولا بعدهُ) ، علماً أنَّ جابر ابن عبدالله الأنصاري صحابيٌّ جليل رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصحبه وسمع منه ، وإنْ شاء الله سأقدم في هذا البحث صورة للرسول الكريم مُحَمّد مرسومة بآيات القرآن الكريم ، فالله سبحانه وتعالى حينما خلق الخلق ، جعل حظوظهم متفاوتة من حيث البنية الجسمانية ، والتركيبة الفكرية ، بين قوةٍ وضعفٍ ، وزيادةٍ ونقصانٍ، ولم يخلق الله سبحانه وتعالى مخلوقاً بشرياً كاملاً خلواً من النقص إلا النبي مُحمّد (عليه الصلاة والسلام) ؛ ذلك لأنَّ الله كتب الكمال لذاته المقدسة ، ثم منح الكمال لسيد الكونين أبي القاسم مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد خلقه كاملاً خلواً من النقص ، مبرئاً من العيوب ، وجعله أفضل من مشى على ساقٍ وقدمٍ ، وبعد أن بعثه بالنبوة ؛ مدحه ونعته بالعظمة – علماً أنَّ الله جلتْ قدرته لم يمدح مخلوقاً من خلقه غير الرسول الكريم– وذلك في قوله تعالى(٨) : **{وإنَّكَ لعلى خُلقٍ عظيمٍ}** ؛ وذلك لاجتماع مكارم الأخلاق في شخصه الكريم ؛ ويعضد هذه الآية ويؤازها قول النبي نفسه حينما قال (٩): ((إنـَّما بعثتُ لأتممَ مكارمَ الأخلاقِ))؛ وعن مكارم الأخلاق قال الإمام أبو عبدالله الصادق (عليه السلام) هي

عشرة(١٠): (اليقين، والقناعة ، والصبر ، والشكر ، والحلم ، وحُسن الخُلق ، والسخاء ، والغيرة ، والشجاعة ، والمروءة) ، وروى بعضهم بعد الخصال العشرة زيادة هي : الصدق ، وأداء الأمانة ، فضلاً عن أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أشار إلى أنَّ الله جلت قدرته ، هو الذي تولى زمام تأديبه وتقويم شخصيته الكريمة في قوله (١١) : ((أدبني ربي فأحسن تأديبي)) ، وروي عن السيدة عائشة أنها قالت(١٢) : (كان خُلق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما تضمنته العشر الأول من سورة المؤمنين) ، فمن مدحه الله سبحانه بأنَّهُ على خلق عظيم ، فليس وراء مدح الله مدح (١٣) .

وقد أسبغ الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم محبة الناس فألقاها في قلوبهم ، فكانت قلوبهم تهفوا إليه ، وأنَّ الله أمر المؤمنين بمحبة النبي بعد أنْ قرنها بمحبته ، على أن يحبوا الله ورسوله أكثر مما يحبون أنفسهم وأولادهم وأهليهم وعشيرتهم وأموالهم فقال عزَّ من قائل : (١٤) **{ قل إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبُ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين }** ، نلحظ في هذه الآية الكريمة أنَّ الله قرن اسم رسوله باسمه تكريماً وتعظيماً له؛ وقد ورد هذا الاقتران في آيات كريمات كثيرة ، ومنطلقاً من هذه المحبة واقترانها بمحبة الله فقد خاطب الله جلَّ وعلا المسلمين كافة بأنْ يتخذوا من الرسول الكريم قدوةً مثاليةً لتكون لهم منهج

علمٍ وعملٍ وعبادةٍ ، فقال (١٥) : **{ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو اللهَ واليومَ الآخرَ وذكر الله كثيراً }** ، فالأسوة هي القدوة الصالحة لمن يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله في الدنيا والآخرة .

فقد كرم الله نبيه الكريم وأهل بيته الكرام من الأدناس والأرجاس في قوله تعالى (١٦) : **{ إنـَّما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكم الرجسَ أهلِ البيتِ ويطهركم تطهيرا }** فالبيت المعني بهذه الآية الكريمة هو بيت النبوة والرسالة ، والعرب تسمي ما يلتجأ الإنسان إليه بيتاً ، ولهذا سموا الأنساب بيوتاً (١٧) ، وأهل البيت هم : مُحمّدٌ وعليٌ وفاطمةٌ والحَسن والحُسين عليهم السلام كما روت السيدتان عائشة وأم سلمة ؛ وأضافت السيدة أم سلمة قائلة (١٨) : (كان النبي في بيتها ؛ فأتته فاطمة (عليها السلام) ببُرمة فيها حريرة ؛ فقال لها: أدعي زوجك وابنيك ... ثم قالت : فأنزل الله تعالى **{إنـَّما يريد الله...}** ؛ قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرجَ يدهُ ، فألوى يده بها إلى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي ، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فأدخلت رأسي البيت ، وقلت : وأنا معكم يا رسول الله ؛ قال : إنك إلى خير ، إنك إلى خير) ، وأيد هذه الرواية أبو سعيد الخدري ، وعلق الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان قائلا (١٩) : في هذه الآية (ثبوت عصمة المعنيين من جميع القبائح ، وقد علمنا أنَّ من عدا من ذكرناه من أهل البيت غير مقطوعٍ على عصمته ؛ فثبت أنَّ الآية مختصة بهم لبطلان تعلقها

بغيرهم ؛ ومتى قيل : إنَّ صدر الآية وما بعدها في الأزواج ؛ فالقول فيه أنَّ هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم ؛ فأنـَّهم يذهبون في الخطاب إلى غيره ويعودون إليه والقرآن مملوء بذلك ، وكذلك كلام العرب وأشعارهم) ، ومن هذا المنطلق كانت آية المباهلة فيهم ، وآية المودة لهم ، ولم يخاطب الله أحداً من أنبيائه ورسله بهذا الخطاب الذي كان مخصوصاً لرسوله الكريم محمد وأهل بيته الكرام ، وكما طهر الله سبحانه وتعالى سريرة نبيه الكريم وسرائر آل بيته الكرام ؛ فقد سبق وأنْ أمر الله الرسول العظيم بتطهير ملابسه في قوله تعالى (٢٠) : **{ يا أيها المدثر ۞ قم فأنذر ۞ وربك فكبر ۞ وثيابك فطهر}** ولا يعني ذلك أنَّ ملابس الرسول غير طاهرة ، بل المقصود بتطهير الملابس هو تبدل العصر ، إذ أنَّ ملابس الجاهلية تعد من الأرجاس والأدناس والمدلهمات ، وقد أكدت هذا المعنى زيارةُ وارثٍ المخصوصة لأبي الأحرار وسيد الشـهداء الإمام الحُسـين عليه أفضل الصلاة والسـلام) في الفقرة (٢١) : (أشهدُ أنَّكَ كنتَ نوراً في الأصلابِ الشامخةِ ؛ والأرحامِ المطهرةِ ، لم تنجسكَ الجاهليةُ بأنجاسها ، ولم تلبسكَ من مدلهماتِ ثيابها) ، فاجتمعت له طهارة الروح مع طهارة العصر.

ومن الصفات الأخرى التي تميز بها النبي الكريم (عليه الصلاة والسلام) على غيره من الأنبياء والرسل أنَّهُ كان أرأف الخلق بالمؤمنين مع الشدة والغلظة على المشركين وذلك في قوله

تعالى (٢٢) : **{ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ }** ؛ أي أنَّ الرسول كان أحرص الناس على المؤمنين أكثر من حرصهم على أنفسهم في عدم إلحاق الضرر بهم من خلال عدم الإيمان ، وكان شديد الرحمة بالمطيعين رحيماً بالمذنبين ، ولم يجمع الله لنبي من الأنبياء صفتين من صفاته إلا للرسول الكريم مُحمَد ، والصفتان هما ((رؤوف رحيم)) وهما من صفات الله أكدهما لذاته المقدسة في قوله تعالى(٢٣) : **{ إنَّ الله بالناس لرؤوف رحيم }** ؛ وقد أكد الله سبحانه وتعالى ذلك لنبيه الكريم في قوله (٢٤) : **{ فبما رحمةٍ من اللهِ لنتَ لهم ولو كنتَ فظاً غليظَ القلبِ لانفضوا من حولكَ فأعفُ عنهم واستغفرْ لهم وشاورهم في الأمرِ فإذا عزمتَ فتوكلْ على اللهِ إنَّ اللهَ يحبُ المتوكلين }** ؛ أي أنَّ النبي كان يمتلك قلبا رقيقا رحيما طيباً برحمة من الله فقد جعله سمح الأخلاق ، ولم يكن قاسي القلب ولا ذو طبع جافٍ ؛ ولو كان كذلك لأنفض الناس عنه وتركوه ؛ ومع حسن السلوك والمعاملة الطيبة مع غير المؤمنين ، إلا أنَّ الله أمره أن يتجاوز عن أخطائهم ويعفو عن ذنوبهم ، بل ويستغفر لهم لعل الله يهديهم ، وكذلك اشراكهم بالأمر من خلال المشاورة لمعرفة ما عندهم ، وما يضمرون لتطييب نفوسهم وتأليف قلوبهم ، وإذا أردت أنْ تتخذ القرار النهائي فتوكل على الله ، ونفذ ما عزمت عليه ، ذلك لأنَّ الله يحب الواثقين به ، والمعتمدين عليه ، والمنقطعين إليه ، وهذه الآية الكريمة تؤكد أنَّ نبينا أحوطُ الخلق

بمكارم الأخلاق ، ومحاسن الأفعال ، فقد كان النبي عليه الصلاة أجمع الناس لدواعي الترفع ، ثم كان أدناهم إلى التواضع ، (٢٥) ، وقد أجاد الشاعر أنس بن زُنيم الأنصاري في مدحه لرسول الله فقال (٢٦) :

فما حملتْ من ناقةٍ فوقَ ظهرِها أبــرُ وأوفــى ذمـةً مـن مُحمّــدِ

وهذا القلب الرقيق الشفاف الذي كان يحمله النبي مُحمّد هو السبب في إلتفاف المسلمين حوله وتمسكهم به ، فقد قال الشيخ جلال الحنفي (٢٧) : (من الخصائص الأخلاقية العالية التي اتصف بها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) منها أنـَّهُ كان هيناً ليناً للناس على اختلاف مشاربهم وسلوكياتهم) ، كما كان رسول الله هو الرحمة الإلهية المهداة للعالمين كافة بمختلف أعراقهم وألوانهم، بغض النظر عن كونهم مسلمين أم غير مسلمين فكان (عليه الصلاة السلام) هو الرحمة الآلهية التي جاءت لتنقذ البشرية من الضلالة وتخرجها من الظلمات إلى النور، وذلك في قوله تعالى (٢٨) : **{وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين }** هذه الآية الكريمة تمثل خطاباً مباشراً لشخص الرسول الكريم ((مُحمّد)) فقال ابن عباس في تفسير هذه الآية الكريمة النبي (٢٩) : (رحمة للبر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، فهو رحمة للمؤمن في الدنيا والآخرة ، ورحمة للكافر في الدنيا بأنْ عُوفِيَّ مما أصاب الأمم من الخسف والمسخ) ، ورويّ أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لجبريل (عليه السلام) لما جاءه

بهذه الآية الكريمة (٣٠) : (هل أصابك من هذه الرحمة شيء) ؛ قال: نعم ، إني كنت أخشى عاقبة الأمر ، فآمنت بك لما أثنى الله عليَّ بقوله (٣١) : **{ ذي قوةٍ عند ذي العرش مكين }** أضف إلى ذلك ما أكده رب العزّة في قوله (٣٢) : **{ محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم تراهم رُكعاً سُجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهُم في وجوههم من أثر السجود}** ؛ هذا في مجال العلاقات الشخصية والاجتماعية ؛ فالرجال المؤمنون الذين كانوا بمعية الرسول هم من خُلص المؤمنين في صيغة مبالغة في حالتي الركوع والسجود حتى بان الأثر في جباههم من كثرة الصلاة ، وهم فيما بينهم متوادين متراحمين وكأنَّهم شخصٌ واحدٌ ؛ وفي الوقت نفسه هم يدٌ حديدية واحدة قوية تطرق رؤوس المشركين ، وهدفهم هو مرضاة الله ورسوله والحصول على حسن العاقبة .

كل الأنبياء بلا استثناء كانوا هداةً يهدون الناس إلى الصراط المستقيم بدعوة صريحة ، ولكن النبي مُحمّد (عليه الصلاة والسلام) كانت الطريقة التي اختصه الله سبحانه وتعالى بها أبين وأوضح فقد وصف رسوله الكريم بالنور فقال (٣٣) : **{ قد جاءكم من اللهِ نورٌ وكتابٌ مبين ۝ يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم }** فالنورُ هو النبي مُحمّد (عليه الصلاة والسلام) والكتاب المبين هو القرآن الكريم ، والهداية ستكون بنورِ مُحمّدٍ لأنَّهُ هو

الضوءُ الذي سيزيح الظلام ، ويجعل الطريق واضحاً بيّناً أمام الناس ، ولا يكون ذلك إلا لمن أمن بالله ، وصدّقَ الرسول بما جاء به من عند الله ، والظلمات هنا كناية عن الحيرة والكفر والشرك والظلالة ، فيما يكون النور هو الإيمان واليقين والنجاة من النار ، بعد أن دلهم على طريق الجنة وأبعدهم عن طريق النار (٣٤) .

كما كان رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) بشيراً ونذيراً للإنسانية جمعاء ، جاء ليبشرهم بما عند الله من نعيمٍ لعباده المؤمنين ، وينذرهم من هوى أنفسهم التي قد تقودهم إلى منزلقِ الطريق فتهوى بهم قدمٌ في جهنم وبئس المصير ، فقال الحق سبحانه وتعالى (٣٥) : **{ يا أيها النبي إنا أرسناك بالحق بشيراً ونذيراً ۞ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً }** الخطاب هنا مباشرٌ للنبي الكريم حصراً ، لإعلامه بأنـَّهُ هو الشاهد يوم القيامة على هؤلاء القوم المرسل إليهم ((أمته)) فيما يفعلون من طاعاتٍ ومعاصٍ ؛ أو إيمانٍ وكفرٍ ؛ وفي الوقت عينهُ هو البشير والنذير في آنٍ واحدٍ ؛ فضلاً عن كونك أنت الذي تدعوهم إلى طاعة الله والإقرار بوحدانيته بأنْ لا شريك له ، وأنَّك أنتَ نورُ الله الذي سيخرجهم من ظلماتِ الظلالة إلى نور الهداية إنْ أطاعوا الله وأطاعوك (٣٦) .

ومن الصفات الأخلاقية العظيمة لرسول الله هي الطاعة المطلقة لله والتي لا حدودَ لها ولا قيد ، حتى قرنها الله سبحانه

وتعالى بطاعته وعدَّها جزءاً لا يتجزأ منها فقال (٣٧) : **{ من يطعْ الرسولَ فقد أطاعَ الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً }** وهذا الطاعة فرضٌ على كل مسلم ، وعليه أنْ يطبقهُ ، بطاعةٍ لا معصية فيها ، ولا تشوبها شائبة ، ومن لم يطع الرسول يكون في عداد العاصين المتمردين على التعاليم القرآنية ، والله يقول للنبي أنك لست مسؤولاً عن طاعتهم ، وفي مقابل الطاعة هناك العصيان، فقال تعالى (٣٨) : **{ومن يعصِ الله ورسوله فإنَّ له جهنم خالدين فيها أبدا}** ، والمعصية هي بالتضاد من الطاعة ، فالذي يعصي الله ورسوله سيخلدُ مُهاناً في نارِ جهنمَ ما دامت الجنة والنار، وإلحاق الأذى برسول الله هو نوع من التمرد والعصيان على الله ، فأولئك العصاة المتمردون لهم حساب عسير ، وعذاب أليم ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى مثلما قرن طاعة الرسول بطاعته ، فقد قرن إلحاق الأذى بالرسول به فقال (٣٩) : **{ إنَّ الذين يؤذون اللهَ ورسولَهُ لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً }** واللعن هو الإبعاد عن رحمة الله ، فلن تنالهم الرحمة ، لا في الدنيا، ولا في الآخرة ، فضلاً عما ينتظرهم من عذاب يخزيهم ، ويكون ملازماً لهم أبداً ، ثم قال عزَّ من قائل (٤٠) : **{ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم }** أي أنَّ من تسول له نفسه المريضة وضميره الميت إلحاق الأذى برسول الله ، سيعذبه الله يوم القيامة عذاباً أليماً لن يعذب أحداً بمثله ، كما قال الله سبحانه وتعالى(٤١) : **{ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أنْ**

يؤذنَ لكم إلى طعامٍ غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستئنسين لحديثٍ إنَّ ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم إنَّ تؤذوا رسول الله ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إنَّ ذلكم كان عند الله عظيما}، نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين من دخول بيوت النبي قبل حصول الإذن منه ، وإذا دعاكم الرسول إلى طعام فاستجيبوا لطلبه، ومن بعد الإطعام مباشرة أخرجوا ، ولا تبقوا جالسين تتسامرون بالحديث فيما بينكم ، والمقصود ببيوت النبي هو حجرات أزواجه ، والنبي الكريم كان على حياءٍ كبيرٍ يمنعه من الطلب من ضيوفه الإنصراف ، ويخلوا البيوت لأزواجه ، لذلك كان يتأذى من ذلك المنظر ويضمره في نفسه الشريفة ، ولا يبوح به احترماً وتقديراً لهم ، وقد أشفق الله على نبيه الكريم ، وهو يراه متضايقاً من ذلك الجلوس ، فأنزل أمره وحياً يأمرهم بالانصراف مباشرة بعد الانتهاء من تناول الطعام ، فإذا كان رسول الله يمنعه الحياء من طلب الإنصراف ، فالله لا يستحي من الحقِّ ، فضلاً عن حديث بعض الصحابة من ذوي النفوس المريضة والضمائر الميتة، كانوا يتهامسون فيما بينهم أنـَّهُ عندما يتوفى الله النبي سيتزوجون من نسائه ، وكان هذا أشدُ إيلاماً لرسول الله ، لذلك حرَمَ الله الزواج من نساء النبي تحريماً مطلقاً ، وعدهن أمهاتٌ للمؤمنين ، والمؤمنُ مُحرمٌ عليه الزواج من أمه ، وجعل تلك الحرمة أبدية ، وفي هذا

الصدد روت السيدة عائشة (٤٢) : (كان النبي يتأذى من الثقلاء الذين لم يحتمل جلوسهم الطويل) ، أي أنَّ النبيَ لا يتحمل سماع أحاديث هؤلاء الضيوف الثقلاء على قلبه الشريف ، وإيذاء الرسول يعدُّ ذنباً عظيماً عند الله (٤٣) فمن هذا المنطلق على المسلم ألا يكون ضيفاً ثقيلاً على صاحب البيت فيؤذيه ويؤذي عياله لأسباب مختلفة لسنا بصدد تفصيلها .

أما خُلق النبي العظيم في الصبر فلا حدَّ له ، ولا ميزان ، وعلينا أنْ نعرف أنَّ الصبر ليس قوة التحمل في مواجهة الشدائد الصعاب فحسب ، بل هو قدرةٌ على التحمل بلا شكوى ، وقد أكد هذا المعنى الإمام أبو عبدالله الصادق (عليه السلام) في قوله (٤٤) : (الصبرُ الجميل ليس فيه شكوى إلى الناس)، فقد وصف النبي (عليه الصلاة والسلام) الصبر فقال (٤٥) : (الصبر من الإيمان ، كالرأس من الجسد) وهذا يعني أنّهُ لا إيمان من لا صبر له ، وكان رسول الله في هذا المجال خيرُ مثالٍ للمسلمين ، فضلاً عن الصبر هو مفتاح الفرج ، أي أنَّ الله يسهلُ الأمور به بعد اشتدادها من خلال الصبر وقديماً قالوا : ((يا أزمة اشتدي تنفرجي)) ، فالمسلم عليه أنْ يكون صبوراً على الظلم والجور حفاظاً على دينه وعقيدته، إنْ لم يستطع دفع الظلم والجور ، والأنبياء هم أعلى الناس درجة في الصبر وتحمل كل أنواع الأذى ولاسيما أُولي العزم منهم ، وكان الرسول الأعظم أعظمهم صبراً وأكثرهم تحملاً للأذى حتى قال (٤٦) : (ما أُوذيت في الله) ، فأجابه عزَّ وجلَّ

(٤٧) : **{ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل }** ، وهي دعوة تشجيعية للرسول لمواصلة تحمل مرارة الصبر وثقل أعبائه في سبيل إيصال الإسلام إلى الناس ومن ثم إيصالهم إلى الإيمان والجنة.

خاتمة البحث

وفي ختام أقولُ : هذا قبسٌ من الخُلق العظيم للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبعد أنْ قدم لنا الإمام أبو جعفرٍ الباقر (عليه السلام) صورة وصفية لرسول الله ، بوصفٍ رائعٍ ؛ قلبَ السمعَ بصراً ؛ وقبل ذلك أعطانا القرآن الكريم صورة فكرية فاقت التصور الإنساني لخُلق النبي الخاتم ، أقول لقد وقفت أمامها مبهوراً، متأملاً ومتدبراً ، ذلك الخلق العظيم الذي ليس له مثيل ، أقول لعلَّ الله وفقني في قطف قبس من تلك الأخلاق الكريمة ، فأقدمه للقراء الكرام ، عسى أنْ ينال رضا الله ورسوله الكريم ، ومن ثم رضا القراء الكرام ، ولا يسعني في هذا المقام إلا أنْ أصلي على المبعوث رحمة للعالمين نبينا وقدوتنا محمد وآله الطيبين الطاهرين الكرام ، وأختم بحثي بما قال حسان بن ثابت الأنصاري (٤٨) :

وأحســـنُ منكَ لم ترَ قطُّ عيني وأجملُ منكَ لم تلدِ النســاءُ

خُـلقتَ مُـبرءاً مـن كـلِّ عـيبٍ كأنَّكَ قدْ خُـلقتَ كما تشاءُ

الهوامش :

١- سور البقرة الآية : ٢٥٣

٢- الكافي : ١/ ١٩٥ ـ ١٩٦

٣- سورة الصافات الآية : ١٤٧

٤- سورة البقرة الآية : ١٢٤

٥- سورة المائدة الآية : ٣

٦- سورة آل عمران الآية : ٨٥

٧- أصول الكافي : ١/ ٥٠٤

٨- سورة القلم الآية : ٤

٩- سنن البيهقي : ١٩١/١٠ رقم الحديث : ٢١٣٠١

١٠- أصول الكافي : ٨٣/٢

١١- الجامع الصغير : ٥٢/١ رقم الحديث : ٣١٠

١٢- مجمع البيان : ١٠ / ٦٧

١٣- المصدر نفسه والصفحة نفسها .

١٤- سورة التوبة الآية : ٢٤

١٥- سورة الأحزاب الآية : ٢١

١٦- سورة الأحزاب الآية :٣٣

١٧- ينظر مجمع البيان : ٨/ ١١٨ ـ ١١٩

١٨- المجمع البيان : ١١٩/٨

١٩- المصدر نفسه : ٨/ ١٢٠

٢٠- سورة المدثر الآيات : ١ ـ ٤

٢١- مفاتيح الجنان : ٤٦٣

٢٢- سورة التوبة الآية : ١٢٨

٢٣- سورة الحج الآية : ٦٥

٢٤- سورة آل عمرانه الآية : ١٥٩

٢٥- ينظر مجمع البيان : ١٥٩/٢

٢٦- خزانة الأدب : ٤٧٤/٦

٢٧- شخصية الرسول الأعظم قُرآنياً : ٧٩

٢٨- سورة الأنبياء الآية : ١٠٧

٢٩- مجمع البيان : ٩٥/٧

٣٠- مجمع البيان : ٩٥/٧ ـ ٩٦

٣١- سورة التكوير الآية : ٢٠

٣٢- سورة الفتح الآية : ٢٩

٣٣- سورة المائدة الآيتان : ١٥ ـ ١٦

٣٤- ينظر مجمع البيان : ٤/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩

٣٥- سورة الأحزاب الآيتان : ٤٥ ـ ٤٦ ، وينظر سورة الأنبياء الآية : ١٠٧ وسورة الفرقان الآية : ٥٦ وسورة الفتح الآية : ٨

٣٦- ينظر مجمع البيان : ٨ / ١٢٨

٣٧- سورة النساء الآية : ٨٠ ؛ وينظر سورة آل عمران الآيات : ٣٢ ؛ ١٣١-١٣٢ ؛ ١٧٢ ، وسورة النساء الآيات : ١٣-١٤ ؛ ٥٩ ؛ ٦١ ؛ ٦٩ ؛ ١٠٠ ؛ ١٣٦ ، وسورة المائدة الآية : ٩٢ ، وسورة النور الآية : ٥٤

٣٨- سورة الجن الآية : ٢٣

٣٩- سورة الأحزاب الآية : ٥٧

٤٠- سور التوبة الآية : ٦١ذ

٤١- سورة الأحزاب الآية : ٥٣

٤٢- مجمع البيان : ٨ / ١٣٤

٤٣- المصدر السابق نفسه : ١٣٥/٨

٤٤- أصول الكافي : ٢ / ١٢١

٤٥- أصول الكافي : ٢/ ١١٦

٤٦- الجامع الصغير : ٤٨٧/٣ رقم الحديث : ٧٨٥٣

٤٧- سورة المعارج الآية : ٥

٤٨- شرح ديوان حسان : ٦٦

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أصول الكافي – تأليف المُحدث الخبير ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني الرازي ، دار الأسرة للطباعة والنشر ، ط ٦ ، طهران .
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير - للسيوطي (ت٩١١هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - عبدالقادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، القاهرة .
- السنن الكبرى – لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، دائرة المعارف النظامية ، الهند ، حيدر آباد .
- شخصية الرسول الأعظم قرآنياً – تأليف الشيخ جلال الحنفي البغدادي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، بغداد .

- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري – ضبط الديوان وصححه عبدالرحمن البرقوقي ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، (د. ت) .
- مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم – للإمام الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن ابن الفضل الطبرسي ، من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس الهجري ، وضع حواشيه وخرج آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، بيروت .
- مفاتيح الجنان- للشيخ عباس القمي ، دار المتقين ، لبنان ، بيروت، (د.ت) .

الفصل الثانـي

كبائر الذنوب كما حددها القرآن الكريم

كبائرُ الذِّنوبِ كَمّا حددها القُرْآنُ الكَرِيمِ

الـذّنوبُ هـي المعاصـي والموبقـات التـي يرتكبهـا الإنسـان فـي الحياة الدُنيا ؛ وهي من الأعمال التـي لا يرتضـيها الله سبحانه وتعـالى للعبد المؤمن الصالح ؛ والذّنوبُ نوعان ؛ منها ذّنوبٌ صـغيرةٌ التـي لا تضرُ إلا من يرتكبها ؛ وبإمكان العبد المؤمن التخلص منها من خـلال التوبـة والاستغفار وعدم العودة إليها ؛ والصنف الثـاني من الذّنوب التي يسبب ارتكابها ضرراً في المجتمع ؛ وتـؤول نتائجها إلـى الفسـاد الـذي هـو بالضـد مـن الصـلاح الـذي يـؤمر بـه الله سبحانه وتعـالى ؛ وعقوبـة هـذه الـذّنوب أكبـر بكثيـر مـن عقوبـات الـذّنوب الأُخـرى ؛ وسـتكون هـذه الدراسـة مسـلطة علـى الصـنف الثـاني مـن الـذّنوب والمسماة بكبـائر الـذّنوب ؛ ولنقف أولا علـى جذر كلمـة الـذّنوب كمـا ورد في معجم لسان العرب .

الذّنْبُ : هو الإثم والجرم والمعصية ؛ والجمع ذّنـوبٌ (١) ؛ وهذا المعنى أكده القرآن الكريم فـي قولـه تعـالى علـى لسـان موسـى (عليـه السلام) (٢) : **{ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ وَأخَافُ أنْ يَقْتُلُونِ }** ؛ وعنـى بـذلك قتله للرجل الذي وكزه بالعصا فقضى عليه ؛ ومن هذا الجذر تتفرع معانٍ أُخر لسنا بصدد الوقوف عندها ؛ ولكن نذكر منهـا علـى سبيل المثال لا الحصر : الذَّنَبُ والجمع أذنـاب ؛ ومثالهـا ذَّنـبُ الفرس (٣) ؛ أي ذيلـه ؛ وفـي هـذا الصـدد قالـت العـرب : ذَّنَـبُ الفـرس ؛ وذَّنـابي الطائر (٤) ؛ ومنه قولهم جاء فلانٌ بذَّنبـهِ (٥) ؛ أي جـاء بأتباعـهِ ؛ قـال الحطيئة يهجو بني سعد بن زيد مناة المشهورين ببني أنف الناقة (٦):

قومٌ همُ الرّأسُ والأذنابُ غيرُهم ومن يُسوي بأنف الناقةِ الذّنبا

فالأذنابُ هم الأتباع ؛ والذّنَبُ يتبعُ الرأسَ ؛ وذَّنَبُ كلِّ شيءٍ آخره (٧) .

وأما كَبُرَ : فقد كَبُرَ الأمْرُ : إذا شقَّ عليك ولم تستطع تحمله (٨)؛ وقد دلَّ على هذا المعنى قوله تعالى (٩) :{ وَكَبُرَ عَلَى المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ } ؛ والكِبْرُ : الإثم الكبير والخطب العظيم ؛ قال تعالى(١٠) : **{ والَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإثْمِ وَالفَوَاحِشَ}** ؛ والكِبْرُ : الشرك ؛ قال تعالى (١١) : **{والذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين}** ؛ وكَبُرَ يَكْبُرُ كَبِراً : عَظُمَ يَعْظُمُ عِظَمَاً(١٢) ؛ قال تعالى (١٣) : **{وَقَالَتْ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ؛ فلما رأينهُ أكبرْنَهُ}** أي عَظُمَ في صدورهن ؛ ومن هذا المعنى نفهم أنَّ كبائرَ الذّنوب والآثام : هي أعظمها عند الله ؛ وأشدها عقوبة ونكالاً لمن يرتكبها ، وعلى كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أنْ يعرف تلك الكبائر ليكون بعيداً عنها بالأقوال والأفعال ، ليسلم مما يترتب عليها من عذابات أليمة مُخزية ؛ فالكبائر إذا هي الذّنوب التي أوجب الله سبحانه وتعالى عليها عقوبة النار (١٤) ، وخلاصة القول يمكن القول : إنَّ الكبائر هي ما نهى الله سبحانه وتعالى ؛ ورسوله الكريم مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) عنها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ؛ وقد اشترط الله على المؤمنين إذا اجتنبوا المحرمات وكبائر الذنوب ؛ أنَّهُ سيكفر عنهم صغائر سيئاتهم في قوله تعالى (١٥) : **{ إنْ تَجْتَنِبُوا**

كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِرُ عَنْكُمْ سَيِئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمَاً } ؛ وقبل الشروع بتفاصيل هذه الكبائر ؛ لابدَّ من معرفة عددها ! ذلك لأنَّ علماءَ المسلمين لم يتفقوا على عدد معين ؛ ولكنهم حصروها بين السبعِ والسبعين ؛ ولنقف على هذه الأعداد وهي كما يأتي :

١- قال بعض العلماء هي سبعٌ ؛ مُحتجين بالحديث الشريف (١٦) : (اجتنبوا السبع الموبقات) ؛ وهي : الشركُ بالله ؛ والسحرُ ؛ وقتلُ النفسَ التي حرمَ اللهُ إلا بالحق ؛ وأكل مال اليتيم ؛ وأكلُ الرِّبا ؛ والتَوَلي يومَ الزحفِ ؛ وقذفُ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ .

٢- قال عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) (١٧) : (هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع) ولم يقطع برقم محدد .

٣- أما الإمام أبو عبدالله جعفر الصادق عليه السلام فقد حددها بثمانِ عشرة كبيرة في حديثه المشهور مع عمرو بن عُبيد (١٨) .

ومع كبير احترامنا وتقديرنا لآراء عُلماء المسلمين كافة ؛ فإنا نعولُ في حكمنا على ما وردنا عن طريق آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبذلك يكون الرأي المعول عليه في هذه الدراسة هو ما قال به الإمام أبو عبدالله جعفر الصادق (عليه السلام) ؛ إذ سيكون ما تحته خطٍّ هو قول الإمام أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) ؛ وما بعده من تبيسط وتوضيح فهو للعبد الفقير إلى رحمة ربه ؛ كاتب السطور .

فقد رويَ عن الإمام أبي الحَسن موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) قوله (١٩) : (الكبائرُ تُخرِجُ من الإيمان) ، وقال الإمام أبو

جعفرٍ الثاني محمد الجواد (عليه السلام) (٢٠) : (سمعتُ أبي يقول : سمعتُ أبي موسى بن جعفر (عليهم السلام) يقول : دخل عمرو بن عُبيد على أبي عبدالله عليه السلام ؛ فلما سلم وجلس ؛ تلا هذه الآية (٢١) **{وَالَّذِينَ يِجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإثم وَالفَوَاحِشَ}** ؛ وأمسك .

فقال له أبو عبدالله : ما أسكتك ؟

فقال : أحبُ أنْ أعرفَ الكبائر من كتاب الله عز وجل .

فقال : نعم ، يا عمرو :

أولاً : أكبرُ الكبائر الإشراك بالله عز وجل ؛ والشرك نوعان :

١- أن تجعل لله نداً تشركهُ في عبادته ؛ مثل الأصنام والأوثان والأحجار والشجر وغيرها ؛ فقد قال الله تعالى (٢٢):**{ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ }** ، فالشرك هو أكبر الكبائر وأعظمها كما قال الإمام الصادق (عليه السلام)، لذلك فأنَّ الله سبحانه وتعالى قال في محكم كتابه الحكيم (٢٣) : **{إنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لَمَنْ يَشَاءُ}** قال المحققون (٢٤) : (هذه الآية أرجى آية في القرآن ؛ لأنَّ فيها إدخال ما دون الشرك من جميع المعاصي في مشيئة الغفران ؛ وقّف اللهُ المؤمنين الموحدين بهذه الآية بين الخوف والرجاء ؛ وبين العدل والفضل وذلك صفة المؤمن) ، لذلك قال الإمام الصادق (عليه السلام) : (لو وُزِنَ رجاءُ المؤمنِ وخوفِهِ لاعتدلا) ؛ أي أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يغفرُ الذّنوبَ جميعاً إلا

الشرك ، ويعفو عمّا كان دون الشرك ، ومعنى ذلك أنَّ باب التوبة للمؤمن مفتوحٌ على مصراعيه ؛ بشرط الإخلاص وعدم العودة إلى ارتكاب المعاصي والموبقات والكبائر ، وقد عدَّ الله سبحانه وتعالى الشرك ظلما عظيماً وذلك في وصية لقمان لابنه وهو يعظه في قوله تعالى (٢٥) : **{ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }** أي أنَّ المشرك ظلم نفسه من خلال عدم إيمانه بوحدانية الله عزَّ وجل ؛ وتماديه في الشرك وعبادة الأصنام والأوثان ؛ لذلك ستكون النار مثواه ؛ ولبئس المصير ، لأنَّ الله في قوله السابق حرم الجنة على المشركين .

٢- والنوع الثاني من الشرك هو الرياء بالأعمال فقد قال تعالى (٢٦) : **{ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحَاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أحَدَاً }** ؛ أي يجب أن يكون عمله خالصاً لله وحده ؛ وقد وصف رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) الرياء في قوله (٢٧) : (إياكم والشرك الأصغر ؛ فقيل له : يا رسول الله ؛ وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء) ؛ يقول : إنَّ الله سبحانه يخاطب هؤلاء المشركين بقوله : اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤونهم بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً ؟

ثانياً : اليأس من رَوْحِ الله عز وجل ، قال الله تعالى (٢٨) **: { وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَّوْحِ اللهِ إنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَّوْحِ اللهِ إلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ }** ، يخاطب الله سبحانه وتعالى عباده الذين أسرفوا على أنفسهم ؛ من خلال ارتكابهم المعاصي الآثام والذنوب والإيغال فيها ؛ ألا يفقدوا

الأمل ولا يقنطوا من رحمةِ اللهِ التي وسعت كلَّ شيءٍ ؛ فرَوْحِ الله هي رحمته التي لا حدود لها ؛ فقد وسعت كلّ الشيء ؛ فضلاً عن كونه تعالى عفوٌ غفورٌ رحيمٌ على من تابَ من عباده توبةً خالصةً لوجهه ؛ وأصلح شأنهُ ، وسار بخط مستقيم يرضاه اللهُ ورسولُهُ ؛ ولا يعودَ إلى ارتكاب المعاصي والذنوب والموبقات التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها.

خلق اللهُ الإنسانَ ليعمرَ الأرض ؛ ويعمل فيها صالحاً ؛ ولكنَّ العمل في الحياة الدنيا فيه الصالح والطالح ؛ والعمل يتطلب من الإنسان أنْ يكون صبوراً ؛ وبما أنَّ معظم الناس يعيشون على الزراعة معتمدين الأمطار ؛ والأمطار تخضع لمشيئة الله بين الوفرة والشحة ؛ فعندما تكون الأمطار كثيرة ترى الإنسان يسيطر عليه الخُيلاء والزهو والفرح إلى حد التعالي والتكبر ؛ وعندما تكون الأمطار شحيحة يحيط اليأس به من كلِّ مكان ؛ فيصل به إلى درجة اليأس والقنوط ؛ وهذا هو حال الجهلة من الناس ؛ فيخاطبهم الله عزَّ وجل قائلاً (٢٩) : **{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا}** أي أن الله سبحانه وتعالى رؤوف بعباده ؛ يختبر صبرهم في الحياة ؛ ثم يمنُّ عليهم؛ بأنْ يرسل لهم السماء مدراراً ؛ مطراً كريما يسقي الزرع والحرث .

وكان النبيُ مُحمّداً عليه الصلاة والسلام يخاطب المسلمين منذ اليوم الأول للرسالة المباركة ؛ أنْ يكونوا مسلمين مؤمنين ؛ خالصة عبادتهم لله وحده ؛ وأنْ يحييوا ويموتوا وهم مسلمين في الحديث الشريف (٣٠) : (لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسنُ الظنَّ بالله تعالى) ؛ أي عليه ألا يفقد الأمل بالله ؛ فإنَّهُ قادر على كلِّ شيءٍ ؛ وأمره بين الكاف والنون ؛ يقول للشيء كن فيكون .

فالله عزَّ وجل حجب عفوه ومغفرته عن الكفار وجعلهم من الضالين ؛ في قوله تعالى (٣١) : **{ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَّحْمَةِ اللهِ إِلَا الضَّالُّوَنَ }** .

فعلى المسلم المؤمن ألا يفقد الأمل برحمة الله ؛ ففقدانها يعني الخروج من الدين الإسلامي ؛ وهذا ما لا يرضاه الله ورسوله للمسلمين أصحاب العقيدة الراسخة .

ثالثاً : الأمنُ لمكرِ الله عزَّ وجلَّ ، قال الله تعالى (٣٢) : **{ أَ فَأمِنُوا مَكْرَ اللهِ ؛ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَا القَوْمُ الخَاسِرُون }** ، المكرُ هو خديعةٌ ؛ وعلى المسلم المؤمن الحفاظ على دينه وعقيدته ويتمسك بهما بقوة ؛ وعليه أنْ يحذر في أنْ ينخدع فيهما ؛ ويعني ذلك يجب على المؤمن أنْ يكون رقيباً على أفعاله وتصرفاته خوفاً من انحرافهما عن طاعة الله ورسوله ؛ فعليه أنْ لا يغفل ؛ ويأمن عقاب الله ؛ ومكر الله سبحانه وتعالى لا يعني الخديعة المتعارف عليها اليوم في المجتمعات ؛ وإنَّما تعني الاختبار لقدرات المسلم المؤمن ؛ فالله سبحانه وتعالى يختبر

العبد في تصرفاته وأفعاله ؛ فيمد له ويزيد في عطائه ؛ حتى يميز المؤمن من الكافر ؛ فالعبد المؤمن عبد شكور ؛ والعبد الكافر عبد جحود ؛ فيفرح العبد الكافر الجحود بما أتاه الله ؛ ويتمادى في كفره وطغيانه ؛ ثم يأخذه الله سبحانه وتعالى على حين غرة وهو غافل ؛ لا يعي ما يدور حوله ؛ فقال تعالى في ذلك (٣٣) : **{ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ مُبْلِسُونَ }** ؛ وعطاء العبد الكافر الجاحد والزيادة فيه هو مهلة واستدراج ؛ والمهلة تتمثل في : لعل العبد يرعوي ويثوب إلى رشده ؛ فيأخذ بهدى الله ؛ وينجو بنفسه من عذابٍ أعد للكافرين ؛ والاستدراج يتمثل في أنَّ الكافر يغرق في الضلالة تدريجياً حتى تغمره كلياً ؛ فعند ذاك يأخذه الله بغتة ؛ وفي هذه المرحلة لا تنفعه توبةٌ ولا عضُّ الأنامل ندماً عمّا اقترفت يداه ؛ والإلباس هنا اليأس المطلق من النجاة ؛ واللافت للنظر أنَّ الآية الكريمة الأولى التي وردت في صدر الفقرة ؛ لا تشمل الأنبياء والمعصومين والمتقين ؛ لأنهم ليسوا من الخاسرين ؛ بدلالة قوله تعالى (٣٤) : **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ}** .

لذلك على العبد المؤمن أن يثبت على دينه وعقيدته ويحافظ عليهما ؛ ولا ينحرف عنهما أبداً ؛ فالنبيُ الكريم مُحمّد (صلى الله عليه وسلم) كان يكثر من قول (٣٥) : (يا مُقلبَ القلوبِ ثبتْ قلوبنا على دينك) فقيل له : يا رسول الله ؛ أتخافُ علينا ؟ فقال رسول الله (٣٦) : (إنَّ قلوبَ بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيثُ يشاء ؛ ثم

قال : اللهم يا مُصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك) ؛ ويترتب على هذا الحديث حديث آخر رواه الصحابي الجليل سهل بن سعد الساعدي يتمثل في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (٣٧) : (إنَّ الرجلَ ليعمل بعمل أهل النار ؛ وأنَّهُ من أهل الجنة ؛ ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة ؛ وأنَّهُ من أهل النار ؛ وإنَّما الأعمال بالخواتيم) ؛ وكان النبي عليه الصلاة والسلام كثير القسم بـ (٣٨) : (لا ومُقلب القلوب) ؛ وهذا الحديث الشريف مرتبط بقوله تعالى (٣٩) : **{واعْلَمُوا أنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ }** .

رابعاً : عقوق الوالدين ، لقد جعل الله سبحانه وتعالى العاقَ جباراً شقياً ، لأنـَّهُ قرن وحدانيته بطاعة الوالدين بدلالة قوله تعالى (٤٠) : **{وقضى ربكَ ألا تعبدُوا إلا إياهُ وبالوالدَينِ إحسانًا}** ، القضاء هو الأمر النهائي الذي لا رجعة عنه ؛ وهكذا قيدت الآية الكريمة العبادة بالله وحده وذلك من خلال أداة الحصر إلا ؛ أي أنَّ العبادة والربوبية يجب أن تكون خالصة لله وحده ؛ وعلى العبد أن لا يشرك بعبادة ربه أحداً ؛وذلك تطبيقاً لقوله تعالى (٤١) : **{ إياك نعبدُ ؛ وإياك نستعين }** ؛ فتقديم المفعول به هنا على الفعل والفاعل هو من باب التخصيص الحصري ؛ ونلحظ في هذه الآية الكريمة ؛ أنَّ الله سبحانه وتعالى قرن عبادته المشروطة بالتوحيد مع طاعة الوالدين والإحسان إليهما ؛ وبذلك لا تقبل عبادة الموحد مهما كانت درجة إيمانه ؛ إلا إذا كانت

مقرونة بالإحسان للوالدين ؛ وطاعتهما في كلِّ شيءٍ ؛ إلا إذا دعواه إلى الشرك بالله ، وعلى العبد المؤمن أنْ يكون باراً بهما؛ كما جاء في قوله تعالى (٤٢) : **{ .. وبرًا بوالديَ ولمْ يجعلني جبارًا شقِيًا }** فضلاً عن أنْ الله سبحانه وتعالى قرن شكره بشكر الوالدين في قوله تعالى (٤٣) : **{أنْ أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير}** ؛ فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه ؛ وكل فعل أو تصرف مهما كان صغره؛ سواءً كان بالقول أو الفعل يؤذي الوالدين فهو من العقوق فقد قال عزَّ من قائل (٤٤) : **{ فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهُما ؛ وقل لهما قولا كريما * وأخفض لهما جناح الذُّلِّ من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً }** ؛ وفي هذا المقام قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (٤٥) : (رضا الله من رضا الوالدين ؛ وسخط الله في سخط الوالدين) ؛ أي أنَّ الله سبحانه وتعالى يرضى لرضاهما ويسخط لسخطهما ؛ وقد قال النبي عليه الصلاة (٤٦) : (لعن الله العاق لوالديه) ثم قال (٤٧) : (لعن الله من سبَّ أباه ؛ لعن الله من سبَّ أمه) ؛ واللعن في اللغة العربية يعني الإبعاد عن رحمة الله؛ والعقُّ هو الشقُّ (٤٨) ؛ ومن عق والديه فق شقَّ عصا طاعتهما ؛ وعقُّ الوالدين يعني قطعهما وعدم صلة رحمهما .

خامساً : قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق قال تعالى (٤٩) **:{وّمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنَاً مُّتَعَمِداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما}** ؛ النفسُ هي رمزٌ للإنسان على

المجاز المرسل من باب تسمية الكل باسم الجزء ؛ وهذا مذهب بلاغي مشهور عند العرب ؛ والإنسانُ هو أكرمُ خلقِ الله ؛ وكان خلقه مميزاً خاصاً ؛ قال تعالى (٥٠) : **{ لقد خلقنا الإنسانَ في أحسنِ تقويمٍ }** ذلك لأنَّ الله سبحانه وتعالى أراد الإنسان أنْ يكون خليفةً له في الأرض ليعمرها فقال (٥١) : **{ إنِّي جاعلٌ في الأرضِ خليفةً }** ؛ وتبعاً لذلك فهذا المخلوق الكريم عند الله ؛ له وزنٌ كبيرٌ وشأنٌ عظيمٌ ؛ فهو إذن خطٌّ أحمرٌ ؛ لا يمكن المساس به بغير حقٍّ ؛ لذلك عدَّ الله سبحانه وتعالى قتله بغير ذنبٍ من كبائر الذنوب ؛ فإذا كان هذا الحال مع الإنسان بصورة عامة ؛ فما بالك في قتل الإنسان الصالح المؤمن ؛ وقد أكد هذه المعاني رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله (٥٢) : (لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدُنيا) ؛ لذلك اكتسب العبدُ المؤمنُ منزلةً كبيرةً عند الله سبحانه وتعالى حتى جعل قيمة العبد المفرد مثل قيمة العباد كافة ؛ وذلك في قوله تعالى (٥٣) : **{من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنَّما قتلَ الناسَ جميعاً ؛ ومن أحياها فكأنَّما الناسَ جميعاً }** ؛ ولم ينسَ الإسلام العباد من غير المسلمين ؛ فقد أشار الرسول الكريم إلى جريمة قتل الذمي فقال (٥٤) : (من قتلَ مُعاهداً لم يرح رائحة الجنة ؛ وإنَّ رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً) والمراد بقوله المُعاهد : اليهودي والنصراني ؛ فإذا كان هذا الحال مع قتل غير المسلم ؛ فكيف تكون عقوبة من يقتل المسلم ؟ وعليك أن تتصور نوع العقوبة وحجمها ؛ وذهب النبي عليه الصلاة والسلام في هذه العقوبة بعيداً حين أشار إلى

قاتل المسلم عمداً في قوله (٥٥) : (كلَّ ذنب عسى الله أنْ يغفرهُ ؛ إلا الرجلُ يموت كافراً ؛ أو الرجلُ يقتلُ مؤمناً متعمداً) .

سادساً : قذفُ المحصنة ، قال الله تعالى (٥٦) : **{ لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم }** ؛ المرأةُ المحصنة هي المرأةُ الحرةُ العفيفةُ الطاهرةُ البعيدةُ عن الزنا والفواحش ؛ والإنسان الذي يرمي المحصنة بلا بينةٍ يجلدُ ثمانين جلدة ؛ نكالاً وعقاباً لما قام به من كذبٍ وافتراءٍ على امرأةٍ مسلمةٍ بريئةٌ مما قال فيها ؛ فقد قال تعالى في هذه العقوبة وهي من عقوبات الحدود التي حدها الله سبحانه وتعالى بحقِّ صاحب هذه الجريمة (٥٧) : **{ والذين يرمون المحصناتِ ؛ ثم لم يأتوا بأربعةِ شهداء ؛ فاجلدوهم ثمانين جلدةً ؛ ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً ؛ وأولئك هُم الفاسقون }** ؛ نلحظ أنَّ هذه الآية الكريمة اشترطت عدة شروط لقبول صحة هذه التهمة ؛ وهي أنْ يأتي القاذف بالتهمة بأربعة شهداء على وجه التحديد ؛ والشهادة في الحالات الطبيعية لا تحتاج أكثر من شاهدين من الذكور ؛ أو رجل وامرأتان ؛ والإتيان بأربعة شهداء هو لخطورة هذه التهمة ؛ فإذا بطلت التهمة وفسدت ؛ يعاقب القاذف بعدةِ عقوباتٍ منها : يجلدُ ثمانين جلدةً ؛ ولا تقبل له شهادة أبداً ما دام حياً ؛ ومن ثم فهو من الفاسقين ؛ هذه العقوبات دنيوية ؛ وله عقوبة أخروية يوم القيامة تتمثل في عذابٍ عظيمٍ ؛ علماً بأنَّ القذف يشمل الألفاظ النابية من التي تجرح المشاعر من مثل : زانية ؛ باغية وغيرهما من الألفاظ التي تعف الأذان من سماعها ؛ وعقوبات القذف

تطبق على حدٍ سواءٍ على الأسياد (الأحرار) والمسودين (العبيد والمملوكين) ؛ وإذا ما قذف حرٌّ جاريته أو مملوكه بتهمة الزنا ؛ ولم يأتِ بأربعة شهداء ؛ فقد قال في هذه القضية المهمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (٥٨) : (من قذف مملوكه بالزنا ؛ أقيم عليه الحدُّ يوم القيامة إلا أنْ يكون كما قال) ؛ وقد عدَّ رسول الله قذف المحصنات من الموبقات السبع في قوله (٥٩) : (اجتنبوا السبع الموبقات) وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات واحدة منها .

سابعا : أكلُ مالَ اليتيمِ ، قال الله تعالى (٦٠) : **{ إنما يأكلونَ في بطونهم ناراً وسيصلونَ سعيراً }** ، اليتيمُ هو الطفل الصغير الذي فقد والديه أو أحدهما ؛ وهو عاجزٌ ؛ وليس له من يعيله ويكفيه مؤونة الحياة حتى يشتد ساعده ؛ فيعتمد نفسه في تدبير شؤونه وأموره ؛ ولكنَّ هذا الصنف من الأيتام الذين عنتهم الآية الكريمة ؛ هم ليسوا ضعفاء مادياً ؛ بل هم الذين ترك لهم الوالدان مالاً يكفيهم شر الحاجة؛ لكنَّهم من جانب آخر ؛ هم لا يستطيعون اعتماد أنفسهم في إدارة شؤون ما يملكون ؛ فهم إذاً بحاجة إلى قيمٍ أو وصيٍ يقوم بمهام والدهم حتى يكبروا ويبلغوا سن الرشد ويكونوا قادرين على تصريف أمورهم ؛ والقيم أو الوصي ؛ ويفضل أنْ يكون من ذوي أرحامهم ؛ وكذلك من القيمين ما هم فقراء مادياً ؛ ومنهم الأغنياء ؛ فالغني لا يحق له أنْ يأكل من مال اليتيم مطلقاً ؛ وعليه أنْ يستعفف ؛ وأما الفقيرُ فعليه أنْ يأكل بالمعروف ؛ بما يرضي الله ورسوله ولا

يخرجهم من نطاق الشريعة السمحاء ؛ فقد قال تعالى (٦١) : **{ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رُشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف }** ؛ وقد أكد الإسلام الحفاظ على أموال الأيتام وعدم التصرف بها إلا بما يرضي الله ورسوله ولا يخالف الشريعة ؛ فأما الذين لا يلتزمون بما أمر الله ؛ فيأكلون أموال اليتامى بالباطل ؛ فقد قال الله سبحانه فيهم (٦٢) : **{ إنَّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ؛ إنَّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً }** ؛ ثم نهى القيم أو الوصي من التصرف بأموال اليتامى إلا بما كان فيه فائدة تعود على اليتيم فقال (٦٣) : **{ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده}** ؛ فقد روى الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما عرج به إلى السماء قوله (٦٤) : (فإذا أنا برجالٍ وقد وكل بهم رجال يفكون لحاهم ؛ وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها بأفواههم وتخرج من أدبارهم ؛ فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنَّما يأكلون في بطونهم ناراً) ؛ وأكد النبي عليه الصلاة والسلام الاهتمام باليتيم ورعايته ولاسيما القيمين منهم والأوصياء فقال (٦٥) : (أنا وكافلُ اليتيم في الجنة هكذا ؛ وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما) ؛ أي أنَّ النبي وكافل اليتيم في الجنة على حدٍّ سواءٍ ؛ وكان عليه الصلاة والسلام يكثر من الوصية في الأيتام فقال (٦٦) : (أوحى الله إلى داود

(عليه السلام) : يا داود كُنْ لليتيم كالأبِ الرحيم) ؛ أي أنَّ القيم أو الوصي يجب أنْ يكونَ بمستوى والد اليتيم إن لم يكن أفضل ؛ وكان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كثير الوصية في الأيتام فكان وهو على فراش الموت يوصي ولديه الحَسن والحُسين (عليهما السلام) قائلاً (٦٧) : (الله الله في الأيتام فلا تغيّرنَ أفواههم بحضرتكم) ؛ وكان يقول (٦٨) : (قولا : الحقِّ وارحما اليتيم) ؛ وفي نذره عندما تعافى الإمامان الحَسن والحُسين (عليهما السلام) من مرضهما ؛ جاءه في اليوم الثاني وهو صائم ؛ ليومين متتاليين ؛ ولم يذق طعاماً سوى الماء ؛ فطرق الباب يتيماً ؛ فأعطاه فطوره ؛ ويبقى لليوم الثالث بلا طعام ؛ وقد أكد الله سبحانه هذه الحقيقة في قوله (٦٩) : **{ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً}** .

ثامناً : الفرارُ من الزحف ، قال الله تعالى (٧٠) : **{ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }** ، الزحفُ هو مقاتلة الأعداء بقوة موحدة ؛ والزحف إليهم يعني التوجه إليهم لقتلهم أو طردهم ؛ وكلمة الزحف تكاد تكون موقوفة على الجهاد في سبيل الله لرفع راية الدين الإسلامي عالياً ؛ ولابد من العودة قليلاً إلى الجاهلية لنرى أنَّ القتال كان عندهم عبارة عن عملية كرٍّ وفرٍّ ؛ كرٌّ عند النصر للحصول على الغنائم ؛ وفرٌّ عندما يشعر المقاتل أنَّ الموتَ يرفرفُ فوق رأسهِ ؛ فيفر من ساحة القتال للحفاظ على حياته انطلاقا من المبدأ القائل : الحفاظُ

على الحياة خيرٌ من فقدانها ؛ أما في الإسلام فقد تبدلتْ هذه المعادلة ؛ ولاسيما في شقها السلبي ؛ فأصبحت المعادلة كما يأتي : النصرُ أو الشهادةُ ؛ وأصبحت كلمة الفرار مرفوضة عند المقاتلين المسلمين ؛ وحلَّ شعار جديد مكان الشعار القديم يتمثل في نيل إحدى الحُسنيين النصر أو الشهادة ؛ ومن هذا المنطلق عدَّ الله سبحانه وتعالى كلَّ من يفرُ من ساحة الجهاد كافراً وخارجاً عن الدين الإسلامي ؛ وسيؤول مصيره إلى نار جهنم وبئس المصير ؛ وقد حدد الله سبحانه صنفين ممن يتولون الأدبار هما : متحرفاً : تاركاً القتال ؛ أو منحازاً إلى كفة العدو ؛ فخاطب الله عزَّ وجل المؤمنين في قوله (٧١) : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ }** ففي هذه الآية الكريمة أمرٌ بقتال الكفار أولاً ؛ ونهياً عن الهرب منهم ثانياً ؛ وتولية الأدبار هو جعل ظهورهم باتجاه العدو استعداداً للهرب من الجهاد ؛ ثم جاءت الآية الثانية لتوضح عقوبة من يتولى عن الجهاد ومقاتلة الكافرين (٧٢) : **{ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المَصِيرُ }** ؛ ووجدنا الله سبحانه وتعالى مع النبي والمسلمين يشد أزرهم ؛ ويرفع معنوياتهم لمواصلة قتال الكفار ؛ فقال تعالى (٧٣) : **{ إِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا }** : أي أنَّ سبحانه وتعالى جعل قدرة المسلمين وقوتهم عشرة أضعافها قبل الزحف ؛ وهذه الأضعاف مشروطة بأن يكونوا صابرين وقد أخلصوا النيّة لله ولرسوله ؛ ولكن الله تبارك وتعالى مع

ذلك وجدَّ ضعفاً في صفوف المسلمين فقال (٧٤) : **{ الآنَ خَفَفَ اللهُ عَنْكُمْ ؛ وَعَلِمَ فِيكُمْ ضَعْفَاً ؛ فإنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةً يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ؛ وإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإذْنِ اللهِ ؛ وَاللهُ مَعَ الصَابِرِينَ }** ؛ وإذا كان جيش العدو أكبر من جيش المؤمنين وأقوى ؛ فعلى المؤمنين أنْ يقاتلوهم بصبر كبير ؛ فضلاً عن الإبتهال إلى الله سبحانه وتعالى ؛ ودعوته لاستغاثتهم ؛ ليمنَّ عليهم بالقوة والنصر ؛ فقال تعالى (٧٥) : **{وَإذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ؛ إنّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ }** ؛ نلحظ في هذه الآية الكريمة أنَّ الله سبحانه وتعالى استجاب لدعاء المؤمنين بإرساله جيشاً من الملائكة قوامه ألف ملك يقاتلون معهم ؛ وكانوا جيشاً رديفا وسانداً لجيش المسلمين ؛ وعند ذلك تحقق النصر للمسلمين ؛ وكان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد عدَّ الفرار من الزحف من الموبقات السبع .

تاسعا : أكلُ الربا قال الله تعالى (٧٦) : **{ الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبَوا لَا يَقُومُونَ إلَا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخبَطَهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ }** ، يتبادر إلى الذهن سؤالٌ مفاده ؛ ما الرِّبا ؟ فالربا في معناه الاجتماعي المتعارف عليه ؛ هو الربحُ الفاحش الذي يصل إلى عدة أضعاف الربح الطبيعي ؛ وهو محرمٌ جملةً وتفصيلاً ؛ قال تعالى (٧٧) : **{يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا : لَا تَأكُلُوا الرِّبَوا أضْعَافَاً مُضَاعَفَةً ؛ واتْقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** ؛ ومن أنواع الربا القروض أو البيع والشراء بعملة نقدية من جنسٍ واحدٍ ؛ من مثل : تقرض محتاجاً ألف دينار عراقي لمدة كذا على أنْ يعيده لك

بعد مدة معينة مضاعفاً ؛ أو أنْ تستبدل عملة من الفئة الكبيرة بعملة أخرى من الفئة الصغيرة بسعر يفوق قيمتها الحقيقية ؛ أو أن تستبدل عملة من الفئة الصغيرة بعملة كبيرة بادنى من قيمتها الحقيقية : أما المعنى اللغوي للربا فهو مأخوذٌ من : ربا يربو ربواً : أي زاد ونما ؛ وأربيته : نميته (٧٨) ؛ وقد أكد هذا القرآن الكريم هذا المعنى في قوله تعالى (٧٩) : **{ وَمَا آتَيْتُمْ مِّنَ رِّبَاً لِيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ؛ فَلَا يَرْبُواْ عِنْدَ الله } .**

كان الربا سائدا في الجاهلية ؛ ولما أشرقت شمس الإسلام ؛ حرمه الله تحريماً نهائيا ؛ فاعترضت قريش عليه اعتراضا شديداً ؛ وقالوا أنها عملية بيع وشراء بالتراضي (٨٠) **{بِأَنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّمَا البَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوا ؛ وَأَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوا}** ؛ فقد كان العباس بن عبدالمطلب (رضي الله عنه) من كبار تجار مكة المكرمة المرابين؛ وعندما حجَّ رسول الله (عليه الصلاة والسلام) في السنة العاشرة من الهجرة حجة الوداع ؛ أكد في خطبة الوداع تحريم الربا تحريماً نهائياً؛ وأسقط العمل به ؛ مبتدأً باسقاط ما بذمة الناس من رباً لعمّه العباس ؛ ليكون قدوة للمرابين الآخرين لإسقاط ديونهم أو التنازل عن أرباحها الفاحشة والاكتفاء برأس المال المقترض فقال (٨١) : (إنَّ ربا الجاهلية موضوعٌ ؛ وإنَّ أولَ رباً أبدأُ به ربا عمّيَ العباس بن عبدالمطلب) .

وقال النبي (٨٢) : (عليه الصلاة والسلام لما عرج بيَّ سمعت في السماء السابعة فوق رأسي رعداً وصواعق ؛ ورأيت رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حياتٌ وعقاربٌ تُرى من ظاهر بطونهم ؛ فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاءُ أكلةُ الربا) ؛ وقال عليه الصلاة والسلام (٨٣) : (أربعةٌ حقَّ على الله أنْ لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمنُ الخمر ؛ وآكلُ الربا ؛ وآكلُ مال اليتيم بغير حقٍّ ؛ والعاقُ لوالديه ؛ إلا أنْ يتوبوا) .

عاشراً : السحرُ ، قال الله تعالى (٨٤) : **{ وَلَقَدْ عَلِمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ }** ، السحرُ من الأعمال الشريرة التي نهى الله سبحانه وتعالى عن ممارستها وتعاطيها بين الناس ؛ لأنَّها بالأصل من عمل الشياطين ؛ والسَحر يمارس للتفريق بين الناس ؛ بين الزوج زوجه ؛ وبين الأخ وأخيه ؛ والسحر أداة هدامة المراد منها هدم المجتمع الصحيح الذي يدعو الأنبياء والمرسلين إلى تشييده وفق التعاليم السماوية ؛ وجنود السّحر كلهم من الشياطين سواءً كانوا من الأنس أو الجن ؛ وأنَّ السحرة بالمحصلة النهائية كفارٌ ؛ فقال تعالى(٨٥) : **{واتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينَ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ... }** ؛ والسحّر ليس من الذنوب المحرمة فحسب بل هو ضلال وكفر وشرك ؛ فقد عدَّ النبي مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) السحر من

الموبقات السبع ؛ والسحر هي العقوبة التي حدَّها رسول الله في قوله(٨٦) : (حدُّ الساحر ؛ ضربه بالسيف) ؛ ذلك لأنَّه كفر بالله ؛ ويرى بعض البسطاء السذج من الناس أنَّ للسحر جانب إيجابي يتمثل في سحّر التِوَلة وهو ما يعرف بسّحر المحبة بين الأفراد ؛ وهذا ليس صحيحاً مطلقاً ؛ لأنَّ السّحر بجملته محرمٌ وهو شركٌ وكفرٌ ؛ والشركُ والكفرُ ليس فيه حرامٌ وحلالٌ بل كله محرمٌ جملةً وتفصيلاً ؛ وعليك أنْ تتأمل قول النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بمن يعتقد السّحر ويؤمن به (٨٧) : (ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمنُ الخمر ؛ وقاطعُ الرحم ؛ ومصدقُ السحر) ؛ وكان كثيرٌ من السحر يُعمل على هيئة رُقيّة أو تميمة تعلق على الصدور ؛ فقد حرمها رسول الله بقوله(٨٨) : (الرقيُ ؛ والتمائمُ ؛ والتِّوَلةُ ؛ شركٌ) ؛ وقد استثني من ذلك الرقية إذا كانت بالقرآن الكريم ؛ ذلك لأنَّ رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يرقي سبطيه الحَسن والحُسين (عليهما السلام) فيقول (٨٩) : (أعيذكما بكلماتِ اللهِ التامة ؛ من كلِّ شيطانٍ وهامةٍ ؛ ومن كلِّ عينٍ لامة) ؛ واختمُ هذه الفقرة بقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : الكاهنُ ساحرٌ ؛ والساحرُ كافر .

الحادي عشر :الزنا : قال الله تعالى (٩٠) : **{ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ آثَامَاً * يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانَاً }** ؛ والزنى يعني ممارسة الجنس بطريقة غير شرعية ، وبدون عقد نكاح وشهود، وممارسة هذا العمل في الظلام خلسة من أهل المرأة والمجتمع ،

فالزِنى إذاً هو إساءةٌ للمرأة والرجل على حدٍّ سواء ؛ ولاسيما المرأة التي كرمها الله سبحانه وتعالى ، وجعلها عنواناً للعفة والطهارة ، لذلك حللَ الله سبحانه وتعالى النكاح وحرم الزِنى ، وبما أنَّ الزِنى محرمٌ من قبل الله ؛ فإنَّ عقوبته من عقوبات الحدود التي حدها سبحانه وتعالى ، فقد قال علماء المسلمين (٩١) : إنَّ عقوبة الزِنى نوعان الأولى : الجلد بالسوط مائة جلدة لغير المتزوجين ، طبقاً لما جاء في قوله تعالى (٩٢) : **{الزّانِيَةُ والزّانِي فاجلِدُوا كُلَّ واحدٍ منهُما مائةَ جلدةٍ ولا تأخذكُمْ بهما رَأْفةً في دينِ اللهِ إنْ كُنتُمْ تؤمِنُونَ باللهِ واليومِ الآخرِ وليَشْهَدْ عذابَهُمَا طائِفةٌ من المؤمنينَ }** ؛ أي أنَّ العقوبة يجب أن تكون علنية ؛ وعلى مرآي ومسمع من جمعٍ من المؤمنين وبحضورهم ؛ وذلك للتشهير بهم ليكونوا عبرة لمن يعتبر ؛ ويجب أن يكون جلدهما بقلبٍ قاسٍ خالٍ من الرحمة والشفقة ، لأنَّ الله يأمر بعدم التسامح والتهاون معهم مهما كانت مكانتهم ، وأما النوع الثاني فهو للمتزوجين ، فهم يرجمون بالحجارة من قبل المؤمنين حتى يموتوا ، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (٩٣) : (إنَّ الإيمان سربالٌ يسربله الله من يشاء ، فإذا زنى العبدُ نزع الله منه سربال الإيمان ، فإنْ تاب رُدَّ عليه) ، فالزاني والزانية يخرجان بفعلتهما هذه من قائمة المؤمنين ؛ والزِنى من الكبائر التي تسلب المسلم روح الإيمان ؛ فقد قال رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) (٩٤) : (**إذا زنى الرجل فارقه روح الإيمان**) ؛ فيما قال الإمام أبو عبدالله الصادق (٩٥) : (يُسلبُ منه روح الإيمان مادام على بطنها ؛ فإذا نزل

عاد الإيمان) ؛ والزِنى من فواحش الكبائر (٩٦) : **{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً}** .

الثاني عشر : اليمينُ الغموس الفاجرة ، قال الله تعالى (٩٧) : **{ إِنَّ الذِّينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَإِيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ }** ، اليمينُ الغموس هي اليمين الكاذبة ليحوز بها على مال الآخر بغير وجه حقّ ؛ فهذا الصنف من الناس يوم القيامة (٩٨) : **{...لَا يُكَلِمَهُمُ اللهُ ؛ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ؛ وَلَا يُزَكِيهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** ؛ أي أنَّ الله سبحانه وتعالى لا يسرهم بكلام ولا ينظر إليهم برحمة ؛ ولا يزيدهم خيراً ؛ وقد نزلت هذه الآية الكريمة برجلين اختصما عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ضيعة ؛ فهم المُدعى عليه أنْ يحلف ؛ فنزلت هذه الآية الكريمة (٩٩) ؛ وروي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام قوله (١٠٠) : (مَنْ حلف على مالِ امرئٍ مسلمٍ بغير حقه لقي الله وهو غضبانٌ عليه) ؛ وروي عنه (صلى الله عليه وألـه وسلم) أنَّه قال (١٠١) : (مَنْ اقتطع حقِّ امرئٍ مسلمٍ بيمينه ؛ فقد أوجب الله له النار ؛ وحرم عليه الجنة) ؛ فعلى العبد المسلم ألاّ يحلف كاذباً من أجل شيء لا قيمة له عند الله ؛ ويؤول مصيره به في المحصلة النهائية إلى النار ؛ وعليه ألا يبيع الجنة بثمن بخس ؛ ويستقر به المقام في النار خالداً فيها .

الثالث عشر : الغلولُ، قال الله تعالى (١٠٢) : **{ وَمَنْ يُغْلِلْ يَأتِ بِمَا غُلَّ يَوْمِ القِيَامِةِ}** ، الغلُّ في المعنى الوضعي تعني شدة العطش

المصحوب بالحرارة (١٠٣) ؛ والغلُّ والغلول لا تكون إلا في الغنائم والصدقات ؛ أما في المعنى الاصطلاحي فتعني الغلول السرقة من بيت مال المسلمين أو من الصدقات ؛ وهذه السرقة تعدُّ من أسوءِ أنواع السرقات ؛ ذلك لأنَّ السارق هو مؤتمنٌ على هذا المال ؛ فيخون الأمانة فيسرق خُفيةً من ما أؤتمن عليه من غير أنْ يشعر به أحد ؛ قال تعالى (١٠٤) : **{ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ }** ؛ وهذا السارقُ من بيت مال المسلمين ومن الصدقات وحسب اعتقاده أنَّ أحداً لم يره ؛ وهذا السارق سيُأتى به يوم القيامة مع ما سرق ؛ فيفتضح أمره أمام الحشر ؛ فيدخل نار جهنم مهاناً ؛ قال تعالى (١٠٥) : **{ وَمَنْ يُغْلِلْ يَأتِ بِمَا غُلَّ يَوْمِ القِيَامِةِ }** ؛ وقد عدَّ النبي محمد الغلول عاراً في قوله (١٠٦) : (أدوا الخيطَ والمُخيطَ ؛ وإياكم والغلول ؛ فإنَّهُ عارٌ على صاحبه يوم القيامة) ؛ وكان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يصلي على الغالِ ؛ فقد رويَ عنه امتناعه من الصلاة على رجلِ ماتَ ؛ فقال (١٠٧) : (صلوا على صاحبكم إنَّهُ غلَّ في سبيل الله) ؛ ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزاً من خرز اليهود قيمتها درهمين ؛ كما عدَّ رسول الله عليه الصلاة والسلام الهدايا التي يتقبلها عمالُ الغنائم والصدقات خلال جمعها غلولاً في قوله (١٠٨) : (هدايا العمال غلول).

الرابع عشر : منع الزكاة المفروضة ، قال الله تعالى (١٠٩) : **{ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ}**،

الزكـاة وفعلهـا زكّـى يزكّـي تزكّيـة تعنـي فـي اللغـة الطهـارة والنمـاء والبركـة والمـدح (١١٠) ؛ وزكّـى بمعنـى أصـلح ؛ قـال تعـالى (١١١) : **{وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ}** ؛ أي يصلح ؛ وزكـاة المـال تطهيره ؛ إذا أدى عن ماله زكاته ومنه قوله تعالى (١١٢) : **{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا }** ؛ وقوله تعالى (١١٣) : **{ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا }**؛ أي مـن طهـر نفسـه ؛ وقولـه (١١٤) : **{ بَـلِ اللهُ يُزَكِّـي مَـنْ يَشَـاءُ}** ؛ والزكاة تعني صفوة الشـيء ؛ وتزكـى تصـدق (١١٥) ؛ ذلـك لأنَّ المـال الـذي يملكـه الإنسـان ؛ هـو ملـك لله سـبحانه وتعـالى ؛ ولـيس ملكـاً للإنسـان؛ وبـذلك يكـون الإنسـان وكـيلاً لله فـي مـال الله ؛ ولـه حـقّ التصـرف بهـذا المـال ؛ قـال تعـالى (١١٦) : **{ آمِنُـوا بِـاللهِ وَرَسُـولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيـهِ ؛ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيـرٌ }** ؛ واشـترط فـي الإنفـاق أنْ يكـون بمـا يرضـي الله ورسـوله ؛ وبموجب الشريعة الإسلامية السمحاء ؛ وأنَّ الله سبحانه وتعـالى جعل فـي هذا المـال نسبة معينـة علـى المتصـرف بهـذا المـال دفعهـا للفقراء والمحتـاجين تطبيقـاً لقولـه تعـالى (١١٧) : **{وَالَّـذِينَ فِـي أَمْـوَالِهِمْ حَـقٌّ مَّعْلُـومٌ * لِلْسَّـائِلِ وَالمَحْـرُومِ}** ؛ ونلحـظ فـي القـرآن الكـريم إنَّ الزكـاة وردت في سبع وثلاثين آية ؛ وفيها كافة وردت مقترنـة بالصـلاة ومنـه قوله تعالى (١١٨) : **{ وَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ ؛ وَآتُوا الزَّكَوةَ ؛ وَارْكَعُوا مَـعَ الـرَاكِعِينَ }** ؛ والـذين يمتنعـون عـن أداء الزكـاة لمسـتحقيها ؛ ويقومـون بتحويـل أمـوالهم إلـى ذهـب وفضـة ؛ ومـن ثـم يكتنزونـه ولا يـدفعون زكاته ؛ سيعاقبون بما اكتنزوا لأنفسهم (١١٩) **{وَالَّذِينَ يَكْتَنِـزُونَ الـذَّهَبَ**

وَالفِضّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ ؛ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ؛ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ؛ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} ؛ فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّهُ قال (١٢٠) : (من آتاه الله مالاً فلم يؤدِ زكاته ؛ مُثِلَ له يوم القيامة شجاعاً أقرعاً (أفعى) له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ؛ فيأخذ بلهزمتيه (أي بشدقيه) يقول : أنا مالك ؛ أنا كنزك) ثم تلا قوله تعالى (١٢١) : **{ وَلَا يَحْسَبَنَّ الذِّينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ؛ هُوَ خَيْرَاً لَهُمْ ؛ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ؛ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ القِيَمَةِ }** ؛ والقرآن الكريم ينذر مانعي الزكاة ويعدَّهم من المشركين في قوله تعالى (١٢٢) : **{ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوةَ }** .

الخامس عشر : شهادة الزور ، وكتمان الشهادة ، قال الله تعالى(١٢٣) : **{ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ؛ وَمَنْ يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ }** ، شهادة الزور هي شهادة كاذبة مُفتراة ؛ لا أساس لها من الصحة ؛ وهذه الكبيرة اجتمع فيها ذنبان عظيمان هما : الكذب والإفتراء ؛ وأما كتمان الشهادة ؛ والمقصود منها إخفاء الحقيقة ؛ ليظهر الباطل على الحق ؛ نلحظ في هذه الآية الكريمة ؛ أنَّ الله سبحانه وتعالى خصص الإثم ونسبه إلى القلب ؛ ذلك لأنَّ القلب هو مركز فكر الإنسان ومدبر أمره ؛ ولشهادة الزور أسباب ومبررات واهية ؛ لتحقيق رغبات النفوس المريضة والضمائر الميتة ؛ وهذه الرغبات الفاسدة عمرها

قصير ؛ إذ سرعان ما يفضح الله أمرها للناس ؛ وقد زكى الله سبحانه وتعالى المؤمنين من ارتكاب هذه الكبيرة في قوله (١٢٤) : **{ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ }** ؛ وقبل ذلك نهى الله عزَّ وجل المؤمنين عن ارتكاب هذه الكبيرة فقال (١٢٥) : **{ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ }** ؛ وروي عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم قوله (١٢٦) : **(عدلت شهادة الزور الشرك بالله مرتين)** ؛ وهذا يعنى أنَّ الرسول عدَّ هذه الكبيرة أعظم من الشرك بضعفين ؛ وقال تعالى (١٢٧) : **{ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ }** ؛ والمسرف الكذّاب هو شاهد الزور ؛ وقال النبي محمد عليه الصلاة والسلام (١٢٨) : **(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الإشراك بالله ؛ وعقوق الوالدين ؛ ألا وقول الزور ؛ ألا وشهادة الزور ؛ فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)** .

السادس عشر : شربُ الخمرة ، لأن الله تعالى نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان ، شرب الخمرة حُرِمَ على ثلاث مراحل ؛ وبشكل تدريجي ؛ فالخمرة تعدُّ من كبائر الذنوب ، فقد حرمها الله سبحانه وتعالى ، لما فيها من أضرار على الفرد والمجتمع ، والخمرة كانت شائعة ومنتشرة في المجتمع العربي قبل الإسلام ، فهم يعاقرونها في أي وقت متاح لهم ، لذلك اتبع الإسلام معهم منهجاً تربوياً خالصاً حينما أراد تحريمها ، فحرمها بشكل تدريجي وعلى دفعات ولم يحرمها دفعة واحدة ، وهي كما يأتي :

١- حذر الله المسلمين من معاقرة الخمرة وشربها ، بطريقة النصح والإرشاد وعدم استفزازهم ، فهم حديثو الإسلام ، ولم يستوعبوه بعد، وكذلك تحسباً من ارتدادهم ، أو تجنبهم الإسلام ، وعدم الدخول فيه ، فقال الله تعالى (١٢٩) : **{ يَسْئلُونكَ عَنِ الخَمْرِ والمَيْسِرِ ، قُلْ فيهُما إثمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلْنَّاسِ ، وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهُمَا }** نلحظ هنا أنَّ المعادلة القرآنية قد رجحت جانب الإثم على جانب النفع ، فعلى وفق ذلك على المسلم الأخذ بأيهما أكثر فائدة ، وهي الابتعاد عن الإثم ؛ والذي يعدُّ نوعاً من المعاصي يعاقب عليه المسلم .

في بداية شروق شمس الإسلام ، والى مدة ليست بقصيرة كانت الآية الكريمة السابقة سارية المفعول ، ولم تنسخ بعد ، وحينما شُرِعَتْ الصلاة بدأ المسلمين يؤدون الصلاة ، وبعضهم يأتي إلى الصلاة وهو مخمورٌ ، لا يعي ما يقول ، ولا يسمع جيداً ، مما ولد إرباكاً في الصلاة، فضلاً عن أنَّهُ كانت تصدرُ عنه أفعالاً وحركات منافية للآداب والأخلاق ، فنزلت الآية الكريمة الآتية ناسخة الآية السابقة ؛ ومبطلة عملها ، فأمرت المسلمين بعدم التقرب من الصلاة وإدائها إلا إذا كانوا خارج تأثير الخمرة ، وبما أنَّ الصلاة تؤدى خمس مرات في اليوم الواحد ، فقد قلَّ عدد شاربي الخمرة ، وبدأت أعدادهم بالانحسار ، وأصبحوا أفراداً قليلون جدا ، وهنا نزل قوله تعالى (١٣٠) **:{يَا أيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُوا}.**

٢- بعد أنْ قويت شوكة المسلمين ؛ وازداد عددهم بشكل لافت للنظر ؛ وتعمق إيمان الناس بالإسلام ، هنا حرم الله سبحانه وتعالى الخمرة فنسخ الآيتين السابقتين ؛ وأبطل العمل بهما ؛ وذلك في قوله تعالى(١٣١) : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنْ الصَّلوَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ** } نلحظ أنَّ الخطاب في الآيتين الكريمتين موجه للمؤمنين ، مؤكداً أنَّ الخمرة رجسٌ من عمل الشيطان المعارض للإيمان ، فضلاً عن كونها تبعد المؤمن عن الله أولا ؛ وعن الصلاة ثانيًا ، وفي الآيتين الكريمتين استفهام إنكاري موجه للمؤمنين هل أنتم ستنفذون ما أمر الله به ؛ أم ستتمردون عليه .

في الآيتين اللتين جاءتا في الفقرة الثالثة قال رسول الله مُحمَّد عليه الصلاة والسلام (١٣٢) : (اجْتنبُوا الخمرَ فإنَّها أم الخبائث) ومعنى ذلك إنَّ من لم يجتنبها قد ارتكب إثماً ومعصية ، ومن يعصِ أمر الله سبحانه وتعالى ورسوله ، سيدخل النار مهاناً في قوله تعالى(١٣٣) : { **وَمَنْ يعصِ اللهَ ورسولَهُ ، ويتعدَّ حُدُودَه يُدخِلْهُ ناراً خالِداً فيها ولهُ عذابٌ مهينٌ** } ، وروى عبدالله بن عمرو عن رسول الله قوله (١٣٤) : (الخمر أكبر الكبائر) ، فيما روى أبو هريرة أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) قال (١٣٥) : (مدمنُ الخمر كعابد الوثن) أي أنه مشركٌ ، وأنَّ الله يغفر الذنوب جميعاً إلا

الشرك ، والخمرةُ عدل الشرك فعقوبتها مثل عقوبة الشرك ، وقبل ذلك قال رسول الله (١٣٦) : (من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه) لذا فعلى المسلم الصادق الإيمان تجنب الخمرة وعدم الاقتراب منها ، لأنَّ شاربها هو عدلُ المشرك ؛ لا يغفر الله ذنوبه ؛ وسيدخله النار ذليلاً مهاناً ، ومن روائع أحكام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنـَّهُ حدَّ النجاشي الشاعر ثمانين جلدةً لشربهِ الخمرَ ، وأمر بحبسه ؛ وفي الصباح حدَّهُ عشرون جلدةً أخرى ، فقال النجاشي : ضربتني ثمانين في شرب الخمر ، وهذه العشرون ما هي ؟ فقال له : لتجرأك على شربِ الخمرةَ في شهرِ رمضان (١٣٧) ، وبذلك يكون حدُّ شارب الخمرة في رمضان مائة جلدةً لتجاوز المذنب على حرمة شهر رمضان وقدسيته .

السابع عشر : ترك الصلاة أو شيء مما فرض الله ، لأنَّ رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) قال (١٣٨) : (من ترك الصلاة فقد بريء من ذمة الله وذمة رسوله) . الصلاة ركن مهم من أركان الدين الإسلامي الحنيف ؛ وهي فرضٌ يجب على العبد المؤمن المسلم تأديته ؛ مهما كانت الأسباب والموانع ؛ ولا يعذر كائن من يكون من تأديتها ؛ فهي تُؤدى إما قياماً وقعوداً ؛ وركوعاً وسجوداً ؛ وهي الأصل الواجب ؛ فإنْ لم يستطع المسلم تأديتها لسبب ما ؛ فعليه أنْ يؤديها من وضع الجلوس ؛ فإنْ لم يستطع فعليه أنْ يؤديها بالإشارة

والإيماء ؛ وإنْ لم يستطع فليؤدها باللسان وذلك أضعف الإيمان ؛ ذلك لأنَّ الصلاة تمثل عماد الدين ؛ فإن صلحت صلح ما سواها ؛ وإن خابت خاب ما سواها ؛ فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)(١٣٩) : (أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة ؛ فإنْ صلُحتْ فقد أفلح وأنجح ؛ وإنْ نقصت فقد خاب وخسر) ؛ وسُئِلَ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أيُّ الأعمال أحب إلى الله تعالى في الإسلام؟ قال (١٤٠) : (الصلاة لوقتها ؛ ومن ترك الصلاة ؛ فلا دين له ؛ والصلاة عماد الدين) ؛ قال الله سبحانه وتعالى في الصلاة(١٤١): **{ إِنَّ الصَّلَوةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِينَ كِتَابَاً مَوْقُوتَاً }** ؛ وبعد أنْ فرض الصلاة أمر المسلمين بتأديتها ؛ فقد أمر الرسول والمؤمنين بتأديتها فقال (١٤٢) : **{ قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا ؛ يُقِيمُوا الصَّلَوةَ }** ؛ وقال(١٤٣): **{ وَآمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا }** وأمرهم بالمحافظة عليها فقال (١٤٤) : **{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ؛ وَالصَّلَوةِ الوُسْطَى }** ؛ والصلاة الحقّة ترفع من شأن المسلم عند الله وذلك من خلال ابتعاده عن المنكرات وما نهى الله عنه فقال (١٤٥) : **{ وَأَقِمِ الصَّلَوةَ إِنَّ الصَّلَوةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ }** ؛ وهنالك بعض من المسلمين يتهاونون في الصلاة ويؤخرونها عن وقتها المحدد لها شرعاً وبلا عذر ؛ عند ذلك يكونون قد استخفوا بها ؛ ولم يلتزموا بوقتها ؛ فقال عزَّ من قائل (١٤٦) : **{ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ }** ؛ وفي يوم القيامة تدخل أعداد كبيرة في النار ؛ فيسألهم خازن النار : لم دخلتم النار ؛ فقالوا (١٤٧) : **{وَلَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِينَ}** ؛

وهذا يعني أنَ من يتهاون في صلاته ويؤخرها عن وقتها ؛ وكذلك من لا يصلي ؛ فإنَّ مصير النار يصلاها مذموماً مدحوراً ؛ وكان النبي عليه الصلاة والسلام يؤمر المسلمين ومؤكداً أنْ يأمروا أولادهم بتأدية الصلاة ترغيباً وترهيباً (١٤٨) فيقول : (مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ؛ فإذا بلغ عشر سنين ؛ فاضربوه عليها) ؛ وكان عليه الصلاة والسلام يعدُّ تارك الصلاة كافراً (١٤٩) : (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة) ؛ وكان يردد ويقول (١٥٠) : (من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله) .

الثامن عشر : نقض العهد ، وقطيعة الرحم ، قال الله تعالى (١٥١): **{ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّار }** ، هذه الكبيرة تتكون من جزأين الأول العهد ؛ والعهدُ لغةً : هو اتفاق بين طرفين على أن لا يغدر أحدهما بالآخر ولا يعتدي عليه ؛ والعهد هو كلمة شرف أخلاقية ؛ وعلى العبد المسلم الالتزام ؛ والتمسك بشروطها ؛ وعدم الخروج عليها ونقضها ؛ إلا إذا خرق الطرف الآخر بنودها ؛ وأفضل العهود ما كان مكتوباً موثقاً بالشهود ؛ وفي هذا الصدد تعد كلُّ الأوامر الرّبانية فضلاً عن النواهي عهوداً بين الله وعباده ؛ وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما (١٥٢) : (العقود : تعني ما أحلَّ ؛ وما حرم ؛ وما فرض ؛ وما حدَّ في القرآن) ؛ والقرآن الكريم يؤكد الإيفاء بالعهود ؛ وعدَّ العهد من الأمور المهمة والكبيرة ؛ وأمر المؤمنين الالتزام بها والوفاء للطرف الآخر ؛ فقال تعالى (١٥٣) :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالعُهُودِ } ؛ وقال (١٥٤) : **{ وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهَدَ كَانَ مَسْؤُولاً }** ؛ وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يعد الغدر وعدم الالتزام بالعهد خصلة من النفاق في قوله (١٥٥) : (أربعاً من كنَّ فيه ؛ كان منافقاً خالصاً ؛ ومن كانت فيه خصلة منهن؛ كانت فيه خصلة من النفاق ؛ حتى يدعها : إذا حدث كذب ؛ وإذا أؤتمن خان ؛ وإذا عاهد غدر ؛ وإذا خاصم فجر) .

وأما الجزء الثاني فهو قطيعة الرحم ؛ والرحم منتزعة من الرقة والتعطف والرحمة ؛ والرحمة تعني المغفرة ؛ ومنه الرُّحْم والرُّحُم : أي العطف والرحمة ؛ والرّحم : قرابة تجمع بني أب وبينهما الرّحم ؛ أي بينهما قرابة قريبة (١٥٦) ؛ الرحم هي قرابة الدرجة الأولى ؛ وتشمل من يرتبط معك عن طريق الأب والأم والأخ والأخت وما يتصل بهم ؛ قال تعالى (١٥٧) : **{أُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ}** ؛ أي أنَّ أولوا الرحم هم أولياء أولي رحمهم ؛ ولكن الله عزَّ وجل أراد أن تكون صلة الرحم ايجابية تصب في مصلحة أولي الرحم فقال (١٥٨) : **{ يَا أُيُّهَا النَّاسُ اتَقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهَمَا رِجَالاً وَنِسِاءً وَاتَقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ...}** ؛ ونهى الله سبحانه وتعالى نهياً قاطعاً قطع صلة الأرحام وأمر المؤمنين بالتمسك بها في قوله تعالى(١٥٩) : **{ فَهَلْ عَسِيتُمْ إِنْ تِوَلَيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}** هاتان الآيتان الكريمتان تختصان بالعلاقة بين أولي

الأرحام حين يتبوؤ أحدهم منصباً أو مركزاً في الدولة فيتنكرُ لأولي رحمه ؛ وكأنَّه لا يعرفهم فيقطع علاقتهُ بهم ؛ هذا الصنف من أُولي الأرحام لعنهُ اللهُ ؛ وسيحشرهُ يوم القيامة أصمّاً وأعمى ؛ أعمى بصراً وبصيرة ؛ أي هو أعمى عينٌ وقلبٌ ؛ وقبل ذلك قال تعالى (١٦٠) : **{وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ؛ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ؛ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ؛ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ }** ؛ أي أنَّ هؤلاء مبعدون من رحمة الله ؛ وعاقبتهم يوم القيامة داراً في جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ؛ فيما قال أبو عبدالله الصادق عليه الصلاة والسلام (١٦١) : (إنَّ الرّحم معلقة بالعرش تقول : اللهم صل من وصلني ؛ واقطع من قطعني ؛ وهي رحمُ آل محمد ؛ وهي قوله تعالى (١٦٢) : **{ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشِوْنَ رَبَّهُمْ }** ؛) ؛ فعلى المؤمن الحق أنْ يبرَ والديه ويصلهما ؛ وأن يطبق ذلك مع كل من تربطه به صلة رحم ؛ عند ذاك يرحمه الله؛ وأنْ جحد والديه وذوي أرحامه قطعه الله وأدخله ناراً حامية.

فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وعويل ؛ وهو يقول (١٦٣) : (هلك من قال برأيه ؛ ونازعكم في الفضل والعلم) ؛ وأنا أقول : لله درُكَ سيدي ومولاي يا أبا عبدالله ، أشهدُ أنك القرآن الناطق ، والإمام المفترض الطاعة على المسلمين كافة ؛ وقد نجا من تمسك بكم ؛ وخاب وهلك من اتبع غيركم ؛ والحمدُ لله ؛ وصلى الله تعالى على محمد وآله وسلم تسليماً كثيرا .

الهوامش :

١- لسان العرب : مادة ذنب

٢- سورة الشعراء الآية : ١٤

٣- لسان العرب مادة ذنب

٤- لسان العرب مادة ذنب

٥- لسان العرب مادة ذنب

٦- ديوان الحطيئة : ١٥

٧- لسان العرب مادة : ذنب

٨- أساس البلاغة مادة : كبر

٩- سورة الشورى الآية : ١٣

١٠- سورة النجم الآية : ٣٢ ؛ وسورة الشورى الآية : ٣٧

١١- سورة الشورى ؛ الآية : ٣٧

١٢- لسان العرب ؛ مادة كبر

١٣- سورة يوسف الآية : ٣١

١٤- أصول الكافي : ٢ / ٢٩٦

١٥- سورة النساء الآية : ٣١

١٦- صحيح البخاري : الحديث رقم ٢٧٦٧ ؛ وصحيح مسلم الحديث رقم ٨٩

١٧- سنن البيهقي في الشعب رقم الحديث : ٢٩٤

١٨- أصول الكافي : ٢٠٣/٢ - ٢٠٤

١٩- أصول الكافي : ٢ / ٣٠٢
٢٠- أصول الكافي : ٢ / ٢٠٣ - ٢٠٤
٢١- سورة الشورى الآية : ٣٧
٢٢- سورة المائدة الآية : ٧٢
٢٣- سورة النساء ؛ الآية : ٤٨
٢٤- مجمع البيان : ٣ / ٧٧
٢٥- سورة لقمان الآية : ١٣
٢٦- سورة الكهف الآية : ١١٠
٢٧- مسند أحمد الحديث : ٢٧٧٤٢
٢٨- سورة يوسف الآية : ٨٧
٢٩- سورة الشورى الآية : ٢٨
٣٠- صحيح مسلم الحديث : ٢٨٧٧
٣١- سورة الحجر ؛ الآية : ٥٦
٣٢- سورة الأعراف الآية : ٩٩
٣٣- سورة الأنعام الآية : ٤٤
٣٤- سورة الدخان الآية : ٥١
٣٥- مسند أحمد : رقم الحديث : ١٧٦٣٠
٣٦- صحيح مسلم رقم الحديث : ٢٦٥٤
٣٧- صحيح البخاري رقم الحديث : ٤٢٠٢ ؛ وصحيح مسلم رقم الحديث : ٢٦٥١
٣٨- صحيح البخاري رقم الحديث : ٦٦١٧

٣٩- سورة الأنفال الآية : ٢٤

٤٠- سورة النساء ؛ الآية : ٩٣

٤١- سورة الفاتحة الآية : ٥

٤٢- سورة الإسراء الآية ؛ ٢٣

٤٣- سورة لقمان الآية : ١٤

٤٤- سورة الإسراء الآيتان : ٢٣ ــ ٢٤

٤٥- سنن الترمذي ؛ رقم الحديث : ١٨٩٩ ؛ والبيهقي رقم الحديث : ٧٨٢٩

٤٦- مستدرك الحاكم : ١٣٥/٤

٤٧- صحيح مسلم رقم الحديث : ١٩٧١

٤٨- لسان العرب مادة : عقَّ

٤٩- سورة النساء الآية : ٩٣

٥٠- سورة التين الآية : ٤

٥١- سورة البقرة الآية : ٣٠

٥٢- سنن النسائي : رقم الحديث : ٣٩٨٦ ؛ الترمذي رقم الحديث : ١٣٩٥

٥٣- سورة المائدة الأية : ٣٢

٥٤- صحيح البخاري ؛ رقم الحديث : ٣١٦٦

٥٥- سنن النسائي : رقم الحديث : ٣٩٨٤ ؛ ومسند أحمد : رقم الحديث : ١٦٤٦٤

٥٦- سورة النور الآية : ٢٣

٥٧- سورة النور الآية : ٤

٥٨- صحيح البخاري رقم الحديث : ٦٨٥٨ ؛ صحيح مسلم رقم الحديث : ١٦٦٠

٥٩- صحيح البخاري رقم الحديث : ٢٧٦٧ ؛ صحيح مسلم رقم الحديث : ٢٨٧٤

٦٠- سورة النساء الآية : ١٠

٦١- سورة النساء الآية : ٦

٦٢- سورة النساء الآية : ١٠

٦٣- سورة الإسراء الآية : ٣٤

٦٤- سنن البيهقي رقم الحديث : ٣٩٠/٣

٦٥- صحيح البخاري رقم الحديث : ٦٠٠٥ ؛ ٥٣٠٤

٦٦- صحيح البخاري رقم الحديث : ٣٦٧٩

٦٧- المعمرون والوصايا : ١٥٠

٦٨- المعمرون والوصايا : ١٥٠

٦٩- سورة الإنسان الآية : ٨

٧٠- سورة الأنفال الآية : ١٦

٧١- سورة الأنفال الآية : ١٥

٧٢- سورة الأنفال الآية : ١٦

٧٣- سورة الأنفال الآية : ٦٥

٧٤- سورة الأنفال الآية : ٦٦

٧٥- سورة الأنفال الآية : ٩

٧٦- سورة البقرة الآية : ٢٧٥

٧٧- سورة آل عمران الآية : ١٣٠

٧٨- لسان العرب مادة : ربب

٧٩- سورة الروم الآية : ٣٩

٨٠- سورة البقرة الآية : ٢٧٥

٨١- تاريخ الطبري : ١٦٨/٣ ؛ والبيان والتبيين : ٣١/٢

٨٢- سنن ابن ماجة : رقم الحديث : ٢٢٧٣

٨٣- مستدرك الحاكم : ٣٧/٢ ؛ وسنن البيهقي رقم الحديث : ٧٩٢٦

٨٤- سورة البقرة الآية : ١٠٢

٨٥- سورة البقرة الآية : ١٠٢

٨٦- سنن الترمذي رقم الحديث : ١٤٦٠ ؛ سنن البيهقي : ١٣٦/٨

٨٧- مسند أحمد بن حنبل رقم الحديث : ١٩٠٧٥

٨٨- سنن ابن ماجة رقم الحديث : ٣٥٣٠ ؛ ومسند أحمد بن حنبل رقم الحديث : ٢٦٠٤

٨٩- سنن الترمذي رقم الحديث : ٢٠٦٠ ؛ ومسند أحمد بن حنبل رقم الحديث : ٢١١٣

٩٠- سورة الفرقان الآية : ٦٨

٩١- الكبائر : ٥٠

٩٢- سورة النور الآية : ٢

٩٣- سنن البيهقي رقم الحديث : ٥٣٦٦

٩٤- أصول الكافي : ٢/ ٢٩٩

٩٥- أصول الكافي : ٢/ ٢٩٩

٩٦- سورة الإسراء الآية : ٣٢

٩٧- سورة آل عمران الآية : ٧٧

٩٨- سورة آل عمران الآية : ٧٧

٩٩- الكبائر : ١٠٣

١٠٠-صحيح البخاري ؛رقم الحديث : ٢٦٦٩ ؛ صحيح مسلم رقم الحديث : ١٣٦

١٠١-صحيح مسلم رقم الحديث : ١٣٧ ؛ ومسند أحمد رقم الحديث : ٢١٧٣٦

١٠٢-سورة آل عمران الآية : ١٦١

١٠٣-لسان العرب مادة : غلَّ

١٠٤-سورة الأنفال الآية : ٥٨

١٠٥-سورة آل عمران الآية : ١٦١

١٠٦-مسند أحمد رقم الحديث : ٢٢٢٠٧ ؛ مستدرك الحاكم : ٤٩/٣

١٠٧-صحيح البخاري رقم الحديث : ٣٠٧٤

١٠٨-سنن النسائي رقم الحديث : ١٩٥٩

١٠٩-سورة التوبة الآية : ٣٤

١١٠-لسان العرب مادة زكا

١١١-سورة النور الآية : ٢١

١١٢-سورة التوبة الآية : ١٠٣

١١٣-سورة الشمس الآية : ٩

١١٤-سورة النساء الآية : ٤٩

١١٥-لسان العرب مادة : زكا

١١٦-سورة الحديد الآية : ٧

١١٧-سورة المعارج الآية : ٢٣ - ٢٤

١١٨-سورة البقرة الآية : ٤٣

١١٩-سورة التوبة الآيتان : ٣٤-٣٥

١٢٠-صحيح البخاري رقم الحديث : ١٤٠٣

١٢١-سورة آل عمران الآية : ١٨٠

١٢٢-سورة فصلت الآيتان : ٦-٧

١٢٣-سورة البقرة الآية : ٢٨٣

١٢٤-سورة الفرقان الآية : ٧٢

١٢٥-سورة الحج الآية : ٣٠

١٢٦-سنن الترمذي رقم الحديث : ٢٣٠٠ ؛ مسند أحمد رقم الحديث : ١٧١٥١

١٢٧-سورة غافر الآية : ٢٨

١٢٨-صحيح البخاري رقم الحديث : ٢٦٥٤ ؛ صحيح مسلم رقم الحديث : ٨٧

١٢٩-سورة البقرة الآية : ٢١٩

١٣٠-سورة النساء الآية : ٤٣

١٣١-سورة المائدة الآيتان : ٩٠ ــ ٩١

١٣٢-سنن البيهقي : ٥٥٨٦/٥

١٣٣-سورة النساء الآية : ١٤

١٣٤-مستدرك الحاكم ١٤٧/٤

١٣٥-مسند أحمد رقم الحديث : ٥٥٧٥

١٣٦-مستدرك الحاكم : ٢٢/١

١٣٧-قضاء الإمام علي : ٤٤

١٣٨-أصول الكافي : ٣٠٤/٢

١٣٩-سنن الترمذي رقم الحديث : ٤١٣

١٤٠-الكبائر : ٢١

١٤١-سورة النساء الآية : ١٠٣

١٤٢-سورة إبراهيم الآية : ٣١

١٤٣-سورة طه الآية : ١٣٢

١٤٤-سورة البقرة الآية : ٢٣٨

١٤٥-سورة العنكبوت الآية : ٤٥

١٤٦-سورة الماعون الآيتان : ٤ ــ ٥

١٤٧-سورة المدثر الآية : ٤٣

١٤٨-سنن الترمذي رقم الحديث : ٤٠٧

١٤٩-سنن الترمذي رقم الحديث : ٢٦٢٠

١٥٠-مسند أحمد رقم الحديث : ٢٦٨١٨

١٥١-سورة الرعد الآية : ٢٥

١٥٢-الكبائر : ١٧٦

١٥٣-سورة المائدة الآية : ١

١٥٤-سورة الإسراء الآية : ٣٤

١٥٥-صحيح البخاري رقم الحديث : ٢٤٥٩ ؛ صحيح مسلم رقم الحديث : ٥٨

١٥٦-لسان العرب مادة : رحم

١٥٧-سورة الأنفال الآية :٧٥ ؛ وسورة الأحزاب الآية : ٦

١٥٨-سورة النساء الآية : ١

١٥٩-سورة محمد الآيتان : ٢٢ ــ ٢٣

١٦٠-سورة الرعد الآية : ٢٥

١٦١-أصول الكافي : ١٧٩/٢

١٦٢-سورة الرعد الآية : ٢١

١٦٣-أصول الكافي : ٣٠٤/٢

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أساس البلاغة - لجار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق الأستاذ عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، بيروت .
- أصول الكافي – للمحدث الخبير ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني الرازي ؛ دار الأسوة للطباعة والنشر ؛ مطبعة القرآن الكريم الكبرى ؛ ط ٦ ؛ ١٤٢٨ه ؛ طهران – إيران .
- البيان والتبيين – الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م ، مصر .
- تاريخ الطبري – أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ) ، تحقيق أبو الفضل محمد إبراهيم ، دار المعارف ، ١٩٦٣م ، مصر .
- ديوان الحطيئة – بروية ابن السكيت (ت٢٤٦هـ) ؛ تحقيق د. نعمان محمد أمين طه : مكتبة الخانجي ؛ ط١ ؛ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ؛ القاهرة .
- سنن الترمذي ، وهو الجامع الصحيح - باب المناقب – للإمام المحدث أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٩٧هـ) ، ضبطه وصححه خالد عبدالغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، بيروت .
- سنن النسائي – دار الكتب العلمية ، طبعة بيروت .
- السنن الكبرى للبيهقي ، دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، الهند .
- صحيح البخاري – طبعة عيسى الحلبي ، القاهرة .
- صحيح مسلم بشرح النووي - مطبعة دار إحياء التراث العربي ، ط٣ ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .

- قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – للعلامة الشيخ مُحمَّد تقي التستري ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧هـ ، طهران .
- الكبائر – للإمام الحافظ أبي عبدالله مُحمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ٨ شارع جوهر ، الدراسة ، القاهرة ، (د.ت) .
- لسان العرب – ابن منظور ، أعاد بناءه على الحرف من الكلمة يوسف خياط ونديم مرعشلي ، دار لسان العرب ، بيروت .
- المستدرك على الصحيحين - عبدالكريم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، طبعة دار الكتب العلمية ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) ، رقم أحاديثه محمد عبدالسلام الشافي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، بيروت لبنان .
- مجمع البيان – مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم – للإمام الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن ابن الفضل الطوسي ، وضع حواشيه وشرح آياته إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٧م ، بيروت .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – وضعه محمد فؤاد عبدالباقي ؛ دار الجيل ؛ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ؛ بيروت .

الفصل الثالث

العقوبة القرآنية منهج تربوي
لإصلاح الفرد والمجتمع

العقوبةُ القرآنيةُ منهجٌ تربويٌ لإصلاحِ الفردِ والمجتمعِ

اللهُ سبحانه وتعالى خالق كلَّ شيءٍ ، خلق السموات والأرض والكواكب والنجوم ، وخلق لها سكاناً ، فجعل الملائكة سكاناً للسماوات ، والأنس والجن سكاناً للأرض ، وأما الكواكب والنجوم فلا يعلم سكانها إلا الله سبحانه وتعالى وحده ، فالسموات خلقها اللهُ منزهةً خاليةً من النقص والعيوب ، لذا كان سكانها منزهين من الجهل والخطل ، وليس مطلوباً منهم أعمار السموات أو إصلاحها ، أما الأرض فقد خلقها الله لتكون ميداناً تطبيقياً لإعمال البشر ، والعمل في الأرض يعني أنَّ هناك أعمالاً ستكون صالحة يرضاها الله ، وأخرى غير صالحة لا يرضاها ، لذلك كان لكل نوع من الأعمال جزاؤُه بما يستحق ، فخلق الجنة والنار ، فكانت الجنة ثواباً ومكافأة لعباد الله الصالحين ، والنار عقاباً للمتمردين من المشركين والمنافقين الذين وقفوا حجر عثرة أمام التعاليم التي جاء بها الأنبياء والمرسلين من عند الله ، وهذه الأعمال سواءً كانت المقبولة أو المرفوضة فهي بحاجة إلى أداة تنفيذية تقوم بتنفيذها ، فكان الإنسان هو تلك الأداة ، لذلك حينما خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان كرمه في خلقه فقال (١) : **{لقدْ خلقنا الإنسانَ في أحْسَنِ تقوِيمٍ}** ، وبناءً على هذا الخلق المبارك الذي أحسن الله صنعه ، جعله الله عزَّ وجل سيداً للمخلوقات كافة ، فقال (٢) : **{ إنِّي جاعلٌ في الأرْضِ خليفَةً }**، وعنى بذلك الإنسان ، وهذا تكريمٌ ثانٍ للإنسان ، وبما أنَّ الإنسانَ متسرعاً في تصرفاته فقد وصفه الله تبارك وتعالى في

قوله (٣) : **{وكانَ الإنسانُ عجُولاً}** ، وهذا يعني أنـَّه سريع الأحكام، وبذلك سيضيع ويفقد السيادة على الأرض ، لأنَّ سيادة الأرض تخضع لضوابط وضعها الخالق سبحانه وتعالى ، لذلك كان لابد للإنسان أنْ يحصل على شيء يسير به حياته وينظمها ، فمنحه الله العقل والنفس ، وهذا دليل على أنَّ الحياة صراع بين إرادتي الخير والشر اللتين أعطاهما للنفس في قوله تعالى (٤) : **{وَنفسٌ وما سَواها ۞ فألهَمَهَا فجُورَها وتقوَاهَا}** ، وهذا يعني أنَّ الإنسانَ سيصارع الحياة بنفسه فضلاً عن الصراع الداخلي بين العقل والنفس، فالعقلُ يمثلُ كابحَ شهوات النفس الإمارة بالسوء ، لأنَّ النفس دليل الشهوات ، فأيهما كانت له الغلبة فهو الذي يسيطر على شخصية الإنسان ، ولكن حاشا لله أنْ يتخلى عن عبده ويتركه في حيرة من أمره ، فقال (٥) : **{أيَحْسَبُ الإنسانُ أنْ يُترَكَ سُدَى}** ، فقال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن هذه الآية مخاطبا المسلمين (٦) : (فإنَّ الله لم يخلقكم عبثاً ؛ ولم يترككم سدى) أي أنَّ الله خلق الإنسان ليعبده أولاً ؛ ومن ثم ليعمر الأرض ويسعى في إصلاحها ؛ لذلك أنزل عليه الشرائع السماوية ، وأرسل إليه الأنبياء والرسل ليفصّلوا له الشرائع ويهدونه إلى سُبل الرشاد ، ومع ذلك فالإنسان مُخيرٌ في أفعاله غير مُجبر ، فإما أنْ تقودهُ أفعاله إلى طريق الهدى والصلاح ، لينال رضا الله ، وأما أنْ تقوده إلى الضلال والغواية ليدخل في نار جهنم ، جزاء بما قدمت يداه ، والصنف الثاني من الناس يتميز بالعناد والإصرار على عدم طاعة

الرسل والأنبياء ، ورفض كل ما يأتون به من البيينات ، بل يزدادون إصراراً على ارتكاب المعاصي ومخالفة الأنبياء والرسل ، فضلاً عن إلحاق الأذى بالمؤمنين ، لذلك فهؤلاء الخارجين والمتمردين على الأنبياء والرسل وتعليمات الشرائع السماوية ، فقد حدد الله سبحانه وتعالى لهؤلاء عقوبات منها ما هو في الحياة الدنيا ، والأخر أخروي مؤجل إلى يوم القيامة ، والذي يعنيني في هذا البحث هو العقوبات الدنيوية الإصلاحية التي تصب في خدمة إصلاح المجتمع والفرد.

فالعقوبات الأخروية هي عقوبات نهائية لا عفو وراءها ، ولا تقبل توبة أصحابها ، أما العقوبات الدنيوية فهي عقوبات إصلاحية المُراد منها تقويم سلوك المجتمع والأفراد ، وبإمكان الفرد التوبة والإستغفار ما دام على قيد الحياة في الدار الدُنيا ، وتجاوز الأعمال السلبية السابقة التي اقترفها والعودة إلى الطريق القويم ، وهذا هو الهدف من مثل هذه العقوبات ، ولكن العقوبات الإصلاحية تترك أثراً واضحاً على الفرد ، لكي يبقى ذلك الأثر يذكرُ المذنب بما اقترف من ذنب فلا يعود إليه ثانية ، وهذا هو الهدف من العقوبة ، وذلك لكي يظل الذنب وعقوبته ماثلان أمام عينيه ولا يفارقانه مادام حياً ، لأنَّ العرف العام السائد يقول : ((من أمن العقاب أساء الأدب)) ، فمن هذا المنطلق كانت عقوبات القوانين الربانية والوضعية ، هي لإيقاف أصحاب النفوس الضعيفة ، والضمائر الميتة ومنعهم من الاستمرار بالتطاول على الآخرين واعتداء عليهم ، أو عدم تطبيقهم

لما يريده الله والرُسل ، وسنقف على بعضٍ هذه العقوبات الدنيوية الإصلاحية ، وستكون عقوبات الحدود هي محور هذا البحث ، وهي كما يأتي :

أولا : السّرقة بأنواعها قد حرمها الله سبحانه وتعالى ، وهي تعني أخذ أموال الآخرين في غفلةٍ منهم ، وهم غارون لا يعلمون ، لذلك حرم الله السّرقة ، وحدَّ فاعلها بعقوبة قطع اليد في قوله تعالى (٧) : **{ والسّارِقُ والسّارِقةُ فاقطعُوا أيدَيهُما جَزاءً بما كسَبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم }** ، ونلحظ أنَّ هذه الآية الكريمة تتكون من شقين أثنين ، الأول : هو أمرٌ الإلهيٌ صادرٌ من الخالق إلى المخلوق ، وعلى المخلوق تنفيذ ما يُأمر به ، وهو قطع اليد ، والثاني : يتمثل بأنَّ هذه العقوبة هي ليست من وضع البشر ، بل هي من وضع الله سبحانه وتعالى ، واقتراف السرقة يعدُّ تجاوزاً على الله ، لذلك كانت السّرقة من كبائر الذنوب (٨)، ومن روائع الأوصاف للسارق هو ما وصفه به رسول الله مُحمَّد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) في قوله (٩) : (لا يسرق السّارق وهو مؤمن ، ولكن التوبة معروضة) ، وبنظرة بسيطة لقول سيد البشر ستراه يتكون من شطرين ، الأول : يتمثل بأنَّ السارق غير مؤمن ، ولو كان مؤمناً لما سرق ، والثاني : أنَّ اللهَ عفوٌ غفورٌ ، وبإمكان السارق التوبة ، فإذا تاب من قلب سليم فسيجد الله سبحانه قد تجاوز عن ذنبه ، أي بمعنى ثانٍ أنَّ بإمكان إصلاح السّارق إذا تراجع عن السّرقة وأعاد المال لأصحابه ،

واعترف بذنبه ، وطلب العفو والمغفرة ، فسيجد الله حاضراً عفواً غفوراً ، والسؤال القائم ما هو حجم السّرقة ، وما قيمتها لكي يحدُ صاحبها بقطع اليد ، الله سبحانه وتعالى حدد العقوبة ، ولكنه جعل تحديد قيمتها لرسوله الكريم مُحمَّد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد حددها في الحديث الشريف في قوله(١٠): (لا تقطع يد السّارق فيما دون ثمن المُجن) ، قيل للسيدة عائشة (رضي الله عنها) وما ثمن المُجن ؟ قالت (١١) : (رُبع دينار)، وكان رُبع الدينار يومئذ يساوي ثلاثة دراهم فقط (١٢)، وكان رسول الله يقيم الحد على السُراق كافةً ، كانوا من كانوا ، فقد روت السيدة عائشة قائلة (١٣) : (كانت امرأة مخزومية تستعيرُ المتاع وتجحده ، فأمر النبي ((عليه الصلاة والسلام)) بقطع يدها، فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه فيها ، فكلم النبي ، فقال له النبي (١٤) : يا أسامة لا أراك تتشفع في حدٍّ من حدود الله تعالى، ثم قام النبيُ خطيباً فقال : إنما هلك من كان قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، والذي نفسي بيده لو أنَّ فاطمة بنت مُحمَّد سرقت لقطعت يدها) ؛ فقطع يد المخزومية .

وآية السرقة الكريمة وما ترتب عليها من أحاديث شريفة وأخبار مأثورة جعلها ذنب عظيم ، لذلك عدُتْ من كبائر الذنوب، وعقوبة السرقة هي لم تسن بقانون وضعي صنعهُ البشر، بل هي قانون رباني شرعه الخالق العظيم ليطبقهُ على

عباده المذنبين ، والعقوبات الربانية هي حدودٌ حمراء لا يحقُ لكائن من يكون تجاوزها أو التساهل في تطبيقها ، ولاحظنا صرامة رسول الله مُحمَّد وشدته في تطبيق الحدِّ على المرأة المخزومية ، التي تسرق الحاجات من الناس عن طريق الإعـارة، ومن ثم لا تعيدها لهم منكرة الأخذ ، وكيف رأينا رسول الله يزجر أسامة بن زيد حينما تشفع لها ، وهنا على المسلمين أنْ لا يتشفعوا لذوي كبائر الذنوب ، ولاسيما سُراق أموال الشعب المتورطين بالفساد المالي ، لأنـَّهم بعملهم هذا سيتحملون وزراً من تلك الذنوب والجرائم ، وأما إذا ما اعترف السارق بالسّرقة من تلقاء نفسه من غير إكراه ، تائباً إلى رشده ، وتائباً إلى الله ربه ، وأعاد السّرقة إلى صاحبها ، فلا تقطع يد السّارق ، (١٥) هذا ما حكم به أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ومن روائع الأحكام ما قال به الإمام علي بن أبي طالب في حكمه قائلاً (١٦) : (أربعة لا قطع عليهم : المختلس ، والغلول ، ومن سرق من الغنيمة ، وسّرقة الأجير ، فإنها خيانة) ، والخيانة عقوبتها غير القطع ، وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، إذا أقر السّارق على نفسه ، فذلك للإمام إنْ شاءَ عفا ، وإنْ شاءَ قطع (١٧) ، والإقرار هو نوعان ولكلِّ نوع حكم ، الأول : الاعتراف طواعية من غير إكراه ، فعقوبته العفو المشروط بعودة المال إلى المسروق ، والثاني : ما كان تحت سطوة الشهود ، والجرم المشهود ، والقرائن الدالة على

السرقة ، فعقوبته قطع اليد وإنْ اعترف بسرقته وأعادها إلى المسروق .

ثانيًاً : الخمرةُ هي الأخرى من كبائر الذنوب (١٨) ، فقد حرمها الله سبحانه وتعالى ، لما فيها من أضرار على الفرد والمجتمع ، وكانت شائعة ومنتشرة في المجتمع العربي قبل الإسلام ، فهم يعاقرونها ليلاً ونهاراً ، وفي أي وقت يتاح لهم ، لذلك اتبع الإسلام معهم منهجاً تربوياً خالصاً حينما أراد تحريمها عليهم ، فحرمها بشكل تدريجي على دفعات ، ولم يحرمها دفعة واحدة ، وذلك مراعاة للبيئة والجو العام الذي كانوا يعيشون فيه ، وهي كما يأتي :

٣- حذر الله تبارك وتعالى المسلمين من معاقرة الخمرة وشربها، وذلك عن طريق النصح والإرشاد ، وعدم استفزازهم ، فهم ما زالوا حديثو الإسلام ، ولم يستوعبوه بعد أحكامه ، وكذلك تحسباً من ارتدادهم ، أو تجنبهم الإسلام ، وعدم الدخول في دائرته ، والمسلمون هم أنفسهم شعروا بأنَّ الخمرة فيها شر وخير ، لذلك توجهوا بالسؤال والإستفهام عنها من رسول الله ، ولكي يكون الرسول في منأى عن تحريمها ، تولى الله سبحانه وتعالى الإجابة عن هذا السؤال والإستفهام في قوله تعالى (١٩) : { **يَسْئلُونكَ عَنِ الخَمْرِ والمَيْسِرِ ، قُلْ فيهُما إثمٌ كبيرٌ ومنافِعُ للناسِ ، وإثمهُما أكبرُ من نفعِهُمَا** } نلحظ هنا أنَّ المعادلة القرآنية قد

رجحت جانب الإثم على جانب المنافع ، وعلى وفق ذلك على المسلم الأخذ بأيهما أكثر فائدة ، وهي الابتعاد عن الإثم وهو نوع من المعصية يعاقب عليه المسلم .

٤- في بداية شروق شمس الإسلام ، والى مدة ليست بقصيرة كانت الآية الكريمة السابقة سارية المفعول ، ولم تنسخ بعد ، وحينما شرعت الصلاة بدأ المسلمين يؤدونها ، كان بعضهم يأتي إلى الصلاة وهو مخمور ، ولا يعي ما يقول ، ولا يسمع جيداً ، مما ولد إرباكاً في الصلاة وفي صفوف المصلين ، فضلاً عن أنـَّهُ كانت تصدر عنهم أقوالا وأفعالا وحركات منافية للآداب والأخلاق ، فنزلت الآية الكريمة الآتية ناسخة الآية السابقة ومبطلة دورها ، فأمرت المسلمين بعدم الاقتراب من الصلاة وأدائها إلا إذا كانوا خارج تأثير الخمرة ، وبما أنَّ الصلاة تؤدى خمس مرات في اليوم الواحد ، فقد قل عدد شاربي الخمرة ، وبدأت أعداد شاربي الخمرة بالانحسار ، وأصبحوا أفراداً قليلون جدا، وهنا نزل قوله تعالى (٢٠) :**{ يا أيُهَا الذِينَ آمنوا لا تقربُوا الصَلاة وأنتـُمْ سُكارَى حتى تعلمُوا ما تقولون }.**

٥- بعد أنْ قويت شوكة المسلمين ، وازداد عددهم بشكل كبير ولافت للنظر ، وتعمق إيمان الناس بالإسلام ، هنا حرم الله سبحانه وتعالى الخمرة ؛ فنسخ الآيتين السابقتين وأوقف العمل بهما تماما ؛ وعده خطاً أحمراً لا يجوز للمسلمين تجاوزه ، وذلك في قوله تعالى (٢١) : **{ يا أيُهَا الذِينَ آمَنـُوا إنـَّما الخمرُ والميسرُ**

والأنصابُ والأزلامُ رِجْسٌ مِن عملِ الشيطانِ فاجتنبُوهُ لعلكُمْ تـُفلِحُونَ * إنـَّما يُريدُ الشيطانُ أنْ يُوقِعَ بينكُمْ العداوةَ والبغضاءَ في الخمرِ والميسرِ ويصدُكُمْ عنْ ذكرِ اللهِ وعن الصلاةِ فهلْ أنتـُمْ مُنتهُونَ } نلحظ أنَّ الخطاب في الآيتين الكريمتين موجه للمؤمنين، مؤكداً أنَّ الخمرة رجسٌ من عمل الشيطان المعارض للإيمان ، فضلاً عن كونها تبعد المؤمن عن الله أولا وعن الصلاة **ثانيًاً** ، وفي الآيتين استفهام إنكاري موجه للمؤمنين هل أنتم ستنفذون ما أمر الله به أم ستستمرون عليه .

في الآيتين اللتين جاءتا في الفقرة الثالثة قال رسول الله مُحمَّد عليه الصلاة والسلام (٢٢) : (اجْتنبُوا الخمرَ فإنـَّها أم الخبائث) ومعنى ذلك إنَّ من لم يجتنبها قد ارتكب إثماً ومعصية ، ومن يعصِ أمر الله سبحانه وتعالى ، سيكبه الله على وجهه في النار مهاناً في قوله تعالى (٢٣) : **{وَمَنْ يعصِ اللهَ ورسولَهُ ، ويتعدَّ حُدُودَه يُدخِلْهُ ناراً خالِداً فيها ولهُ عذابٌ مهينٌ}** ، قال عبدالله بن عمرو (٢٤) : (الخمرُ أكبر الكبائر) ، وروى أبو هريرة أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) قال (٢٥) : (مدمن الخمر كعابد الوثن) أي أنه مشرك ، وأن الله يغفر الذنوب جميعاً إلا الشرك ، والخمرة عدل الشرك فعقوبتها مثل عقوبة الشرك ، وقبل ذلك قال رسول الله (٢٦) : (من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه) لذا فعلى المسلم الصادق الإيمان تجنب الخمرة وعدم الاقتراب

منها ، لأنَّ شاربها هو عدل المشرك لا يغفر الله ذنوبه ، وسيدخله النار ذليلا مهانا ، ومن روائع أحكام الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام أنـَّهُ حـدَّ النجاشي الشاعر ثمانين جلدة لشربه الخمر ، وأمر بحبسه وفي الصباح حـدَّهُ عشرون جلدة أخرى ، فقال النجاشي : ضربتني ثمانين في شرب الخمر ، وهذه العشرون ما هي ؟ فقال له : لتجرأك على شرب الخمرة في شهر رمضان (٢٧) ، وبذلك تكون حـدُّ شارب الخمرة في شهر رمضان الكريم مائة جلدة لتجاوز المذنب على حرمة شهر الصوم وقدسيته .

ثالثاً : الزنى وهو أيضاً من كبائر الذنوب (٢٨) ، والزنى هو ممارسة الجنس مخاتلة بطريقة غير شرعية ، وبدون عقد نكاح وشهود ، وممارسة هذا العمل في الظلام خلسة من أهل المرأة والمجتمع ، فالزنى هو إساءة للمرأة والرجل ، ولاسيما المرأة التي كرمها الله ، وجعلها عنواناً للعفة والطهارة ، لذلك حلل الله سبحانه وتعالى النكاح وحرم الزنى ، وبما أنَّ الزنى محرم من قبل الله فإنَّ له عقوبة قد حدها سبحانه وتعالى ، وقال علماء المسلمين (٢٩) أنَّ عقوبة الزنى نوعان ، الأولى : الجلد بالسوط مائة جلدة لغير المتزوجين ، طبقاً لما جاء في قوله تعالى (٣٠) : **{ الزّانِيَةُ والزّانِي فاجلِدُوا كُلَّ واحدٍ منهُما مائةَ جلدةٍ ولا تأخذكُمْ بهما رَأْفةً في دينِ اللهِ إنْ كُنتُمْ تؤمِنُونَ باللهِ واليومِ الآخرِ وليَشْهَدْ عذابَهُمَا طائِفةٌ من المؤمنينَ }** أي أنَّ العقوبة يجب أن تكون علنية وعلى مرآى ومسمع من المؤمنين وبحضورهم

وجلدهما بقلب قاس يخلو من الرحمة والشفقة ، لأنَّ الله يأمر بعدم التسامح أو التهاون معهم مهما كانت مكانتهم ، وأما النوع الثاني فهو للمتزوجين ، فهم يرجمون بالحجارة من قبل المؤمنين حتى يموتوا ، فقد قال رسول الله (ص) (٣١) : (إنَّ الإيمان سربال يسربله الله من يشاء ، فإذا زنى العبد نزع الله منه سربال الإيمان، فإنْ تاب رُدَّهُ عليه) ، فالزاني والزانية يخرجان بفعلتهما هذه من قائمة المؤمنين .

رابعاً : قذف المحصنات : والمراد به الإفتراء على المحصنات ، وهن النساء المؤمنات العفيفات الحُرات ، والقيام بقذفهن بالفاحشة زوراً وبهتاناً ، وهن غافلات بريئات مما يقال ويشاع ، وهذا العمل هو ظلم وبهتان ، علماً أنَّ الإفتراء هو أمقت أنواع الكذب ، فقد قال الله تعالى (٣٢) : **{ والذِينَ يَرمُونَ المحصناتِ ثُمَّ لمْ يأتُوا بأربعةِ شُهداءَ فاجلدُوهُمْ ثمانينَ جلدةً ولا تقبلُوا لهُمْ شهادةً أبداً وأولئكَ هُمُ الفاسِقُونَ }** ، فالذي يرمي المحصنات هو مفترٍ كذابٌ ملعونٌ في الدنيا والآخرة ، وله من الله عذابٌ عظيمٌ ، أما في الحياة الدنيا فيحد بالجلد ثمانين جلدة ، فضلاً عن أنَّ شهادته تسقط عنه ولا تقبل بعد ، وإن كان قبل ذلك عدلاً ، وقذف المحصنات هو من كبائر الذنوب (٣٣) ، والزاني والفاسق في مرتبة واحدة .

خامساً : قطع الطريق ونشر الرعب بين سالكي الطُرُق ، وعابري السبيل ، وقطع الطريق هو من كبائر الذنوب (٣٤) ، ذلك لأنَّ

الطُرُق هي لعامة الناس من المسلمين وغيرهم ، ولا يحق لكائن من يكون قطع الطريق ، وإخافة عابري السبيل وترويعهم ، وقطع الطريق يمثل اقتراف ذنبٍ كبيرٍ يعاقب عليه المذنب ويحد ، فكيف إذا كان قطع الطريق مصحوباً بسلب الأموال ، وسفك الدماء ، سواءً بالجرح أو القتل ؟ فإن ذلك يعني أنَّ الجاني المذنب قد ارتكب عدة ذنوب في موقف واحد ، فمن هذا المنطلق عُدَّ قطع الطريق من كبائر الذنوب ، فضلاً عن ذلك فهو ينشر الخوف والرعب بدلاً من الأمن والأمان ، ولهذه الكبيرة عقوبة ربانية تمثلت في قوله تعالى (٣٥) : { **إنَّمَا جزاؤا الذينَ يحارِبُونَ اللهَ ورسولَهُ ويَسْعَوْنَ في الأرضِ فساداً أنْ يُقتَّلُوا أوْ يُصَلَّبُوا أوْ تُقَطَّعَ أيدِيَهِمْ وأرجلِهِمْ من خِلافٍ أوْ يُنفوا من الأرضِ ذلكَ لهُم خزيٌ في الدُنيا ولهُم عذابٌ عظيمٌ** } ، فمن هم الذين يحاربون الله ورسوله ؟ بالتأكيد هم من يعصون أوامرهما ولا يطيعانهما ، فكل من يعصِ أمراً ما ، فهو رافض له ومحارب ، والذي يسعى فساداً في الأرض ، هو الذي يخرب ما أمر الله ورسوله بإصلاحه ، ولهؤلاء المذنبين العتاة عدة عقوبات حددتها الآية الكريمة ، والملاحظ أنَّ هذه العقوبة هي عقوبة تخيرية بين عدة عقوبات وردت في الآية الكريمة ، فـ (أو) التي جاءت فاصلة بين عدة عقوبات ، وقد جاءت للتخيير ، وتعني إعطاء الحق للإمام الحاكم بأمر الله لاتخاذ ما يراه مناسباً من عقوبة لكلِّ مذنب وذنب (٣٦)، وقطع اليد والرجل من خلاف ، يعني إذا قطعت يد اليُمنى

للمُذنب، فاقطع رجله اليُسرى ، وأما النفي من الأرض ، فهي تعني السجن والحبس للمذنب ، لأنَّ في السجن والحبس تقييد حركته ، وهي تعني نفيه من الأرض ، وأما إذا هرب المذنب ، وأفلت من قبضة العدالة والقضاء ، واستمر يعيثُ فساداً في الأرض ، فعلى الإمام الشرعي الحاكم للبلد الإسلامي أنْ يصدر أمراً بإهدار دمه ، وإلزام المسلمين كافة بقتله حيثما وجدوه ، ليخلصوا المجتمع والمسلمين من شره وشروره (٣٧) .

سادساً : الديّة والقصاص : الدية هي ما يدفع من المال إلى أهل المقتول ، ويدفع من خالص مال المذنب الجاني ، والقصاص هو الحكم على القاتل بالقتل ، والقتل هو سلب الحياة من كائن محترم منحها له الله ، وهذه العقوبة هي من السنن الله سبحانه في عباده ، وهي تمثل العقوبة بالمثل ، فالذي يسلب حياة إنسان ؛ عليه أن يفقد حياته ، لأنـَّه مثلما أزهق نفساً بلا ذنب ، يجب أنْ تزهق نفسهُ هو لا غيره ، بموجب قاعدة المعاملة بالمثل ، وقبل الدخول في تفاصيل هذه الحدود ، علينا أنْ نحدد جنس المقتول ، فهو حصراً بالإنسان ولا يحد غيره ، ذلك لأنَّ النفس البشرية من المكرمات عند الله ، لأنَّ الله خلق الإنسان في أحسن تقويم ، ليكون خليفة له في الأرض ، وأمره بأعمارها وإصلاحها ، وقد خلقه في أحسن صورة وهيئة ، وقد حرم الله جلت قدرته قتل النفس البشرية التي لم ترتكب ذنباً ، فكيف بقتل النفس المؤمنة البريئة ، فذلك جريمة كبرى وعظيمة ، فمن قتل تلك النفس فكأنما قتل الناس كافة ،

وهذا تكريم للإنسان وحقن لدمه ، من خلال تحريمه ، فقال تعالى(٣٨) : { **مِنْ أجْلِ ذلِكَ كتبنا على بني إسرائيلَ أنـَّهُ مَنْ قتلَ نفسَاً بغيرِ نفسٍ أوْ فسادٍ في الأرضِ ، فكأنـَّمَا قتلَ الناسَ جمِيعاً**}، والقتل نوعين عمدٌ وخطأ ، ولكل منهما حدوده ، فقاتل العمد حدّه القصاص العادل ، وذلك في قوله تعالى (٣٩) : {**ولكُمْ في القَصاصِ حياةٌ يا أولي الألبابِ لعلكُمْ تتقُونَ**} ، الله سبحانه وتعالى يأمر بقتل القاتل ليرتدع ذوي النفوس المريضة وأصحاب الضمائر الميتة فلا يقدمون على قتل النفس المحرمة ، وقتل القاتل واجب التنفيذ لأنَّهُ مثلما حرم المقتول من الحياة ، عليه أنْ يُحرم منها ، وقبل ذلك حدد الباري عزَّ وجل مجموعة حدود منها القصاص في قوله تعالى (٤٠) : { **يا أيُهَا الذينَ آمَنُوا كُتِبَ عليكُمُ القصاصَ في القتلى ، الحُرُّ بالحُرِّ ، والعبدُ بالعبدِ ، والأنثى بالأنثى ...** } ، الخطاب هنا موجه للمؤمنين القاتل يقتل بأمر الله ، والقصاص يجب أن يكون متكافئاً ومن جنس المقتول وعدلاً له ، فلا نقتص بعبد بدلا من الحر ، والعكس صحيح وكذا الحال قصاص المرأة يجب أن يكون بامرأة مثلها ، وذلك لإحقاق الحق، وعدم إلحاق الأذى والظلم بأهل المقتول ، وقد أكد الله العقوبة بالمثل في قوله تعالى (٤١) : { **الشهرُ الحرامِ بالشهرِ الحرامِ ، والحُرماتُ قصاصٌ ، فمِنْ اعتدى عليكُمْ فاعتدُوا عليهِ بمثلِ ما اعتدى ...**} هذا في القتل العمد أما الحدود في القتل المؤمن خطأ فهي غير ذلك ، لأنَّ القاتل لم يكن قاصداً ذلك ولكن القتل حصل ،

فقال سبحانه تعالى (٤٢) : **{وَمَا كانَ لمُؤْمِنٍ أنْ يقتـُلَ مُؤمناً إلا خـَطأً ، ومَن قـَتـَلَ مُؤمناً خـَطأً فتحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ ودية ٌمُسَلـَّمَة ٌإلى أهلِهِ ، إلا أنْ يَصّدَّقـُوا ، فإنْ كانَ من قومٍ عدوٍ لكُمْ وهوَ مؤمنٌ فتحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ ، وإنْ كانَ من قومٍ بينكُمْ وبينـهُمْ ميثاقٌ فدية ٌمسلمة ٌإلى أهلِهِ وتحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ ، فمَنْ لمْ يجدْ فصيامُ شهرينِ مُتتابعينِ توبة ًمن اللهِ وكانَ اللهُ عليماً حكيماً}** ، نلحظ في هذه الآية الكريمة عدة حدود لحالة واحدة ولكنها تعددت بنوع الحالة ، فالحالة الأولى تتمثل في القتل الخطأ، إذا كان القاتل والمقتول من طرف واحد أو فئة واحدة ، ونلحظ هنا النظرة الرحيمة من الله لعباده المؤمنين إذا كانا من طرف واحد ، فجعل العفو أمراً وارداً ، ولم يجعله في الأنواع الأخرى من القتل الخطأ ، فالحد القائم في الأصل ، وهو دفع دية فضلاً عن تحرير رقبة ، اشترط أنْ تكون مؤمنة ، مقابل أنَّ العفو حصراً بيد ولي أمر المقتول إن أراد أنْ يعفو ، والجدير بالذكر أنَّ أول مؤمن قـُتِلَ خطأً هو الصحابي الجليل اليمان والد الصحابي الجليل حذيفة ابن اليمان الذي قـُتِلَ في معركة أحد خطأ ، فأراد الرسول مُحمّد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) أنْ يدفع ديته ، ولكن ولي أمره ، ابنه الصحابي حُذيفة تصّدق بديته لله ولرسوله وللإسلام ، فقبل الرسول ذلك منه (٤٣) ، أما إذا كان المقتول من طرفٍ معادٍ وهو مؤمن ، وكذلك إذا كان من طرف آخر ولكن تربطه مع المسلمين معاهدة عدم الاعتداء ، وقد اشترط الله

سبحانه وتعالى ، دفع الدية على أنْ تسلم لأهل المقتول فضلاً عن تحرير رقبة مؤمنة ، و شرط العفو لولي الأمر لم يرد هنا ، وإذا كان القاتل مؤمناً ، ولم تكن له القدرة على دفع الدية فتحرير رقبة مؤمنة ، وكان الله به رحيماً ، فاشترط الصيام شهرين متتابعين . ونلحظ في الحد ، الصرامة المطلقة في التطبيق ، وذلك لقطع دابر جريمة القتل سواءً كان عمداً أم خطأً ليكون المسلم المؤمن حذر في استخدام السلاح خوفاً من وقوع المحذور ، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) (٤٤) : ((لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا)) وقال أيضاً في قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق (٤٥) : ((اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : ما هُنَّ يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)) وقتل النفس هي الثالثة بينها ، وذكر القرآن الكريم قصاص آخر تمثل في قصاص الأعضاء البشرية في قوله تعالى (٤٦) : { **وكتبنا علَيهِمْ فيها أنَّ النفسِ بالنفسِ ، والعينَ بالعينِ ، والأنفَ بالأنفِ ، والسِّنَ بالسِّنِ ، والجُرُوحَ قصاصٌ ، فمنْ تصدقَ بهِ فهُوَ كفارةٌ لهُ ...**} ، نلحظ في حدود هذه الآية الكريمة أن من يُعتدى عليه فتفقأ عينه له الحق أن يفقأ عين الجاني ، وكذا بالنسبة للأنف والسن ، وإذا شاء أنْ يتصّدق بها ، فأن الله سيحتسبها في ميزان

حسناته ، وهذا الحكم ينسحب على قتل النفس والجروح أيضاً وذلك رحمة من الله لعباده المؤمنين.

سابعاً : البغي : وهو الاعتداء ظلماً على الآخرين ، وهو اعتداء جماعي من طائفة على طائفة ، على شرط أن تكونا من المسلمين ومؤمنتين ، ذلك لأنَّ الله سبحانه دوماً يؤكد وحدة المسلمين لكي تكون وحدة واحدة مثل البيان المرصوص يشد بعضه البعض الآخر ، ونص على معاقبة الطائفة الباغية ، وذلك في قوله تعالى(٤٧) : { **وإنْ طائفتانِ منَ المؤمنينَ اقتتلوا ، فأصلحُوا بينهما ، فإنْ بغتْ إحداهُما على الأخرى ، فقاتِلوا التي تبغي حتى تفيءَ إلى أمرِ اللهِ ، فإنْ فاءَتْ ، فأصلحُوا بينهُما بالعدلِ واقسطوا إنَّ اللهَ يُحِبُ المقسطينَ** } ، نلحظ في الحدِّ أنـَّهُ يتكون من ثلاث مراحل هي :

١- محاولة إجراء الصلح عند الاقتتال لأول مرة ، في محاولة لتطويق الفتنة وكبح جماحها لكي لا تستفحل ، وتصبح معضلة صعبة الحل .

٢- فإن رفضت إحدى الطائفتين ، فيتم إجبارها على قبول الصلح بقوة السلاح من خلال الوقوف مع الطائفة الثانية ، حتى تعود لرشدها وتقبل بحكم الحق الذي أمر الله به .

٣- فإذا عادت لرشدها وقبلت بالصلح يوقف القتال ، وتتم عملية الصلح بالعدل والقسط الذي أمر الله بهما ، على أنْ لا تظلم طائفة من الطائفتين .

الخاتمة : حينما خلق الله سبحانه وتعالى الأرض أراد أنْ يجعلها داراً لتطبيق العدالة السماوية ، ولما كان سكانها بشراً ، فهم غير منزهين ، وغير معصومين من الخطأ ، لذا وقعتْ أخطاء وانحرافات في سلوكهم وتصرفاتهم ، فالمطيع له أجر وثواب ، وذلك لامتثاله لأوامر الله ورسله والابتعاد عن المنكرات وما ينهى الله عنه ، أما العصاة والمتمردين من البشر فلهم عقوبات دنيوية وأخروية ، وبعض العقوبات الدنيوية كانت حدوداً من الله ، وعلى ولي أمر المسلمين أنْ ينفذها كاملة وبلا خوف أو تردد ، والملاحظ على هذه الحدود أنَّ الله سبحانه وتعالى أمر بتنفيذها بشرط أنْ لا تأخذ الحاكم بالمذنبين شفقة أو رحمة ، ليرتدع ذوي النفوس المريضة ، وأصحاب الضمائر الميتة ، فلا يقدموا على ارتكاب مثل هذه الجرائم ، ويعيثوا في الأرض فساداً ، لأنَّ الحاكم سيكون لهم بالمرصاد ، فضلاً عما أعده الله لهم من عقوبات أخروية تخلدهم في نار جهنم مخلدين مهانين في خزي وعار .

الهوامش

١- سورة التين الآية : ٤

٢- سورة البقرة الآية : ٣٠

٣- سورة الإسراء : ١١

٤- سورة الشمس الآيتان : ٧-٨

٥- سورة القيامة الآية : ٣٦

٦- النص والاجتهاد : ٦٤

٧- سورة المائدة الآية : ٣٨

٨- الكبائر : ٩٩

٩- الكبائر : ٨٢

١٠- سنن النسائي : الحديث : ٤٩٣٥

١١- الكبائر : ٩٩

١٢- مسند أحمد : ٢٣٩٩٤

١٣- الكبائر : ١٠٠

١٤- صحيح البخاري : ٣٤٧٥ ، صحيح مسلم : ١٦٨٨

١٥- قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : ٦٤

١٦- م . ن : ٦٠

١٧- م . ن : ٣٧

١٨- الكبائر : ٨٠

١٩- سورة البقرة : الآية : ٢١٩

٢٠- سورة النساء : الآية : ٤٣

٢١- سورة المائدة : الآيتان : ٩٠ ـ ٩١

٢٢- الكبائر : ٨٠

٢٣- سورة النساء : الآية : ١٤

٢٤- المستدرك على الصحيحين : الحديث :١٤٧/٤

٢٥- مسند أحمد : ٥٥٧٥

٢٦- سنن : ٢٢/١

٢٧- قضاء الإمام علي : ٤٤

٢٨- الكبائر : ٥٠

٢٩- م . ن : ٥٠

٣٠- سورة النور : ٢

٣١- سنن البيهقي في الشعب : ٥٣٦٦

٣٢- سورة النور : الآية : ٤

٣٣- الكبائر : ٩٤

٣٤- الكبائر : ١٠١

٣٥- سورة المائدة : الآية : ٣٣

٣٦- الكبائر : ١٠١

٣٧- الكبائر : ١٠٢

٣٨- سورة المائدة : الآية : ٣٢

٣٩- سورة البقرة : الآية : ١٧٩

٤٠- سورة البقرة : الآية : ١٧٨

٤١- سورة البقرة : الآية : ١٩٤

٤٢- سورة النساء : الآيتان : ٩٢ – ٩٣

٤٣- الرياض المُستطابة : ٥٦

٤٤- الكبائر : ٩

٤٥- سنن الترمذي : الحديث : ١٣٩٥ ، سنن النسائي : الحديث : ٣٩٨٦

٤٦- سورة المائدة : الآية : ٤٥

٤٧- سورة الحجرات : الآية : ٩

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الرياض المُستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة – للإمام يحيى بن أبي بكر العامري اليمني رحمه الله ، أشرف على ضبطه وتصحيحه عمر الديراني أبو حجلة ، وحققه وأعد فهارسه محمود عبدالقادر عطا ، مؤسسة المعارف ، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م ، بيروت ، لبنان .
- سنن الترمذي - تحقيق أحمد محمد شاكر ، طبعة مصر .
- سنن النسائي – دار الكتب العلمية ، طبعة بيروت .
- السنن الكبرى للبيهقي ، دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، الهند.
- صحيح البخاري – طبعة عيسى الحلبي ، القاهرة .
- صحيح مسلم بشرح النووي ـ مطبعة دار إحياء التراث العربي ، ط٣ ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .
- قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – للعلامة الشيخ مُحمَّد تقي التستري ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧هـ ، طهران .
- الكبائر – للإمام الحافظ أبي عبدالله مُحمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ٨ شارع جوهر ، الدراسة ، القاهرة ، (د.ت) .
- المستدرك على الصحيحين - عبدالكريم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، طبعة دار الكتب العلمية ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) ، رقم أحاديثه محمد عبدالسلام الشافي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، بيروت لبنان.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – وضعه مُحمَّد فؤاد عبدالباقي ، دار الحديث ، خلف الجامع الأزهر ، القاهرة .
- النص والاجتهاد -

الفصل الرابع

الصيحةُ في القرآن الكريم

الصيحةُ في القرآن

حينما خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان كرمه في خلقه فقال (١): **{ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم }** ، وبناء على هذا الخلق المبارك ، جعله الله عز وجل سيدا للمخلوقات كافة ، فقال (٢) : **{إني جاعل في الأرض خليفة }** ، وعنى بذلك الإنسان ، وهذا تكريم ثان للإنسان ، وبما أن الإنسان متسرعا في تصرفاته فقد وصفه الله تبارك وتعالى في قوله (٣) : **{وكان الإنسان عجولا}** ، وهذا يعني أنه سريع الأحكام ، وبذلك سيضيع ويفقد السيادة على الأرض ، لأن سيادة الأرض تخضع لضوابط وضعها الخالق سبحانه وتعالى ، لذلك كان لابد للإنسان أن يحصل على شيء يسير به حياته وينظمها، فمنحه الله العقل والنفس ، وهذا دليل على أن الحياة صراع بين الخير والشر اللذين أعطاهما للنفس في قوله تعالى (٤) : **{ونفس وما سواها ۝ فألهمها فجورها وتقواها }** ، وهذا يعني أن الإنسان سيصارع الحياة بنفسه فضلا عن الصراع الداخلي بين العقل والنفس، فالعقل يمثل كابح شهوات النفس الإمارة بالسوء ، لأن النفس دليل الشهوات ، فأيهما كانت له الغلبة فهو الذي يسيطر على شخصية الإنسان ، ولكن حاشا لله أن يتخلى عن عبده ويتركه في حيرة من أمره ، فقال (٥) : **{أ يحسب الإنسان أن يترك سدى}** ، وقد أكد الإمام علي بن أبي طالب هذا المعنى في قوله (٦) : (إنَّ الله لم يخلقكم عبثاً ؛ ولم يترككم سُدىً) ؛ لذلك أنزل عليه الشرائع

السماوية، وأرسل إليه الأنبياء والرسل ليفصلوا لـه الشرائع ويهدونـه إلى ُسبل الرشاد ، ومع ذلك فالإنسـان مخير فـي أفعالـه غير مجبر ، فإما أن تقوده أفعاله إلـى طريـق الهدى والصـلاح ، لينـال رضـا الله ، وأما أن تقوده إلى الضلال والغواية ليدخل في نـار جهنم ، جزاء بمـا قدمت يداه ، والصنف الثاني من الناس يتميز بالعناد والإصرار علـى عدم طاعة الرسل والأنبياء ، ورفض كل مـا يـأتون بـه من البينـات ، بـل يـزدادون إصـرارا علـى ارتكـاب المعاصـي ومخالفـة الأنبيـاء والرسل ، فضـلا عن إلحـاق الأذى بـالمؤمنين إلـى درجـة أن الأنبيـاء والرسل يستغيثون بـالله لينقذهم من شر هؤلاء الكفـار وخطـرهم ، لينـزل بهم أشد العقـاب والعذاب ، ومن أنـواع هذا العقـاب الصـيحة وهي موضوعة بحثنا هذا .

الصيحةُ وفعلها صَيَحَ – صاح ، صيحةً شديدةَ الصوت (٧) ، ففـي التهـذيب : الصـياح هـو الصـوت ، وصـوتُ كُـلِ شـيءٍ إذا إشـتد .... والصيحةُ : العذاب ، فأخذتهم الصيحة : أي أهلكتهم (٨) ، والصـيحةُ وردت فـي اثنتـي عشـرة آيـة ، فـي ثمـان سـور ، والصـيحةُ نوعـان : الأولى عقابٌ دنيوي ، وجاء في تسع آيات ، والثانيـة هـي التـي تسبق النشـور ، وقد وردت فـي ثـلاث آيـات فقط ، وسنقف علـى الصـيحة الدنيوية أولا ، ثم تليها الصيحة الأخروية .

الصيحةُ الدنيوية :

الصيحةُ في الحياة الدنيا تمثل عقوبة متقدمة قبل أوان يوم القيامة ، وذلك بعد أنْ يتفشى الظلم ، ويستشري الفساد في الأرض ، ولم يعد بالإمكان تحمل وطأتهما ، عندها تتدخل العناية الآلهية ، وذلك بعد أنْ يستغيث الأنبياء والرسل بالله سبحانه وتعالى ، فيجدوا الله مستجيبا لدعواهم ، لينقذ المؤمنين من ظلم المشركين الطغاة وفسادهم ، وقد شملت هذه الصيحة عدة أقوام سبقت الإسلام ، وسأتناول هذه الأقوام حسب تسلسل السور والآيات في القرآن الكريم.

أولا : ثمود قوم صالح (عليه السلام)

قال تعالى (٩) : { **وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين** }، هذه الزمرة المجرمة التي عنتها الآية الكريمة ، هم : قومُ ثمود رهطُ النبي صالح (عليه السلام) ، وهو صالح بن عبيد بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود بن عاثر بن أرم بن نوح (عليه السلام) ، وقومَهُ قبيلة ثمود ، وثمودُ هو أخو جديس ، وهم من العرب البائدة ، سكنوا منطقة الحجر ، الواقعة بين الحجاز وتبوك (١٠) ، فيما قال الحافظ البغوي هو (١١) : (صالح بن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود ، وقال وهب : إنَّهُ ابن عبيد بن جابر بن ثمود وقومه ثمود ، وهي قبيلة سميت باسم جدها ثمود بن عامر بن ارم بن سام ، وقيل : ثمود بن عاد بن عوص بن أرم) .

موجز قصة ثمود

سكنت ثمود بالحجر بين الحجاز وتبوك ، ومنطقة سكناهم تعرف اليوم بـ (فج الناقة) (١٢) ، وكانوا يعبدون الأصنام ، فأرسل الله سبحانه وتعالى إليهم صالحا ، في قوله تعالى (١٣) : **{ والى ثمود أخاهم صالحا }** الذي دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأنْ يتركوا عبادة الأصنام ، ولا يشركوا بالله شيئاً ، فآمنت به طائفة منهم ، وكفر به سوادهم الأكبر ، وقد جاءهم صالح عليه السلام بالبينات ؛ ومنها الناقة ، ولم يستجيبوا له (١٤) ،**{ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين }** ؛ فحدث صراع بين الطائفتين ، فقال تعالى (١٥): **{ فأما ثمود فاستحبوا العميَ على الهدى}** فبيت الذين كفروا النية على قتل الناقة ، فتكفل بقتلها قدار بن سالف بن جندع وكان أحمر ، أزرق ، أصهب ، وقيل هو ابن زانية (١٦) ، وهو أشقى الأولين ، كما وصفه رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في قوله للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ (١٧) : ألا أحدثك بأشقى الأشقياء ؟ قال : بلى ، قال : رجلان ، أحدهما أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا علي على هذا ـ يعني قرنه ـ حتى تبتل منه هذه ـ يعني لحيته .) (١٨) **{ فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر}** ، فـ (١٩) **{ انبعث أشقاها ۞ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ۞ فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها }** ولما عقروا الناقة واختفى فصيلها ، قالوا يا صالح (٢٠) : **{ إئتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين }** ، فقال لهم صالح (عليه السلام) (٢١) : **{تمتعوا**

في داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكذوب} والأيام الثلاثة ، كان أولها يوم الخميس وفيه اصفرت وجوه القوم ، ويوم الجمعة وفيه احمرت وجوههم ، ويوم السبت وفيه اسودت وجوههم ، ولما انقضت الأيام الثلاثة نادوا : ألا قد مضى الأجل ، ثم أخذتهم الصيحةُ صبيحة يوم الأحد عند شروق الشمس ، فزهقت أرواحهم جميعاً (٢٢) ، وتكفل بتلك الصيحة بأمر من الله سبحانه وتعالى جبريل (عليه السلام) (٢٣) ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين على ركبهم ، جثثاً هامدة لا حراك فيها ، فقال تعالى : (٢٤) : **{ وأنَّهُ أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى }** ، وقال (٢٥) : **{فهل ترى لهم من باقية}** ، وهذا يعني أنَّ الله سبحانه وتعالى أهلك الكافرين من ثمود قوم صالح عليه السلام ، ونجى المؤمنين وذلك في قوله (٢٦) : **{فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ، فأخذتهم صاعقة عذاب الهون بما كانوا يكسبون ۞ ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون}** ، وكان عدد الذين آمنوا لصالح هو أربعة آلاف (٢٧)، وبذلك طويت صفحة ثمود قوم صالح (عليه السلام) من المشركين.

وصيحة ثمود كانت في الدار الدنيا ، وهي تمثل عقاباً جماعياً، قبل آوان يوم القيامة ، لقوم سعوا في الأرض مفسدين ، ولا يؤمنون بوحدانية الله سبحانه وتعالى ، والدرس المستفاد من هذه الصيحة ، هو أنَّ الله يمهلُ الكافرين ولا يهملهم ، فهو لا يستعجلهم بالعقوبة ، فيرسل لهم الأنبياء والرسل ليعظوهم ويرشدوهم ويقدمون لهم

النصح والرشاد ، وعندما تصل الأمور مع الكافرين إلى طرق مسدودة ، هنا يتكفل الله سبحانه وتعالى بأمرهم .

وصيحة ثمود تكررت في خمس آيات في أربع سور هي كما يأتي :

١- في سورة هود الآية : ٦٧ **{ فأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين }** وهذا يعني أنَّ الصيحة كانت صباحاً .

٢- في سورة هود الآيتان : ٩٤-٩٥ **{ فأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ۞ كأنْ لم يغنوا، فيها ألا بُعداً لمدينَ كما بُعدت ثمود}.**

٣- في سورة الحجر الآية : ٨٣ **{ فأخذتهم الصيحةُ مصبحين }** ، وهذا تأكيد آخر أنَّ وقت الصيحة كان في الصباح .

٤- في سورة القمر الآية : ٣١ **{ إنا أرسلنا عليهم صيحةً واحدةً }** وهذا يعني أنَّ الكافرين ماتوا جميعاً في صيحةٍ واحدةٍ لا غيرها.

٥- في سورة ص الآية : ١٥ **{ وما ينظرُ هؤلاء إلا صيحةً واحدةً ما لها من فواق }** ويعني هذا أنَّها صوت واحد ينقلهم من الدار الأولى إلى الدار الآخرة، إذ لا عودة لهم إلى الحياة الدنيا أبداً ، والملاحظ أنَّ هذه الصيحة قرنتهم بقوم لوط وقوم شعيب .

ومن خلال الآيات الكريمات يتبين لنا أنَّ أربع آيات كانت خاصة بقوم ثمود والآية الخامسة كانت مشتركة مع قوم لوط وقوم شعيب .

وصف صيحة ثمود

صيحةُ ثمود لم تكن مجرد صيحةً عاديةً ، بل كانت أكبر من ذلك بكثير ، فهي صيحةٌ مفزعةٌ مهولةٌ تنزعُ الأرواحَ من الأبدان ، وتطفيءُ جذوةَ الحياة ، فالصيحةُ وكما مر بنا صوتٌ شديدٌ ، ولكنَّ الله جلت قدرته لم يكتف بعقوبة الصوت في عقابه لهؤلاء المجرمين بل تجاوزه إلى عدة عقوبات أخرى منها :

١- الصاعقة :

أ- قال تعالى (٢٨) : **{ وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ۝ فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقةُ وهم ينظرون }** ، من خلال الآيتين الكريمتين نفهم أن هذه الصيحة كانت مصحوبة ببرق عظيم يخطف الأبصار ، فإذا هي صوتٌ إنفجاريٌ شديدٌ متزامنٌ مع برقٍ عظيمٍ ، فهي تصمُ السمعَ وتعمي العيون ، والأدهى والأمر ، أنَّ هذه العقوبة تأتيهم ، وهم أيقاظٌ ينظرون ، فتكون العقوبة مضاعفة عما لو أتتهم وهم نيام .

ب- قال تعالى (٢٩) : **{ فإن أعرضوا ، فقل أنذرتكم صاعقةً مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمود}** ، إذا أنَّ هذه الصاعقة أصبحت مثلاً يضربه الله تبارك وتعالى للأمم التي تعيثُ في الأرض فساداً ، لعلها ترعوي وتثوب لرشدها ، فلا يصيبها مثلما أصاب قوم عاد وثمود .

٢- الطاغيــة : فــي قولــه تعــالى (٣٠) : **{ فأمــا ثمــودُ فــأهلكوا بالطاغية}**، أي أهلكهم الله سبحانه وتعالى بالصيحة الطاغية ، وهي الصيحة التي تجاوزت الحد المألوف لشدتها (٣١) .

٣- الرجفة :ُفي قوله تعالى (٣٢) : **{ فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهــم ، وقــالوا يــا صــالح إئتنــا بمــا تعــدنا إن كنــت مــن المرسلين۞ فأخذتهم الرجفةُ فأصبحوا في دارهم جاثمين }**، والرجفة هنا الزلزلة ، إذ كانت الصيحة مصحوبة بالصاعقة والرجفــة ، فتزلزلــت الأرض بهــم ، والرجفــةُ هــي الحركــة المزعجة بشدة الزعزعة (٣٣) ، فالعقوبة كانت صوتٌ وبرقٌ وزلزالٌ وهم ينظرون .

٤- العذاب : في قوله تعالى (٣٤) : **{ فعقروها فأصبحوا نـادمين۞ فأخذهم العذابُ إنَّ في ذلك لآيـة }** ، فهم مضطربون ، يعانون من الخوف والرعب والقلق مما سيؤول إليه مصيرهم بعد قتلهم الناقة .

٥- الدمدمــة : فــي قولــه تعــالى (٣٥) : **{ فكـذبوهُ فعقروهـا فدمـدم علـيهم ربهـم بـذنبهم فسـواها }** ، والدمدمــة فــي اللغــة تعنــي الكلام الغامض المبهم وغير المفهوم ، وهنا تعني عذابٌ أطبقَ عليهم وأهلكهم جميعاً ، لأنهم رضوا جميعاً به ، وحثوا عليه ، فاستوت الدمدمة على صغيرهم وكبيرهم ، ولم ينجُ منها أحداً ، وقيل جعل بعضها على مقدار بعض في الإندكاك واللصوق بالأرض فالتسوية تصيير الشيء على مقدار غيره (٣٦) .

وخلاصة القول إنَّ هذه المسميات الخمسة فضلاً عن الصيحة هي مسميات لعقوبة واحدة احتوتْ على عدة صنوف من العذاب ، وهذه العقوبات اختصت بها قبيلة ثمود قوم صالح (عليه السلام) ، وأنا أرجحُ أنَّ هذه العقوبة هي الأشد العقوبات وأقساها في القرآن الكريم ، والله أعلم .

ثانيا : أهل مدين قوم شعيب (عليه السلام)

قال تعالى (٣٧) : **{ ولما جاءَ أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا ، وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ۞ كأنْ لم يغنوا فيها ، ألا بُعداً لمدين كما بُعدت ثمود }** .

النبي شعيب هو شعيبُ بن ميكال بن يشجن ، وقيل شعيب بن يشخر بن لاوي ابن يعقوب ، وقيل شعيب بن نويب بن عيف بن مدين بن إبراهيم (ع) ، ويقال أنه : شعيب بن صيفر بن عيف بن ثابت بن مدين بن إبراهيم (عليه السلام) ، وكان ممن آمن بإبراهيم وهاجر معه ودخل معه دمشق (٣٨) ، ومدين هو الجد الأعلى لشعيب وباسمه سميت القبيلة والمدينة معاً ، وهي تقع بالقرب من أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط(٣٩)، وشعيب هو أحد الأنبياء العرب الأربعة وهم : هود وصالح وشعيب ومحمد (صلى الله عليه واله وسلم) (٤٠) ، وكان يعرف بخطيب الأنبياء سماه بذلك رسول الله محمد (٤١) ، وأرجح أنَّ شعيباً هو من ذرية مدين بن إبراهيم خليل الله (عليه السلام) .

موجز قصة أهل مدين

أرسل الله سبحانه وتعالى شعيباً إلى قومه من أهل مدين ، فقال تعالى (٤٢) : **{وإلى مدين أخاهم شعيباً ۞ قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره}** ، وكان أهل مدين قُطاع طرق ، ويخيفون المارة؛ ويسلبونهم ما يملكون ، وكانوا كفاراً يعبدون شجرة الأيكة ، وهي شجرة حولها غيضة ملتفة بها ، وكانوا من أسوأ الناس في استخدام الميزان ، إذ يسرقون في حالتي البيع والشراء (٤٣) ، لذلك كان صالح يدعوهم إلى الصدق في التعامل وعدم الغش والسرقة في الميزان ، فقال تعالى (٤٤) : **{ فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها }** فضلا عن الغش وسرقة الميزان ، كانوا يأخذون عشر مال المارين بمدينتهم ، وكانوا قوماً طغاة متجبرين (٤٥) ، فلم يرعووا ولم يسمعوا قوله ، وكان شعيب دائما يؤكد أنَّ الميزان حق وعليكم الوفاء به ، فقال لهم(٤٦) : **{ ولا تنقصوا المكيال والميزان ، إني أراكم بخير }** أي لا تسرقوا أموال الناس في البيع والشراء ، وأني أرى الله قد أنعم عليكم، فقالوا له (٤٧) : **{ فاسقط علينا كسفاً من السماء إنْ كنت من الصادقين }** ، ثم قالوا له باستهزاء وتهكم (٤٨) ، **{ يا شعيب أ صلاتك تأمرك أنْ نترك ما يعبد آباؤنا أو نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد}** ، ومع ذلك لفت أنظارهم إلى ما أصاب الأمم التي سبقتهم في قوله تعالى (٤٩) : **{ يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أنْ يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما**

قوم لوط منكم ببعيد } ، ولكنهم ركبوا رؤوسهم وعتوا وازدادوا كفراً وإثماً وقالوا له (٥٠) : **{يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً}** ، ولكنَّ الذي يعصمك من بطشنا هو قوة قومك(٥١) ، **{ ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز }** ، وقرروا إخراج شعيب ومن أمن معه من مدين أو يدينوا بما يدينون(٥٢) ، **{ وقال الملأُ الذين استكبروا من قومه لنخرجنَّك يا شعيبُ والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا }** ، وبعد أن غُلب على أمره في الظاهر ، استفتح على قومه واستنصر الله عليهم في تعجيل ما يستحقون من عقاب (٥٣) ، **{ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين }** ، فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاء شعيباً في قوله تعالى (٥٤) : **{فأخذتهم الرجفةُ فأصبحوا في دارهم جاثمين}** ، وبذلك طويت صفحة أهل مدين من المشركين .

وصيحةُ أهل مدين هي الأخرى كانت في دار الدنيا ، وهي تمثلُ عقاباً جماعياً لقوم مجرمين ، طغوا في الأرض ، وأشاعوا فيها الفساد والكفر ، فأهلكهم الله سبحانه وتعالى قبل أوان يوم القيامة ، وقد تكررت صيحة مدين في سورتين وفي آيتين هما :

١- في سورة هود في الآيتين : ٩٤ـ ٩٥ في قوله تعالى : **{ ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ۞ كأنْ لم يغنوا فيها ألا بُعدا لمدين كما بُعدت ثمود }** .

٢- في سورة ص الآيات ١٣ـ ١٥ في قوله تعالى : **{ وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ۞ إنْ كلٌّ إلا كذبَ الرسل فحق عقاب۞وما ينظرُ هؤلاء إلا صيحةً واحدةً ما لها من فواق }** ، وأصحاب الأيكة هم أهل مدين قوم شعيب ، وكانوا يعبدون شجرة الأيكة .

وصف صيحة مدين

الصيحةُ كما مر بنا في قصة صالح (عليه السلام) تعني الصوت الشديد الذي تفوق قوته الصوت المألوف في السمع البشري، ولم تكن هذه الصيحة مجرد صوت فقد تزامن معها عقوبتان في آن واحد هما :

١- الرجفةُ : في قوله تعالى (٥٥) : **{ وقال الملأُ الذين كفروا من قومه لئن إتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون ۞ فأخذتهم الرجفةُ فأصبحوا في دارهم جاثمين }** ، والرجفةُ تعني الزلزلة التي هزت الأرض بهم هزا عنيفا ، وتزامنت الصيحةُ والرجفةُ في وقت واحد هو الصباح .

٢- عذاب الظلة : في قوله تعالى (٥٦) **:{ فكذبوه فأخذهم عذابُ الظلة ، إنَّهُ عذابُ يومٍ عظيمٍ }** ، وخلاصة يوم الظلة (٥٧) ، هو يومٌ أصابهم فيه حرٌّ شديدٌ ، إذ أسكن الله الهواء عليهم سبعة أيام، فكان لا ينفعهم مع ذلك الحرُّ ، ماءٌ ولا ظلٌ ولا الدخول في الأسراب ، فخرجوا من مدين إلى البرية ، عندها أظلتهم

سحابة فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلها ، فلما تكاملوا ، أمرها الله سبحانه وتعالى أنْ ترميهم بشررٍ وشُهُبٍ فضلاً عن الصوت المدوي الذي صم آذانهم واهتزاز الأرض تحت أقدامهم ، وكان مصدر الصيحة من السماء ، فأزهقت أرواحهم فمات جميع الكافرين ، وأما المؤمنين فقد أنجاهم الله مع شعيب (عليه السلام) في قوله تعالى (٥٨) : **{ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا }**.

ثالثا : قصة قوم لوط (عليه السلام)

قال تعالى (٥٩) : **{ قال هؤلاء بناتي إنْ كنتم فاعلين ۞ لعمرك إنَّهم لفي سكرتهم يعمهون ۞ فأخذتهم الصيحةُ مشرقين۞ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارةً من سجيلٍ} .**

لوط هو النبي لوط بن هاران بن تارح وهو آزر ، ولوط هو ابن أخي إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، نزح لوط عن محلةِ سكن عمه إبراهيم ، بأمر منه وإذنه ، فسكن مدينة سدوم ، من أرض غور زغر ، وكان أهلها من أفجر الناس وأكثرهم كفراً وفسوقاً ، وكانوا من الشواذ ، إذ كانوا يمارسون اللواط مع الذكور دون الاناث، وكانوا لا يتورعون في فعل المنكر في ناديهم علانية (٦٠) ، وهذه حقيقة أكدها القرآن الكريم في قوله تعالى (٦١) : **{ ولوطا إذ**

قال لقومه أ تأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحدٍ من العالمين ۞ إنَّكم لتأتون الرجالَ شهوةً من دون النساء } ، وقد دعاهم لوط إلى ترك هذا الفعل المنكر ، ليلاً ونهاراً ، حتى أصبح كلامه في هذا الموضوع غير مرغوب فيه عندهم ، وكان ردهم عليه (٦٢) ، **{ وما كان جواب قومه إلا أنْ قالوا أخرجوهم من قريتكم إنَّهم أناسٌ يتطهرون }** ، ولم يكتف قومه بممارسة اللواط فيما بينهم بل تجاوزوه إلى كلِّ من يحل ضيفاً على قريتهم ، وطلبوا من لوط أنْ لا يضيف أحداً من الناس ، لأنَّ الضيف إذا حلَّ على لوطٍ سيكون بمأمن من فعلهم الشنيع ، ومن أجل الحفاظ على شرفِ الضيفِ وكرامته ، امتنع لوطٍ عن استقبال الضيوف ، ولكنَّهُ فوجئَ ذاتَ يومٍ بضيفينِ يطرقانِ عليه البابَ بعد غروبِ الشمس بقليل ، فاستقبلهما مُرغماً غيرُ راغبٍ بضيافتهما ، فقال تعالى (٦٣) : **{ولما جاءتْ رسلنا لوطاً سيءَ بهم وضاقَ بهم ذرعاً وقال هذا يومٌ عصيبٌ}** ، ولما علم قومه بوجود الضيفين في بيت لوط ، أسرعوا إليه يطالبونه بتسليمهما لهم (٦٤) ، **{وجاءه قومه يهرعون إليه}** ، وقال في آية أخرى (٦٥) ، **{وجاء أهل المدينة يستبشرون}** ، وقال لهم بصيغةٍ فيها تعطفٌ ورجاءٌ (٦٦) : **{إنَّ هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ۞ واتقوا الله ولا تخزون}** ، فردوا عليه قائلين (٦٧) ، **{أ وَ لم ننهك عن العالمين }** ،أي ألم نمنعك من استقبال الضيوف ؛ ولما أصبح دفع هؤلاء العتاة المجرمين أمراً عسيراً على لوطٍ ، قدم لهم عرضاً لعلهم يستحيون منه ويثوبون إلى رشدهم ، فقال (٦٨) **{ هؤلاء بناتي**

إنْ كنتم فاعلين } ، فرفضوا عرضه وقالوا له (٦٩) : **{ لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنَّكَ لتعلمُ ما نريد }** ، هنا ازداد الأمر سوءاً وحرجاً على لوط فقال متحسراً (٧٠) : **{ أليس منكم رجلٌ رشيد }** ، ثم قال (٧١) : **{ لو أنَّ لي بكم قوةً أو آوي إلى ركنٍ شديد}** ، وذلك بعد أنْ حاول قومه اقتحام الدار عليه بالقوة ، وهنا تدخلت العناية الإلهية على لسان الضيفين فقالوا له (٧٢): **{ لا تخف ولا تحزن ، إنا منجوكَ وأهلكَ إلا امرأتكَ ، كانت من الغابرين ۞ إنا منزلون على أهلِ هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون }** ، ثم قالوا (٧٣) : **{ إنَّ موعدهم الصبح ، أ ليس الصبح بقريب }** ، فقال تعالى (٧٤) : **{ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارةً من سجيلٍ منضودٍ ۞ مسومةً عند ربك ۞ وما هي من الظالمين ببعيد }** ، وقال (٧٥) : **{ فأخذتهم الصيحةُ مشرقين ۞ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل }** ، وقبل هذا أمر الله سبحانه وتعالى لوطاً أنْ يخرج من القرية في قوله تعالى (٧٦) : **{فأسرِ بأهلك بقطعٍ من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد ، وامضوا حيث تأمرون}** ، فأنجاه الله وأهله إلا زوجه في قوله تعالى (٧٧) **:{فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين}** ، وبذلك طويت صفحة قوم لوط من الكافرين الفاسقين .

وصف صيحة قوم لوط

هذه الصيحةُ كانت مصحوبةً بزلالٍ شديدٍ فضلاً عن أنَّ السماء أمطرت عليهم حجارةً من طينٍ مطبوخٍ في النار (٧٨) ، فالصيحةُ كانت صوتٌ شديدٌ يصمُ الآذان وزلزالٌ مدمرٌ هائلٌ قلب الأرض عليهم رأساً على عقب ، والسماء تمطر عليهم مطراً من حجارةٍ مشويةٍ في النار ، وجاء في التفسير أنَّ هذه الصيحة كانت عبارة عن صوتٍ شديدٍ انبعث مع شروق الشمس (٧٩) ، فقلب الله سبحانه وتعالى القرية ، إذ أمر جبريل (ع) بذلك ، فأدخل جناحه تحت الأرض فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ، ثم قلبها رأساً على عقب ، ثم خسف بهم الأرض ، والسماء تمطرُ عليهم حجارةً صلبة في تتابع مستمر ، تحملها ريح شديدة حتى أهلكتهم جميعاً ، وقيل أنَّ الحجارة كانت معلمةً مكتوباً عليها اسم صاحبها التي تكفلت بقتله (٨٠) ، وهذه الحجارة لا تشاكل حجر الأرض (٨١) ، وأنجى الله لوطاً وأهله إلا زوجه ، وذلك في قوله تعالى (٨٢) : **{فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين}** ، وكان وقت خروجهم من القرية في الليل البهيم ، قال تعالى (٨٣) : **{فأسر بأهلك بقطع من الليل}** ، فيما كان وقت نجاتهم ، هو السحر أي في أول الصباح الباكر ، وذلك في قوله تعالى (٨٤) : **{ إنا أرسلنا عليهم حاصباً ، إلا آل لوط نجيناهم بسحر ۞ نعمة من عندنا } .**

رابعا : صيحة قوم حبيب النجار

قال تعالى (٨٥) : **{ وما أنزلنا على قومه من بعده من جندٍ من السماءِ وما كنا منزلين ۞ إنْ كانت إلا صيحةً واحدةً فإذا هم خامدون }** .

هذه الصيحة اتفق المفسرون على سببها ولكنهم لم يتفقوا على زمانها ، فابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه وبريدة بن الخصيب وعكرمة وقتادة والزهري وغيرهم يقولون : الرسل الثلاثة: هم صادوق ومصدوق وشلوم ، أرسلوا إلى الملك انطيخس بن انطيخس ، وكان ممن يعبد الأصنام ، فكذبهم (٨٦) ، فيما قال ابن جرير عن وهب ، وعن ابن سليمان ، وعن شعيب الجبائي : كان اسم المرسلين الأولين : شمعون ويوحنا ، والثالث هو بولص والقرية هي انطاكية ، وهم رسل السيد المسيح (ع) (٨٧) .

وقد رفض محققو كتاب قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير الرواية الثانية وقالا : أنَّها ضعيفة ، بدلالة أنَّ انطاكية هي أول قرية آمنت بالسيد المسيح (ع) فكيف يكون أهلها يعبدون الأصنام بعد ذلك فيرسل لهم الرسل (٨٨) ، وأنا أتفق مع رواية ابن عباس وجماعته .

موجز القصة

القرية التي كان يسكنها حبيب بن مري النجار المعروف بصاحب ياسين كانت قرية أهلها يعبدون الأصنام فأرسل الله سبحانه

وتعالى إليهم رسولين ، فلم يؤمنوا بهما وكذبوهما ، فأرسل الله سبحانه وتعالى رسولا ثالثا ، ولاقى مثلما لاقى سابقيه من العنت والرفض ، وتقول الرواية عندما وصل الرسولين إلى مدينة انطاكية وجدا بالقرب منها شيخاً كبيراً يرعى غنمه وهو حبيب النجار ، فسمع الرسولين يدعوان لعبادة الرحمن وترك عبادة الأصنام والأوثان ، وأنهما يشفيان المرضى ، ويبرئان الأكمه والأبرص بإذن الله ، فقال لهم حبيب : إن لي ابنا مريضاً منذ سنين ، فانطلقا معه ، فمسحا ابنه فقام من وقته صحيحاً بإذن الله ،فآمن بهما وشاع خبرهما في انطاكية ، فأرسل الملك في طلبهما وأمر بحبسهما ، وجلد كل واحد منهما مائة جلدة (٨٩) ، فيما تقول الرواية الثانية أنَّ السيد المسيح أرسل بأثرهما شمعون رأس الحواريين (٩٠) ، وأجمع الملك وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيباً (٩١) ، وهو على باب المدينة الأقصى ، فجاء يسعى إليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة الرسل ، فلما قال ذلك رفعوه الى الملك (٩٢) ، فقال له الملك : أ فأنت تتبعهم ؟ فقال : نعم ، وأنعم الله علي وهداني ، ولما سمع قوم الملك قوله هذا وطؤه بأرجلهم حتى مات ، فأدخله الله الجنة ، ولما قتلوا حبيب بن مري النجار (٩٣) غضب الله عليهم فبعث جبرائيل إليهم فأخذ بعضادتي باب المدينة ، ثم صاح بهم صيحة واحدة ، فماتوا جميعا ، فلا يسمع لهم صوت كالنار إذا طفئت .

وتعد هذه الصيحة أخف الصيحات الدنيوية لأنها كانت صوت فقط ، والله أعلم .

خامسا : صيحةُ المنافقين

قال تعالى (٩٤) : **{ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وأن يقولوا تسمع لقولهم ، كأنَّهم خُشبٌ مُسندةٌ يحسبون كلَّ صيحةٍ عليهم ، هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله ، أنى يؤفكون } .**

هذه الصيحة لم تطلق بعد ، والمنافقون هم المعنيون بها ، وهم قومٌ متذبذبون بين الإيمان والشرك ، يضمرون بخلاف ما يعلنون ، لذلك تراهم يخافون العقاب في كل لحظة معتقدين أنهم المقصودون بالصوت ، وهؤلاء الرجال وعلى الرغم من كونهم أصحاب أجسام جميلة ، ومنطق بليغ ، هذا في ظاهر الأمر إلا أنَّهم في الحقيقة فارغين مثل الطبل الأجوف ، فهم مجرد أشباح بلا أرواح وذلك لخلوهم من العقول ، فقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بالخور والهلع ، وهم إذا ما سمعوا صوتاً في المعسكر أو في غيره ظنوا أنَّ أمرهم قد انكشف وعرف الناس خيانتهم وغشهم ، لذلك قيل : كلُّ مريبٍ خائف، وهكذا هم المنافقون (٩٥) .

سادسا : صيحة متدافعة بين عاد وثمود

قال تعالى (٩٦) : **{ قال رب أنصرني بما كذبون ۞ قال عما قليل ليصبحن نادمين ۞ فأخذتهم الصيحةُ بالحق ، فجعلناهم غثاء ، فبُعدا للقوم الظالمين } .**

هذه صيحةُ لم يحدد القرآن الكريم أصحابها ، ولكن المفسرين اجتهدوا في تحديد أصحابها ، فقال فريقٌ إنَّهم عادٌ قوم هود (عليه السلام) ، وذلك بعد أنْ أهلك الله سبحانه وتعالى قوم نوح (عليه السلام) ، مستندين إلى قوله تعالى (٩٧) : **{ ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ۞ فأرسلنا فيهم رسولا منهم }** ، والرسول الذي جاء بعد نوح هو هود ، فتكون الصيحةُ خاصة بعادٍ قوم هود (٩٨) ، ولكنَّ القرآن الكريم أشار من جانب آخر إلى إنَّ عاد قوم هود قد اهلكوا بريح صرصر عاتية في قوله تعالى (٩٩) : **{وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية}** ، وكذلك أرسل الله إلى عاد صاعقة في قوله تعالى(١٠٠) : **{ وإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود }** ، وقال الفريق الآخر : هم ثمود قوم صالح (عليه السلام) ، الذين أخذتهم الصيحة كما مر بنا (١٠١) ، فقد صاح بهم جبرائيل (عليه السلام) صيحة واحدة ماتوا عن آخرهم (١٠٢) ، وأنا أرجح أن هذه الصيحة عبارة عن صيحتين واحدة لعاد والأخرى لثمود ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى قد أشركهما في الصاعقة ، لأنَّ الصاعقة كانت عقوبة إضافية مصاحبة للصيحة ، والله أعلم ، وبذلك انتهت الآيات التي دلت على الصيحة الدنيوية.

الصيحة الأخروية التي تسبق يوم القيامة

تمثل هذه الصيحةُ الشرارة الأولى لبدء يوم القيامة ، وهي أول اليوم من أيام الآخرة ؛ إذ يجمع الله الناس منذ بدء الخليقة إلى آخر

يوم في الحياة الدنيا ، فيخرج الموتى من قبورهم ، فيقفون في عرصات القيامة بين يدي خالقهم سبحانه وتعالى ، و هذه الصيحة في واقع الحال هي صيحتين اثنتين هما :

الأولى : وتعد هذه الصيحة الحد الفاصل بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة ، وجاءت في قوله تعالى (١٠٣) : **{ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون}** ، هذه هي الصيحة الأولى ، وتسمى بالنفخة الأولى ، وهي تمثل نهاية الدار الأولى وإطفاء جذوة الحياة فيها ، إذ سيكون الكون بعدها في حالة سكون مطبق ، لا حياة هنا ولا حياة هناك ، ثم تبدأ الحياة الآخرى المتمثلة بيوم القيامة بصيحة ثانية ، وتأتي الصيحة الأولى بصورة مفاجئة مباغتة للأحياء وهم يتبايعون في الأسواق ، ويتبادلون الأحاديث فيما بينهم ، لتنتهي الحياة الأولى (١٠٤) .

الثانية : وتعد هذه الصيحة بدايةً للحياة الآخرة ، وجاءت في آيتين هما :

١- في قوله تعالى (١٠٥) : **{ يومَ يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ۞ إنا نحيي ونميت وإلينا المصير ۞ يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير }** ، هذه الصيحة هي الثانية ، وتسمى النفخة الثانية ، إذ أطفئت النفخة الأولى جذوة الحياة ، وسلبت الأرواح من الأجساد ، فيما ستـُعيد النفخة الثانية الحياة ، وذلك من خلال عودة الأرواح إلى الأجساد ، وإحياء

الموتى ، وخروجهم من القبور مسرعين إلى ساحة المحشر ليواجهوا مصيرهم النهائي (١٠٦) .

٢- في قوله تعالى (١٠٧) : **{ إنْ كانت إلا صيحةً واحدةً ، فإذا هم جميعٌ لدينا محضرون }** ، هذه الصيحة أو النفخة تؤكد الآية السابقة ، وهي صيحة قصيرة جداً على مقدار الصوت المنبعث منها ، فإذا الأولون والآخرون بلمح البصر مجموعون في عرصات القيامة محصلون في ساحة الحساب (١٠٨) ، وذلك بعد عودة الأرواح الى أجسادهم .

ولو تأملنا هذه الصيحة بنوعيها سنجد أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أطلق عليها النفخ في الصور ، ومثلما كانت الصيحةُ نوعين فأن النفخ هو الآخر نوعان وجاء ذلك في قوله تعالى :

النفخة الأولى وجاءت :

١- في قوله تعالى (١٠٩) : **{ فنُفِخَ في الصورِ ، فصُعِقَ من في السموات ، ومن في الأرض ، إلا ما شاء الله }** ، والنفخ في الصور ، يعني إطلاق صوت الصيحة الأولى من قبل اسرافيل (عليه السلام) لينهي الحياة الدنيا ، والصور الذي ينفخ فيه يشبه القرن (١١٠) ، وقيل يشبه بوق الرحيل (١١١) ، وقيل هو جمع صورة ، لأن الله سبحانه وتعالى يصور الخلق في القبور ، كما صورهم في أرحام الأمهات ، ثم ينفخ فيهم الأرواح كما نفخ وهم أرحام أمهاتهم (١١٢) ، وقيل إنَّ

اسرافيل ينفخ في الصور ثلاث نفخات : النفخة الأولى : نفخة فزع ، والنفخة الثانية : نفخة الصعق التي تصعق من في السموات ومن في الأرض ، فيموتون ، والنفخة الثالثة : نفخة القيام لرب العالمين ، فيحشر الناس من قبورهم (١١٣) ، ونفخة إطفاء جذوة الحياة ، لم تبقِ على وجه السماء ولا على وجه الأرض حياً يرزق باستثناء جبرائيل واسرافيل وميكائيل وعزرائيل ، وقيل أنَّ رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) سأل جبرائيل عن المستثنين في هذه الآية فقال : هم الشهداء مقلدون أسيافهم حول العرش (١١٤) ، وأنا أميل إلى الرأي الأول .

٢- في قوله تعالى (١١٥) : **{ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض ، إلا ما شاء الله ، وكل أتوه داخرين }** ، حينما ينفخ اسرافيل في البوق ، تنطفئ جذوة الحياة الدنيا نهائياً ، ولا يبقى حيٌ إلا من استثناه الله سبحانه وتعالى وهم الملائكة الأربعة ماري الذكر ، لأنَّ الله ثبت قلوبهم (١١٦) ، والفزع هو حالة من الرعب والخوف تسيطر على الأحياء ، حتى تقبض أرواحهم ، وتسكن أجسادهم .

٣- في قوله تعالى (١١٧) : **{ فإذا نفخ في الصور ، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون }** ، قال ابن عباس : المراد هنا نفخة الصعقة (١١٨) ، أي نفخة إطفاء جذوة الحياة ، وعندما يموت الحي لا يعي ما حوله ولو كان من آبائه أو أبنائه فهو

لا يشعر بهم ، ولا يستفسر عنهم ، والصور عبارة عن قرن ينفخ فيه ، فيطلق صوتا عظيما هائلا (١١٩) .

النفخة الثانية وجاءت :

١- في قوله تعالى (١٢٠) : **{ ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً }** ، حينما نفخ اسرافيل في بوقه العظيم عادت الأرواح إلى الأجساد أسرع من لمح بالبصر ، وحشروا في عرصات القيامة جميعاً في صعيد واحد (١٢١) ، وهذا هو يوم البعث .

٢- في قوله تعالى (١٢٢) : **{ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ۞ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ، هذا ما وعد الرحمن ، وصدق المرسلون }** ، هذه هي النفخة الثانية ، وهي عودة الأرواح إلى الأجساد ، وبعثهم من قبورهم أحياء يتساءلون عمن بعث فيهم الروح بعد موتهم ، ومن ثم هم أجابوا عن تسائلهم هذا ، فقالوا : هو الله سبحانه وتعالى وعد بذلك ، فصدق ما وعد به على لسان رسله (١٢٣) .

٣- في قوله تعالى (١٢٤) : **{ ثم نفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون }** ، بعد أنْ أطلق اسرافيل نفخة الصعقة ، وموت الأحياء ، عاد ليطلق نفخة ثانية وهي نفخة البعث ، فعادت الأرواح إلى الأجساد بأسرع ما يكون ، فإذا هم قيام ينظر بعضهم إلى بعض ، منتظرين ما سيؤول إليه مصيرهم بعد الحساب (١٢٥) ، وقيل أنَّ المدة الزمنية الفاصلة بين النفخة

التي أطفأت جذوة الحياة ، والنفخة التي أعادت الحياة ، هي أربعين سنة (١٢٦) .

٤- في قوله تعالى (١٢٧) : **{ ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد}**، هذه النفخة هي الأخرى نفخة ثانية ، ويوم الوعيد هو يوم القيامة ، وهو اليوم الذي خوف الله عباده ، ليستعدوا، ويقدموا العمل الصالح الذي يرضاه لهم ، ويثوبهم عليه(١٢٨) .

٥- في قوله تعالى (١٢٩) : **{ يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير }** ، النفختين الأولى والثانية ينفخهما اسرافيل بأمر من الله سبحانه وتعالى والآيات السابقات قد أشارت إلى ذلك من خلال استعمال الفعل المبني للمجهول ، وهنا جاءت هذه الآية بفعل مبني للمعلوم والفاعل هو الله سبحانه وتعالى الذي يصدر الأمر على شاكلة : كن فيكون (١٣٠) ، وهذه النفخة هي من النوع الثاني.

٦- في قوله تعالى (١٣١) : **{ يوم ينفخ في الصور ، ونحشر المجرمين زرقا }** ، هذه هي النفخة الثانية ، والصور هو قرن فيه ثقوب بعدد نفوس البشر ، فإذا انطلق الصوت من البوق قام الناس أحياء من الأرماس ، أي من قبورهم ، ومعنى زرقا : مشوهين الخلق ، وقيل عُمياً ، وقيل عطاشاً(١٣٢) ، والله أعلم بحالهم .

٧- فـي قولـه تعـالى (١٣٣) : **{ يـوم يـنفخ فـي الصـور فتـأتون أفواجـاً }** ، هذه هـي الأخـرى مـن نـوع النفخـة الثانيـة ، قـال رسـول الله محمـد (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) بعـد أنْ سـأله معاذ بن جبل عن تفسير هذه الآيـة (١٣٤) : (يـا معـاذ سـألت عن عظيمٍ من الأمر ، ثم أرسل عينيه ثم قال : يُحشـر عشـرة أصناف من أمتي أشتاتاً ، قد ميزهم الله من المسلمين ، وبـدل صـورهم ، بعضـهم علـى صـورة القـردة ، وبعضـهم علـى صـورة الخنـازير ، وبعضـهم منكسـون أرجلهـم مـن فـوق ، ووجـوههم مـن تحـت ثـم يسـحبون عليهـا ، وبعضـهم عمـيٌ يترددون ، وبعضهم صمٌ بكم لا يعقلون ، وبعضهم يمضغون ألسـنتهم ، فيسـيل القـيح مـن أفـواههم لعابـاً ، يتقـذرهم أهـل الجمـع، وبعضـهم مقطعـة أيـديهم وأرجلهـم ، وبعضـهم مصـلبون علـى جـذوع مـن نـار ، وبعضـهم أشـد نتنـاً مـن الجيف، وبعضهم يلبسون جباباً من سابغة من قطران لازقـة بجلـودهم ، فأمـا الـذين علـى صـورة القـردة ، فالقتـات مـن النـاس، وأمـا الـذين علـى صـورة الخنـازير ، فأهـل السـحت ، وأمـا المنكسـون علـى رؤوسـهم ، فأكلـة الربـا ، والعمـي الجـائرون فـي الحكـم ، والصـم الـبكم المعجبـون بأعمـالهم ، والـذين يمضـغون ألسـنتهم ، العلمـاء والقضـاة الـذين خـالف أعمالهم أقوالهم ، والمقطعـة أيـديهم وأرجلهـم ، الـذين يـؤذون الجيران ، والمصلبون علـى جـذوع مـن نـار ، السـعاة بالنـاس

إلى السلطان ، والذين هم أشد نتنا من الجيف ، فهم الذين يتمتعون بالشهوات واللذات ، ويمنعون حق الله في أموالهم ، والذين يلبسون الجباب ، فأهل الفخر والخيلاء) صدق رسول الله (ص) وهؤلاء الأصناف هم الأفواج التي عنتها الآية الكريمة .

٨- في قوله تعالى (١٣٥) : **{ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة}**، هي النفخة الثانية ، بدلالة قوله تعالى (١٣٦) : **{ فيومئذ وقعت الواقعة }** ، أي قامت القيامة .

وبذلك يكون عدد آيات النفخة الأولى (نفخة إطفاء جذوة الحياة) في الدار الأولى ثلاث آيات ، أما النفخة الثانية (عودة الروح) فقد جاءت في ثمان آيات .

وجاء النقر والناقور مرادفا للنفخ والصور، مرة واحدة في قوله تعالى (١٣٧) : **{ فإذا نقر في الناقر ۞ فذلك يوم عسير ۞ على الكافرين غير يسير }** ، النقر هو النفخ ، والناقور هو الصور ، والله سبحانه وتعالى وصف هذا اليوم، وهو يوم البعث بالعسير أي الصعب الثقيل على الكفار ، الذين لم يقدموا شيئاً في حياتهم الأولى لتفادي شدة هذا اليوم وعسرته ، فلا منجي اليوم من هذا الموقف إلا العمل الصالح الذي قدمه الإنسان لنفسه في الحياة الأولى ، وقالوا : إنَّ النقر هو النفخة الأولى وهو أول الشدة الهائلة

العامة ، وقيل هي النفخة الثانية ، عندها اطلاقها يحيي الله الخلق ، وتقوم القيامة (١٣٨) .

الخاتمة : بعد أنْ قرأنا آيات الصيحة وأحصينا عددها ، وتعرفنا على السور التي جاءت فيها فضلاً عن معرفة أنواعها وأوقاتها وأصحابها ، وكذلك وقفنا على أسمائها و مرادفاتها ، وذلك بعد رحلة ممتعة مع كتاب الله العزيز القرآن الكريم ، توصلنا بفضلٍ من اللهِ وتوفيقه من خلالها إلى النتائج الآتية :

١- الصيحة هي ثلاثة أنواع وهي كما يأتي :

أ- صيحة خاصة تختص بأمة من الأمم ، أو قوم من الأقوام ، مثل صيحة ثمود قوم صالح ، وصيحة أهل مدين قوم شعيب (عليه السلام) .

ب - صيحة تنهي الحياة في الدار الأولى ، وتطفئُ جذوة الحياة فيها ، وتكون هذه الصيحة حداً فاصلاً بين الحياة الأولى والحياة الآخرة .

ت - صيحة البعث ، وتعيد الحياة من خلال عودة الأرواح إلى الأجساد ، فينهض الموتى من قبورهم استعدادا للحساب ، ومن ثم للثواب والعقاب ، كل حسب ما قدم لنفسه في الحياة الأولى .

٢- الصيحة تطلق بالصور أو الناقور ، وهو يشبه بوق عظيم له ثقوب بعدد نفوس البشر منذ أول الخليقة الى يوم الصيحة التي أطفئت الحياة .

٣- النفخ في بالصور نوعين مثل الصيحة : نوع ينهي الحياة الدنيا، ونوع يعيد الحياة من أجل الحساب .

٤- المدة الزمنية الفاصلة بين صيحة إطفاء الحياة وصيحة عودة الحياة هي أربعين سنة .

٥- الذي يطلق الصيحة الدنيوية لمعاقبة الأمم والأقوام هو جبريل (عليه السلام) .

٦- الذي يطلق صيحة إطفاء الحياة ، ثم يطلق صيحة عودة الحياة هو اسرافيل (عليه السلام) .

٧- الذي ينفخ في الصور وينقر في الناقور هو اسرافيل (عليه السلام) .

٨- بلغ مجموع السور التي وردت فيها الصيحة مع مرادفاتها ، ثلاث وثلاثون سورة ، أما عدد الآيات فأكثر من ذلك ، ولم أحصها وذلك لتكرار بعض الآيات.

وأخيراً وليس آخراً ، الحمد لله رب العالمين الذي هدانا لدراسة كتابه الكريم القرآن الكريم ونتدبره ، فأنْ أصبتُ فيما كتبتُ فبفضلٍ من الله وتوفيقه ، وإن جانبت الصواب ،فمن تلقاء نفسي ، وحسبي أنَّي اجتهدت ولكل مجتهد نصيب ، وآخر دعوانا : ربنا لا تزغ قلوبنا

بعد إذ هديتنا ، وصلى الله تعالى على رسوله الكريم محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين وسلم تسليماً كثيراً .

الهوامش

١- سورة التين الآية : ٤

٢- سورة البقرة الآية : ٣٠

٣- سورة الإسراء : ١١

٤- سورة الشمس الآيتان : ٧-٨

٥- سورة القيامة الآية : ٢٦

٦- النص : ٦٤

٧- أساس البلاغة مادة : صيح

٨- لسان العرب مادة : صيح

٩- سورة هود الآية : ٦٧

١٠-قصص الأنبياء للحافظ عماد الدين : ١٠٣

١١-قصص الأنبياء للنجار : ٧٨

١٢-قصص الأنبياء للحافظ : ١٠٣

١٣-سورة الأعراف الآية : ٧٣ ، سورة هود الآية : ٦١

١٤-سورة الحجر الآية : ٨٠

١٥-سورة فصلت الآية : ١٧

١٦-قصص الأنبياء للحافظ : ١٠٩

١٧-م . ن : ١١٠

١٨-سورة القمر الآية : ٢٩

١٩-سورة الشمس الآيات : ١٢ ـ ١٤

٢٠-سورة الأعراف الآية : ٧٧

٢١-سورة هود الآية : ٦٥

٢٢-قصص الأنبياء للحافظ : ١١١ـ١١٢

٢٣-تفسير مجمع البيان : ٥ / ٢٢٦

٢٤-سورة النجم الآية : ٥١

٢٥-سورة الحاقة الآية : ٨

٢٦-سورة فصلت الآيتان : ١٧ـ ١٨

٢٧-تفسير الجلالين : ٢٩٤

٢٨-سورة الذاريات الآيتان : ٤٣ـ ٤٤

٢٩-سورة فصلت الآية : ١٣

٣٠-سورة الحاقة الآية : ٥

٣١-مجمع البيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٨١

٣٢-سورة الأعراف الآيتان : ٧٧ ـ ٧٨

٣٣-مجمع البيان : ٤/ ٢٢٨

٣٤-سورة الشعراء الآيتان : ١٥٧ ـ ١٥٨

٣٥-سورة الشمس الآية : ١٤

٣٦-مجمع البيان : ١٠ / ٢٩٥

٣٧-سورة هود الآيتان : ٩٤ ـ ٩٥

٣٨-قصص الأنبياء : ١٨٦

٣٩-م . ن : ١٨٥ ـ ١٨٦

٤٠-م . ن : ١٨٦

٤١-م . ن والصفحة نفسها

٤٢-سورة الأعراف الآيتان : ٨٥ ـ ٨٦

٤٣-قصص الأنبياء : ١٨٦

٤٤-سورة الأعراف الآية : ٨٥

٤٥-قصص الأنبياء : ١٨٧

٤٦-سورة هود الآية : ٨٤

٤٧-سورة الشعراء الآية : ٨٧

٤٨-سورة الأعراف الآية : ٨٨

٤٩-سورة هود الآية : ٨٩

٥٠-سورة هود الآية : ٩١

٥١-السورة نفسها والآية نفسها

٥٢-سورة الأعراف الآية : ٨٨

٥٣-سورة الأعراف الآية : ٨٩

٥٤-سورة الأعراف الآية : ٩١

٥٥-سورة الأعراف الآيتان : ٩٠ ـ ٩١

٥٦-سورة الشعراء الآية : ١٨٩

٥٧-قصص الأنبياء : ١٩٥

٥٨-سورة هود الآية : ٩٤

٥٩-سورة الحجر الآيات : ٧١ ـ ٧٤

٦٠-قصص الأنبياء : ١٧١

٦١-سورة الأعراف الآيتان : ٨٠ ـ ٨١ ، وتلاحظ سورة الشعراء الآية : ١٦٤ ، وسورة النحل الآية : ٥٥

٦٢-سورة الأعراف الآية : ٨٢

٦٣-سورة هود الآية : ٧٦ ، ويلاحظ سورة العنكبوت الآية : ٣٣

٦٤-سورة هود الآية : ٧٨

٦٥-سورة الحجر الآية ٦٧

٦٦-سورة الحجر الآيتان : ٦٨ ـ ٦٩

٦٧-سورة الحجر الآية : ٧٠

٦٨-سورة الحجر الآية : ٧١

٦٩-سورة هود الآية : ٨١

٧٠-سورة هود الآية : ٧٨

٧١-سورة هود الآية : ٨٠

٧٢-سورة العنكبوت الآية : ٣٢

٧٣-سورة هود الآية : ٨٢

٧٤-سورة هود الآية : ٨٣

٧٥-سورة الحجر الآيتان : ٧٣ ـ ٧٤

٧٦-سورة الحجر : ٦٥

٧٧-سورة الأعراف الآية : ٨٢

٧٨-تفسير الجلالين : ٢٩٦

٧٩-مجمع البيان : ٦ / ١٠١

٨٠-تفسير الجلالين : ٥٩٨

٨١-مجمع البيان : ٥ / ٢٤٠ ـ ٢٤١

٨٢-سورة الأعراف : الآية : ٨٣ ، وتلاحظ سورة الحجر الآية : ٥٧ ، وسورة العنكبوت الآية : ٣٢ ، وسورة الشعراء الآيتان : ٧١ ـ ٧٢ ، وسورة النمل الآية : ٥٩ ، وسورة الصافات الآية : ٣٢

٨٣-سورة هود الآية : ٨٢

٨٤-سورة القمر الآيتان : ٣٣ ، ٣٤

٨٥-سورة يس الآيتان : ٢٨ ـ ٢٩

٨٦-قصص الأنبياء : ٢٥٤

٨٧-م . ن والصفحة نفسها

٨٨-م . ن والصفحة نفسها

٨٩-مجمع البيان : ٨ / ٢٠٢ ـ ٢٠٣

٩٠-م . ن : ٢٠٣

٩١-م . ن والصفحة نفسها

٩٢-م . ن : ٨ / ٢٠٥

٩٣-م . ن : ٨ : ٢٠٦

٩٤-سورة المنافقون الآية : ٤

٩٥-مجمع البيان : ١٠ / ١٤

٩٦-سورة المؤمنون الآيات : ٣٩ ـ ٤١

٩٧-سورة المؤمنون الآيتان : ٣٠ ـ ٣١

٩٨-مجمع البيان : ٧ / ١٥٠

٩٩-سورة الحاقة الآية : ٦

١٠٠- مجمع البيان : ٧ / ١٥٠

١٠١- سورة فصلت الآية : ١٣

١٠٢- مجمع البيان : ٧ / ١٥٢

١٠٣- سورة يس الآية : ٤٩

١٠٤- مجمع البيان : ٨ / ٢١٣

١٠٥- سورة ق الآيات : ٤١ ـ٤٤

١٠٦- مجمع البيان : ٩ / ١٩٠

١٠٧- سورة يس الآية : ٥٣

١٠٨- مجمع البيان : ٨ / ٢١٥ ـ ٢١٦

١٠٩- سورة الزمر الآية : ٦٨

١١٠- مجمع البيان : ٦ / ٣٠٩

١١١- م . ن : ٨ / ٣٢٢ ، ٧ / ٣٢٤

١١٢- م . ن : ٣٠٩

١١٣- م . ن : ٦ / ٣٠٩ ـ ٣١٠ ، ٧ / ٣٢٤

١١٤- م . ن : ٨ : ٣٢٢

١١٥- سورة النمل الآية : ٨٧

١١٦- مجمع البيان : ٧ / ٣٢٤

١١٧- سورة المؤمنون الآية : ١٠١

١١٨- مجمع البيان : ٧ / ١٦٧

١١٩- م . ن والصفحة نفسها

١٢٠- سورة الكهف الآية : ٩٩

١٢١- مجمع البيان : ٦ / ٣١٠

١٢٢- سورة يس الآيتان : ٥١ ـ ٥٢

١٢٣- مجمع البيان : ٨ / ٢١٥

١٢٤- سورة الزمر الآية : ٦٨

١٢٥- مجمع البيان : ٨ / ٣٢٢

١٢٦- م . ن والجزء والصفحة نفسها

١٢٧- سورة ق الآية : ٢٠

١٢٨- مجمع البيان : ٩ / ١٨٢

١٢٩- سورة الأنعام الآية : ٧٣

١٣٠- مجمع البيان : ٤ / ٦٧

١٣١- سورة طه الآية : ١٠٢

١٣٢- مجمع البيان : ٧ / ٤٢ و ٧ / ٤٤

١٣٣- سورة النبأ الآية : ١٨

١٣٤- مجمع البيان : ١٠ / ١٩١

١٣٥- سورة الحاقة الآية : ١٣

١٣٦- سورة الحاقة الآية : ١٥

١٣٧- سورة المدثر الآيات : ٨ ـ ١٠

١٣٨- مجمع البيان : ١٠ / ١٣٨

مصادر البحث

١- القرآن الكريم

٢- أساس البلاغة - جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق الأستاذ عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، بيروت ، لبنان .

٣- تفسير الجلالين بهامش القرآن الكريم بالرسم العثماني – للإمامين الجليلين : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، و جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مذيلا بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي قدم له وعلق عليه فضيلة العلامة محمد كريم بن سعيد راجح من علماء دمشق ، دار القلم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٤- قصص الأنبياء – للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) حققه وضبطه وعلق عليه وخرج أحاديثه علي بن عبدالحميد أبو الخير ، و وحمد وهبي سليمان ، و معروف مصطفى رزيق ، دار الخير ، ط ١١ ، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م ، بيروت ، لبنان .

٥- قصص الأنبياء ، لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب – عبدالوهاب النجار، دار الجيل ، ط٢ ، دار الجيل ، (د . ت) .

٦- لسان العرب – للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ) ، ط٤ ، ٢٠٠٥م ، طبعة جديدة محققة ، بيروت.

٧- مجمع البيان في تفسير القرآن – تأليف الإمام الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن ابن الفضل الطبرسي من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس الهجري ، وضع حواشيه وخرج آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، بيروت ، لبنان.

٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – وضعه محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الجيل ، بيروت ، دار الحديث خلف جامع الأزهر ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م القاهرة .

الفصل الخامس

الصّاعِقَـةُ في القرآنِ الكريم

الصّاعِقَـةُ في القرآنِ الكريم

بعد أنْ خلقَ الله سبحانهُ وتعالى السموات والأرض ؛ خلقَ لهُنَّ سكاناً، فكان الملائكةُ سكان السموات ، فيما كان الإنس والجن سكان الأرض ، وكان الهدف من خلق الإنس والجن ، هو عبادة الله وحدهُ لا شريك لهُ ؛ وأنْ يكونوا عباداً صالحين ومطيعين ؛ فقال تعالى (١) : **{ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إلا لِيَعْبُدُونِ }** ؛ وبما أنَّ الله سبحانهُ خلقهم مُخيرين في أفعالهم وتصرفاتهم غير مُسيرين ؛ ولكنَّهُ مع ذلك قال (٢) : **{ أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أنْ يُتْرَكَ سُدَىً }** أي أنَّ الله تبارك وتعالى وعلى الرغم من خلقه للإنسان حراً في تصرفاته ؛ إلا أنَّهُ لم يتركه يعبثُ في الأرض كيف ما يشاء ؛ بل أرسل له الأنبياء والرُسل ؛ يرشدونهُ إلى سُبل الرشاد والصلاح فضلاً عن إعطائهِ العقل لكي يُسَيرُ به حياته بالوجهة التي يراها مناسبة له، وقد أكد هذا المعنى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في قوله (٣) : (إنَّ الله لم يخلقكم عبثاً ؛ ولم يتركم سُدىً) ؛ ومع كل ذلك انقسم الإنسان على صنفين : الأول يعبد الله مخلصاً له الدين ؛ مطيعاً للأنبياء والرُسل ، ومطبقاً لما مطلوب منه ، والثاني كافراً متمرداً على التعاليم السماوية ؛ يفسدُ في الأرض ، ويؤذي الأنبياء والرُسل والعباد ، والصنف الأول سيثيبهم الله تبارك وتعالى في الآخرة الجنة ؛ ثواباً لما قدموا لأنفسهم في الدار الدنيا ، وأما الصنف الثاني ، وهم الكفار والمتمردون على تعاليم السماء ؛ فلهم عقاب من الله ؛ ومأواهم النار نكالاً بما كسبت أيديهم في الدار

الأولى ؛ والعقوبات التي سينالها الكافرون والمتمردون عدة أنواع ، منها ما هو دنيوي ؛ ينالونهُ في الحياة الدنيا ؛ ومنها ما هو أخروي مؤجل إلى يوم القيامة ؛ ومن العقوبات الدنيوية الصّاعِقة ؛ وهي موضوعة بحثنا هذا .

الصّاعِقة وفعلها صَعِقَ ؛ تعني الموت ؛ وكلِّ عذابٍ مهلكٍ ؛ وصَعِقَ الإنسان صَعْقَـاً وصَعَقَـاً فهو صَعِقٌ أي مغشيٌ عليه (٤) ؛ والصّاعِقة تسلبُ الإنسان عقلهُ ؛ وذلك من شدة الصوت المنبعث منها ؛ فهو كالهدَّة الشديدة (٥) ؛ والصّاعِقة فيها ثلاث لغات هي : صّاعِقة ؛ وصَقَـعَة ؛ صّاقِعَة (٦) ؛ وبالمحصلة النهائية الصّاعِقة هي : الصوت الشديد المصحوب بالنار المنبعث من الرعد ؛ مع زلزلة تصيب الأرض فترجّها رجَّاً ، وقد يكون الصَعِقُ : الغشي ؛ وهو فقدان الوعي والإدراك ؛ أو ما يسمى بالموت المؤقت ؛ إذ سرعان ما يستفيق الإنسان ؛ ويعود إلى وعيه ، وقد أشار القرآن الكريم الى هذا المعنى في قوله تعالى (٧) : **{... وَخَـرَّ مُوسَى صَعِقَـاً فَـلَمَّا أفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تـُبْتُ إلَيْكَ وَأنَا أوَّلُ المُؤْمِنِينَ }** ، وقد وردت الصاعقة في القرآن الكريم بعدة صيغ ، هي : بصيغة المفرد (صّاعِقة) خمس مرات ؛ وبصيغة الجمع (صواعق) مرتان ، ومرة واحدة بصيغة (صَعِقاً) وأخرى بصيغة (صَعِقَ) وثالثة بصيغة (يصعقون)، وبذلك يكون المجموع عشر مرات .

وسأبدأ البحث بصيغة (صّاعِقة) وهي كما يأتي :

أولاً (٨) : **{ فإن أعْرَضُوا فقلْ أنذرتكُمْ صَاعِقةً مِثلَ صَاعِقةِ عَادٍ وَثمُودَ}**.

هذه الصاعقة هي في واقع الحال صاعقتين اثنتين أصابتا قومَ عادٍ وثمودَ على التوالي ؛ وهنا سأقف على صاعقة عادٍ قوم النبي هود (عليه السلام) ؛ أما صاعقة ثمود قوم النبي صالح (عليه السلام) فهي عقوبة ثانوية كانت مصاحبة لعقوبة الصيحة (٩) ؛ والآن لنقف على صاعقة عادٍ لأنَّها تمثل العقوبة الرئيسة وسنقف على ما صاحبها من عقوبة .

من هي قبيلة عاد : عادٌ قبيلة عربية بائدة سكنت في الجزيرة العربية ؛ وهم قوم النبي هود (عليه السلام) ؛ وقد سكنوا في المنطقة المحصورة بين اليمن وعُمان ؛ وعاصمتهم مدينة أرم التي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى : (١٠) : **{ أ لم ترَ كيف فعل ربك بعادٍ ۞ إرم ذات العماد ۞ التي لم يخلق مثلها في البلاد }** ؛ وكانت قبيلة عاد وثنية مشركة تعبد ثلاثة أصنام هي : ((صداء ؛ وصمود ؛ والهباء)) ؛ فدعاهم نبيهم هود عليه السلام إلى ترك عبادة الأصنام ؛ وعبادة الله وحده ؛ وذلك في قوله تعالى (١١) : **{ والى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره إنْ أنتم إلا مفترون (۞) يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إنْ اجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون (۞) ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل**

السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مدبرين ۞ قالوا يا هود ما جئتنا ببينةٍ وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين } ؛ وقال تعالى (١٢) : **{ وأنَّهُ اهلك عاداً الأولى }** ومن كلام الله سبحانه وتعالى نستدل على أنَّ هناك عادا أخرى .

الصاعقة كانت هي العقوبة الرئيسة التي عاقب الله سبحانه وتعالى بها قبيلة عاد قوم النبي هود (عليه السلام) ؛ ولكن كانت هناك عقوبة ثانية مصاحبة لها هي عقوبة الريح التي جاءت في ستِ آياتٍ كريماتٍ هي :

١- في قوله تعالى (١٣) : **{ فأما عادٌ فاستكبروا في الأرض بغيرِ الحقِّ وقالوا من أشدُ منا قوةً وكانوا بآياتنا يجحدون ۞ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيامٍ نحساتٍ لنذيقهم عذابَ الخزي في الحياة الدنيا ولعذابَ الآخرةِ أخزى وهم لا ينصرون}** أي أنَّ قوم عاد لما تجبروا على قومهم ؛ وعتوا في الأرض فساداً بغير الحق منكرين ما أرسل الله ؛ وكانوا معتدين بقوتهم ظانين أنْ لن يقدر عليهم أحد ؛ فأرسل الله عليهم ريحاً صرصراً أخذتهم دفعة واحدة فجعلتهم خامدين لا حراك لهم.

٢- في قوله تعالى (١٤) : **{ وأما عادٌ فاهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ ۞سخرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانية أيامٍ حسوماً فترى القومَ فيها صرعى كأنَّهم أعجازُ نخلٍ خاويةٍ ۞ فهل ترى لهم من باقية }** أي أنَّ الله أرسل عليهم ريحاً باردة شديدة الهبوب ؛

جعلت أسنانهم تصطك بعضها ببعض من شدة البرد وقوته ؛ واستمرت الريح الصرصر سبع ليالٍ وثمانية أيام حتى أبادتهم عن بكرة أبيهم .

٣- في قوله تعالى (١٥) : **{ وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريحَ العقيمِ ۞ ما تذرُ من شيءٍ أتتْ عليهِ إلا جعلتهُ كالرميمِ }** ؛ والعقيم هي الريح التي لا تأتي بخير وهي أشبه بالمرآة العقيم التي لا تلد ؛ وأراد بذلك قطع نسلهم وإنهاءه .

٤- في قوله تعالى (١٦) : **{ كذبت عادٌ فكيف كان عذابي ونذر ۞ إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يومٍ نحسٍ مستمرٍ }** ؛ الريحُ الصرصر هي الريح التي تهب بقوة وبشدة مع برودة شديدة في يومٍ مشؤمٍ ؛ فأهلكتهم أجمعين ؛ وهنا نلحظ أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يقصد اليوم الزمني المحدد بليل ونهار ((٢٤))ساعة بل أراد زمناً مفتوحاً يكون أطول من اليوم الطبيعي بكثير ؛ إذ أنَّ الآية اللاحقة في رقم((٥)) توضح ذلك بالزمن الحقيقي الذي استغرقته تلك الريح في هبوبها.

٥- في قوله تعالى (١٧) : **{ فأما عادٌ فاهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية ۞ سخرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانية أيامٍ حسوماً فترى القوم صرعى كأنَّهم أعجاز نخلٍ خاوية ۞ فهل ترى لهم من باقية}**؛ في الآية السابقة قال تعالى : في يومٍ نحسٍ ؛ وهنا يقول : سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حسوماً والقول الثاني هو تفسير للمدة التي استغرقها اليوم النحس ؛ ونلحظ هنا أنَّ الله سبحانه وتعالى قال :

سبع ليالٍ وثمانية أيام ولم ثمان نهارات ؛ واليوم يدل على الليل والنهار مجتمعين ؛ وهنا سمى الله النهار باسم الكل وهو اليوم على طريقة المجاز المرسل التي تبيح تسمية الجزء باسم الكل ؛ وكذلك وصف الباري عزَّ وجل تلك الريح بالعاتية أي الطاغية .

٦- في قوله تعالى (١٨): **{ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات}**؛ هنا قولُ عزَّ من قال : في أيامٍ نحساتٍ يدل بذلك على أنَّ معنى اليوم عند الله تعالى غير محدد بزمن معين .

ثانيا : صاعقة بني إسرائيل :

قال الله تعالى (١٩) : **{ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَة فأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ }** .

الحقُ تبارك وتعالى يخاطب بني إسرائيل بعد أنْ خرجوا مع موسى (عليه السلام) ليعتذروا إلى الله سبحانهُ وتعالى عن كفرهم ؛ باتخاذهم العجل رباً من دون الله ؛ وبدلاً من أنْ تخشع قلوبهم خوفاً من الله ؛ تمادوا في غيهم مشترطين على موسى (عليه السلام) أنْ يُرِهِمْ الله سبحانه وتعالى جهراً ؛ ومعاينة مباشرة من غير حجاب ؛ وبما أنَّ الله جلت قدرتهُ ؛ لا تدركهُ الأبصار ؛ ولا يحدّهُ مكان ؛ غضبَ اللهُ عليهم ؛ وعاقبهم من فورهم نكالاً على ما اقترفوهُ من كفرٍ وذنبٍ عظيمٍ ؛ فأرسل عليهم صاعقةً من السماء ، أزهقت أرواحهم ؛ وهم ينظرون بعضهم إلى بعضٍ ، لا حول ولا قوة لهم ؛ ولا يستطيعون دفع الموت عن أنفسهم ؛ فقد قال محمد بن

اسحق(٢٠) : (لما اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً ؛ الخَيِّرُ فالخَيِّرُ ؛ وقال : انطلقوا إلى الله ؛ فتوبوا إليه بما صنعتم ، وسلوهُ التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقاتٍ وقتهُ له ربهُ ؛ وكان لا يأتيهِ إلا بإذنٍ منه وعلم ؛ فطلب منه السبعون أنْ يسمعوا كلام الله ، فقال : أفعل) ، فلما دنا موسى (عليه السلام) من الجبل غشيهُ الغمام حتى غشيَّ الجبل كله ؛ فدخل موسى في الغمام وقال لقومه : ادنوا (٢١) ، (فلما كلم الله تعالى موسى (عليه السلام) وهم شهود يسمعون كلام الله ؛ عاودت جماعة منهم الكفر والعصيان ؛ فلم يؤمنوا أنَّ الله تعالى هو الذي كلم موسى وأنـَّهُ أعطاهُ التوراة ، فقالوا لموسى : لنْ نؤمنَ لكَ ؛ أنَّ اللهَ نبأكَ ؛ وأعطاكَ الكتاب حتى نرى اللهَ بأعيننا ؛ لا يحجبهُ حجاب ولا يسترهُ ساتر) ، قال رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (٢٢) : (الحجاب : النور لو كشفه لاحترقت سبحات (٢٣) وجههِ ؛ ما انتهى إلى بصره من خلقه) ، ولو دققنا النظر في قول بني اسرائيل لرأيناهم يصرون على الكفر إصراراً عجيباً ؛ وذلك من خلال استخدامهم الحرف (لنْ) وهو حرف يستخدم للتأبيد ؛ أي بمعنى أنهم لا يؤمنون نهائياً ؛ وكذلك تجويزهم رؤية الله عزَّ وجل من خلال رفع الحجاب ؛ وهذا يعني أنهم يريدون تجسيم الخالق ؛ وحدِّهِ بمكان معين ؛ وهذا هو الشركُ بعينه ، وحاشا لله أنْ تدركهُ الأبصار ؛ أو يحدَّهُ مكان ؛ فهو

أسمى من ذلك وأرفع ، لذلك طالتهم عقوبة الصاعقة ؛ فماتوا من فورهم.

وصف صاعقة بني إسرائيل :

تعدُ الصاعقة التي ضربت بني إسرائيل ، من أشدِ الصواعق وأعنفها؛ لتكون متناسبة مع الجرم الذي اقترفته هذه الزمرة ؛ إذ كانت الصّاعقة مزيج من عدة عقوبات ؛ جاءَتْ متزامنة ومتوافقة لتعصف بهم ؛ فقد ضمت الصّاعقة بين جناحيها صوتٌ شديدٌ صمّ الأسماع ؛ وبرقٌ ساطعٌ عمى الأبصار ؛ وزلزالٌ عنيفٌ رج الأرض بهم رجاً ، وهم يشاهدون الموت يطالهم جميعاً ؛ ولا يستطيعون دفعه ، فماتوا جميعاً ، هنا توسل موسى (عليه السلام) باللهِ أنْ يعفوَ عنهم ويبعثهم من جديد ؛ ليكونوا حجة على بني إسرائيل ويشهدوا أنَّ الله هو الذي أنزل التوراة والألواح على موسى (عليه السلام) ؛ فاستجاب الله سبحانه وتعالى لطلب موسى فبعثهم من بعد موتهم في قوله تعالى (٢٤) : **{ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }** .

ثالثاً : قال تعالى (٢٥) : **{... فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِم ...}.**

الخطاب في هذه الآية الكريمة موجه إلى الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أنْ قَدِمَ عليه وفدٌ من اليهود ،

يرأسهم الحبر كعب بن الأشرف ؛ واخذوا يحاجونهُ بلا دليلٍ ولا برهان ؛ ويطلبون منه أنْ ينزل عليهم كتاباً مكتوباً من السماء ؛ مثل التوراة والألواح التي أنزلتْ على موسى (عليه السلام) (٢٦) ؛ وهم المقصودين بقوله تعالى : **{ يسألك أهْلُ الكِتابِ أنْ تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتابَاً مِنَ السَّمَاءِ فقدْ سَألُوا مُوسَى أكْبَرَ مِن ذلكَ فَقَالُوا أرِنَا اللهَ جَهْرَةً فأخَذتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلمِهِم }** ؛ وهذه الصاعقة هي ذات الصاعقة التي وردت في التسلسل ثانيا ؛ لذا لا أريد اجترار المعلومة لتكون ثقيلة على القارئ الكريم .

رابعاً : قال تعالى (٢٧) : **{فإن أعْرَضُوا فقُلْ أنذرتكُمْ صَاعِقةً مِثْلَ صَاعِقةِ عَادٍ وَثمُودَ}**.

الخطاب في هذه الآية الكريمة موجه إلى النبي محمد (٢٨) : (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي هذه الآية الكريمة وعيدٌ للمشركين والجاحدين من قريش ؛ إنْ هم صدوا عن الإيمان بالله ورسوله ؛ وتمادوا في كفرهم وغيهم ؛ فقل لهم محذراً إياهم ومخوفاً بعقوبات الله ؛ وعليهم أنْ يستعدوا لتلقي ذات العذاب التي تلقته من قبل ؛ قبيلتا عادٍ وثمود لمّا تمردوا على رسلهم ؛ فطالتهم الصّاعقة المهلكة؛ فأصبحوا أثراً بعد عين .

وصف هذه الصّاعقة : صّاعقة قومِ عادٍ وثمودٍ تميزت بالقوة والشدة ؛ لذلك أبادت القوم وقطعت دابرهم ؛ ولم تترك لهم أثرا ، كأنْ لم يكونوا سكاناً لهذه الديار من قبل ، فأصبحت هذه الصّاعقة

مثلا يضربه الله سبحانه؛ حينما يريد أنْ يحذر أمة من الأمم من سوء أفعالهم ؛ وما تنتظرهم من عقوبات في حال استمرارهم بالكفر والجحود ؛ وهذه الصاعقة تمثل إنذاراً شديد اللهجة لمشركي مكة وكفارها ؛ بعقوبة لا تبقي أحداً منهم ولا تذر ؛ وستبيدهم عن آخرهم؛ كما أبادت من قبل قبيلتي عاد وثمود ، ولكنَّ هذه الصّاعقة لم تطلقْ رحمة من الله سبحانه وتعالى ؛ وإنما كانت مجردُ وعيدٍ للمشركين ؛ لعلهم يرعوون ويثيبون إلى رشدهم ؛ ويعودوا الى سُبل الرشاد والإيمان ، وأرجح أنَّ سببَ عدم إطلاقها يعود إلى قوله تعالى(٢٩): **{ وَلوْلا كَلِمَةٌ سَبَقتْ لقَضِيَ بَيْنَهُمْ ... }** وقوله تعالى(٣٠) : **{ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِبَهُمْ وأنتَ فِيهِمْ }** وهذا تكريمٌ من الله سبحانهُ وتعالى لنبيهِ الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لأنَّ الرسول الكريم كان يردد دائماً اللهم اهدي قومي إنـَّهم لا يعلمون ، والله أعلم .

خامسا : قال تعالى (٣١) : **{ وَأمَا ثمُودُ فهَدَيْنَاهُمْ فاسْتحَبُّوا العَمَى عَلى الهُدَى فأخَذتـُهُمْ صَاعِقةُ العَذابَ الهَوْنِ بِمَا كَانـُوا يَكْسِبُونَ }** .

ثمود هم قبيلة عربية بائدة ؛ أرسل الله سبحانه وتعالى لها النبي صالح (عليه السلام) ، وكانت معجزتهُ الناقة ؛ فدعاهم الى الإيمان ، وترك ما كانوا عليه قبل ذلك ، ولكنهم رغبوا عن الهدى وأحبوا الضلال ؛ ولم يكتفوا بذلك ، فعقروا الناقة ، فأخذتهم

الصيحة، وطالهم العذاب المخزي ، نكالاً لما اقترفت أيديهم من جريمة ، فأهلكهم الله جميعاً ؛ إلا منْ أمن منهم بصالح (عليه السلام) وعمل صالحاً يرضاه الله .

وصف صاعقة ثمود : صّاعقة ثمود لم تكن مجرد صّاعقة عادية، بل كانت أكبر من ذلك بكثير ، فهي صّاعقة مفزعة مهولة تنزعُ الأرواح من الأبدان ، وتطفيْ جذوة الحياة ، فالصّاعقة هي برق شديد يعمي الأبصار، ولكن الله جلت قدرته لم يكتف بعقوبة العمى في عقابه لهؤلاء العتاة المجرمين بل تجاوزه إلى عدة عقوبات أخرى هي كما يأتي :-

١- **الصاعقة :**

أ- قال تعالى (٣٢) : **{ وَفِي ثَمُودَ إذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ۞ فَعَتَوْا عَنْ أمْرِ رَبِّهِمْ فأخذتهُمُ الصَّاعِقةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ}**، من خلال الآيتين الكريمتين نفهم أنَّ هذه الصّاعقة كانت عبارة عن برق عظيم يخطف الأبصار ؛ جاء متزامناً مع صوت إنفجاري شديد ، فهي تعمي العيون ، وتصم الأسماع والأدهى والأمر ، أنَّ هذه العقوبة أتتهم ، وهم أيقاظٌ ينظرون ، فكانت العقوبة مضاعفة عمّا لو أتتهم وهم نيام.

ب - قال تعالى (٣٣) : **{ فإنْ أعْرَضُوا فقلْ أنذرتكُمْ صَاعِقةً مِثْلَ صَاعِقةِ عَادٍ وَثَمُودَ }** ؛ إذا هذه الصّاعقة أصبحت مثلاً يضربهُ اللهُ تبارك وتعالى للأمم التي تعيثُ في الأرض فساداً ، لعلها

ترعوي وتثوب لرشدها ، فلا يصيبها مثلما أصاب قوم عاد وثمود .

٢- الصيحة : وصيحة ثمود تكررت في ست آيات في خمس سور هي كما يأتي :

أ - في سورة هود الآية : ٦٧ **{وَأخَذ الذِينَ ظلمُوا الصَيْحَةُ فأصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ}** وهذا يعني أنَّ الصيحة كانت صباحاً .

ب- في سورة هود الآيتان : ٩٤ـ٩٥ **{ وَأخَذتِ الَّذِينَ ظلموا الصَّيْحَةُ فأصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ كَأْن لَمْ يَغْنَوْا، فِيهَا ألا بُعْدَاً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثمُودُ }** .

ت- في سورة الحجر الآية : ٨٣ **{ فَأخَذتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ }** ، وهذا تأكيد آخر بأنَّ وقت الصيحة كان في الصباح .

ث- في سورة القمر الآية : ٣١ **{ إنا أرْسَلنا عَلَيْهِمْ صَّيْحَةً وَاحِدَةً }** وهذا يعني أنَّ الكافرين ماتوا جميعاً في صيحة واحدة لا غيرها .

جـ - في سورة ص الآية : ١٥ **{وَمَا يَنْظرُ هَؤلاءِ إلا صَّيْحَةً وَاحِدَةً مَا لهَا مِنْ فوَاقٍ}** وهذا توكيدٌ أنها صوتٌ واحدٌ فقط؛ ينقلهم من الدار الأولى إلى الدار الآخرة ، إذ لا عودة لهم إلى الحياة الدنيا أبداً .

حـ - في سورة العنكبوت الآية : ٤٠ **{فَكُلاً أخذنا بذنبهِ ؛ فمنهم من أخذتهُ الصيحةُ}.**

٣- الطاغيةُ : في قوله تعالى (٣٤) : **{ فَأَمَا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بالطاغِيَةِ }** ، أي أهلكهم الله سبحانه وتعالى بالصيحة الطاغية ، وهي الصيحة التي تجاوزت الحد المألوف من الأصوات لشدتها؛ فماتوا جميعا منها (٣٥) .

٤- الرجفة :ُفي قوله تعالى (٣٦) : **{ فَعَقَرُوا النَاقَةَ وَعَتَوْا عَن أمْرِ رَبِّهِمْ ، وَقالُوا يَا صَالِحَ إئْتِنَا بِمَا تَعِدَنا إنْ كُنْتَ مِنَ المُرْسَلِينَ ۞ فأخذتهم الرجفةُ فأصْبَحُوا فِي دَارِهِم جَاثِمِينَ }**، والرجفة هنا تعني الزلزال الذي ضرب مساكنهم فأحالها إلى خراب ؛ إذ كانت الصيحة مصحوبة بالصاعقة والرجفة ، فضلا عن أنَّ الأرضَ تزلزلت بهم ، والرجفة هي الحركة المزعجة بشدة الزعزعة (٣٧) ، فالعقوبة كانت صوتٌ وبرقٌ وزلزالٌ وهم ينظرون لا حول لهم ولا قوة .

٥- العذاب : في قوله تعالى (٣٨) : **{ فَعَقَرُوهَا فأصْبَحُوا نَادِمِينَ ۞ فأخذهُمُ العَذابُ إنَّ فِي ذلكَ لآيَةً ...}** ، فهم مضطربون ، يعانون من الخوف والرعب والقلق ، يترقبون ما سيؤول إليه مصيرهم بعد قتلهم الناقة واختفاء فصيلها ؛ ولم يتركهم الله تبارك وتعالى في دوامة الخوف والاضطراب بل أرسل عليهم أنواعاً من العذاب أحدهما أسوأُ من الآخر ؛ وهكذا أصبحت ثمود مثالا سيئاً لمن لا يؤمن بالله ورسله وكتبه .

٦- الدمدمة : في قوله تعالى (٣٩) : **{ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا }**، والدمدمة في اللغة تعني الكلام الغامض المبهم ، وهنا تعني عذاب أطبق عليهم وأهلكهم جميعاً، لأنهم رضوا جميعاً به ، وحثوا عليه ، فاستوت الدمدمة على صغيرهم وكبيرهم ، ولم ينجُ منها أحد ، وقيل جعل بعضها على مقدار بعض في الإندكاك واللصوق بالأرض ؛ فالتسوية تصيير الشيء على مقدار غيره (٤٠) .

٧- الحاصب : في قوله تعالى (٤١) : **{ فكلاً أخذنا بذنبهِ ؛ فمنهم من أرسلنا عليهِ حاصباً ....}** ؛ والحاصب هي الحجارة ؛ وقيل هي ريحٌ فيها حصىً ؛ أصابت قوم عادٍ وثمود ؛ وقوم لوط (٤٢)؛ فأبادتهم جميعاً ؛ ولم تبقِ منهم أحداً .

وخلاصة القول أنَّ هذه المسميات السبعة هي مسميات لعقوبة واحدة احتوت على عدة صنوف من العذاب ، وهذه العقوبات جميعا اختصت بها قبيلة ثمود قوم صالح (ع) ، وأنا أرجح أنَّ هذه العقوبة هي الأشد والأقسى في القرآن الكريم ، والله أعلم .

سادساً : قال تعالى (٤٣) : **{ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ}** .

الصّاعقة في هذه الآية الكريمة ؛ صعقت قبيلة ثمود ؛ قوم النبي صالح (عليه السلام) وقد مرَّ ذكرها من خلال شرح الصّاعقة

في رابعاً ، وقد آثرت عدم تكرارها ؛ والعتو هنا تعني التمرد وعدم الانصياع لأمر الله تبارك وتعالى .

سابعاً : قال تعالى (٤٤) : **{ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ }** .

في الآيات الكريمات السابقات جاءت الصّاعقة بصيغة المفرد؛ وهنا في هذه الآية الكريمة جاءت بصيغة الجمع ، للدلالة على أنَّ وابلاً من الصّواعق تتابع في الظهور والسقوط على القوم الكافرين في ليلٍ مظلم بهيم ؛ انعدمت فيه الرؤيا لسواده الحالك ؛ وهم من شدة الخوف والهلع ؛ كانوا في حيرة واضطراب شديد ؛ حتى بدا لهم أنَّ أبصارهم ستذهب ؛ وأسماعهم ستصم ؛ فأخذوا في محاولة يائسة يضعون أصابعهم في آذانهم ؛ لعلها تقيهم شدة الأصوات التي يسمعونها ؛ خوفاً من الموت الذي أحاط بهم من كل مكان ، ولكنْ لا مفر من أمر الله ولا نجاة ؛ إلا من رحم ؛ والصيب الذي جاء في هذه الآية الكريمة ؛ يعني المطر الشديد المتواصل ؛ وأراد بالسماء السحب المتراكمة في الجو والمحملة بالأمطار .

هذه الآية المباركة نزلت في رجلينِ منافقينِ ؛ من أهل المدينة هربا من رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ روى ذلك ابن مسعود وجماعة من الصحابة (٤٥) : (فأصابهما المطر الذي ذكرهُ الله تعالى في هذه الآيات ؛ ففيه رعدٌ شديدٌ ؛ وصواعقٌ وبرقٌ

؛ وكلما أضاءتْ لهما الصّواعق ؛ جعلا أصابعهما في آذانهما ؛ مخافة أنْ تدخل الصواعق في آذانهما فتقتلهما ؛ وإذا لمع البرق مشيا في ضوئه ؛ وإذا لم يلمع ؛ لم يبصرا فأقاما ؛ فجعلا يقولان : يا ليتنا قد أصبحنا ؛ فنأتي محمداً ؛ فنضع أيدينا في يديه ؛ فأصبحا فأتياه فأسلما ؛ وحسن إسلامهما ؛ فضرب الله شأن هذين الرجلين مثلاً لمنافقي المدينة ؛ وأنـَّهم إذا حضروا النبي ؛ جعلوا أصابعهم في آذانهم فـَرَقاً من كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنْ ينزل فيهم شيء ؛ كما كان ذلك الرجلان يجعلان أصابعهما في آذانهما ؛ وكلما أضاء لهم مشوا فيه ؛ يعني إذا كثرت أموالهم ؛ وأصابوا غنيمة أو فتحاً مشوا فيه؛ وقالوا دين محمد صحيح ؛ وإذا اظلم عليهم قاموا ؛ يعني إذا هلكت أموالهم وأصابهم البلاء قالوا : هذا من أجل دين محمد ؛ فارتدوا كما قام ذلك الرجلان إذا اظلم البرق عليهما) ؛ هذه الآية الكريمة تؤكد أنَّ المنافقين يعيشون في انعدام وزنٍ واضطرابٍ وحيرةٍ ؛ فهم من جانب يعرفون أنَّ النبي محمد (ص) نبيٌ مرسلٌ ؛ ولكنَّ نفوسهم المريضة ؛ وضمائرهم الميتة ؛ ولحساب مصالحهم الشخصية ؛ تأبى نفوسهم قبول الدين الجديد (الإسلام) ؛ فهم يتخبطون خوفاً من أنْ ينكشف أمرهم ويفتضحوا بين الناس ؛ وتسول لهم نفوسهم أنْ لا يسمعوا المزيد من أقوال الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) خوفاً من أنْ تنتصر إرادة الخير في نفوسهم ؛ فيدخل الإيمان في قلوبهم ؛ ومن أجل ذلك، كانوا إذا حضروا في مجلس رسول الله محمد (صلى الله عليه

وآله وسلم) يضعون أصابعهم في آذانهم لكي لا يسمعوا شيئاً من أقوال رسول الله ؛ وهم يظنون أنَّ الله ورسوله لا يعرفون سريرتهم وأسراهم ؛ ولو شاءَ الله لفضحهم ولكنْ ...

ثامناً : قال تعالى (٤٦) : **{ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ... }** .

تسبيح الرعد هو تنزيهٌ للخالق سبحانه وتعالى ؛ والرعدُ هو الملك بالموكل بالسحاب ؛ يسوقه ويزجره بصوته ؛ حيثُ يشاءُ ؛ ليسقي به الأرض الميتة ؛ فتهتز وتربو وتخرج نباتها رزقاً للعباد وأنعامهم ؛ فالرعد يسبح لله تعالى ويحمده ؛ وقد رُوِيَ عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّهُ قال : فإنَّ ربكم سبحانه يقول: لو أنَّ عبادي أطاعوني ؛ لأسقيتهم المطر بالليل ؛ وأطلعت الشمس بالنهار ؛ ولم أسمعهم صوت الرعد . وكذلك كان يقول إذا سمع الرعد والصّواعق : اللهم لا تقتلنا بغضبك ؛ ولا تهلكنا بعذابك ؛ وعافنا قبل ذلك ، وعن الصّواعق قال الإمام أبو جعفر محمد الباقر (عليه السلام) : الصّواعقُ تصيب المسلم وغير المسلم ؛ ولا تصيب ذاكراً ؛ أي لا تصيب رجلاً مؤمناً مخلصاً في عبادته(٤٧) ، وقال الإمام أبو عبدالله جعفر الصادق (عليه السلام) في فضل سورة الرعد : من أكثر قراءة الرعد لم يصبه الله بصّاعقةٍ أبداً ؛ وإنْ كان مؤمناً أُدْخِلَ الجنة بغير حساب ؛ وشُفِعَ في جميع من يعرفه من أهل بيته وإخوانه (٤٨) .

تاسعاً : قال تعالى (٤٩) : **{ وَلمَا جَاءَ مُوسَى لِمِيقاتِنا وَكَلمَه ُرَبُّه ُقَالَ : رَبِّ أرِنِي أنظُرْ إليْكَ قالَ : لنْ ترَانِي وَلكِنِ انظُرْ إلى الجَبَلَ فإنْ اسْتَقَرَ مَكَانَهُ فَسوْفَ ترانِي فلَمَّا تجَلى إلى الجَبَلِ جَعَله ُ دَكَاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقَاً فلمَّا أفاقَ قالَ : سُبْحَانكَ تُبْتُ إليكَ وَأنا أوَّلُ المُؤْمِنينَ }.**

حدد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة موعداً لموسى(ع) ؛ لكي يكلمه ؛ وينزل عليه التوراة والألواح ؛ فلما انتهى الى المكان في الزمان المحدد له ؛ فكلمه الله بالوحي المباشر، إذ أنَّ الله سبحانه وتعالى يكلم الأنبياء وحياً عن طريق الملائكة ؛ ثم قال موسى مخاطباً ربِّ العزَّة : أرني نفسك أنظر إليك ؛ مع علمه المسبق ؛ بأنَّ الله سبحانه لا يدرك بالحواس ؛ فكان الجواب بالنفي القاطع لن تراني أبداً ؛ ولكن يمكن أنْ تراني إذا استقر الجبل في مكانه ؛ وذلك من باب الاستحالة ؛ وعندما ظهر نور الله على الجبل جعله مستوياً بالأرض ؛ وقيل ساخ في باطن الأرض ؛ ورُوِيَ عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّهُ قال : صار الجبل ستة أجبل ؛ وقعت ثلاثة بالمدينة ؛ وثلاثة بمكة ، فالتي بالمدينة : أحد ؛ وورقان ؛ ورضوى ؛ والتي بمكة : ثور ؛ وثبير ؛ وحِراء ، وفي الوقت نفسه صَعَقَ موسى ؛ فوقع مغشيا عليه ؛ في عشية يوم الخميس ؛ يوم عرفة ؛ وأفاق عشية يوم الجمعة ؛ وفيه نزلت عليه التوراة ، ولما استعاد موسى وعيه ورجع إليه عقله ؛ قال منزهاً

الخـالق : سـبحانك ؛ مـن أنْ تأخـذني بمّـا فعـل السـفهاء مـن سـؤال الرؤية ؛ ،أما قوله : وأنا أول المؤمنين ؛ فقد قـال الإمـام أبـو عبدالله جعفر الصادق (عليه السلام) معناه : أنـا أول من آمن وصدّق بأنك لا تـُرى (٥٠) .

عاشراً : قـال تعـالى (٥١) : **{ وَنـُفِخَ فِي الصُّورِ فـَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلا مَا شَاءَ اللهُ ثـُمَ نـُفِخَ فِيـهِ أخْرى فـإذا هُمْ قِيَامٌ يَنظرُونَ}**.

في هذه الآية الكريمة جاءت الصّاعقة بصيغة الفعل (صَعِقَ) ، والـنفخ فـي الصـور ؛ هـو إطـلاق صـوت الصـيحة الأولـى مـن قبـل اسـرافيل (عليـه السـلام) لينهـي الحيـاة الـدنيا ، ويطفـئ جـذوتها ؛ والصـور الـذي يـنفخ فيـه يشـبه القـرن (٥٢) ؛ وقيـل يشـبه بـوق الرحيـل(٥٣) ؛ وقيـل هـو جمـع صـورة ؛ لأنَّ الله سـبحانه وتعـالى يصور الخلق في القبور ؛ كما صورهم في أرحام أمهاتهم ، ثم ينفخ فيهم الأرواح ؛ كما نفخها فيهم وهم في أرحام أمهاتهم(٥٤) ، وقيل إنَّ اسرافيل ينفخ فـي الصـور ثـلاث نفخـات : النفخـة الأولـى : نفخـة فزعٍ ، والنفخة الثانية : نفخة الصعق التي تصـعق مـن فـي السموات ومـن فـي الأرض ، فيموتـون جميعـاً ، والنفخـة الثالثـة : نفخـة القيـام لـرب العـالمين ، فيحشـر النـاس مـن قبـورهم (٥٥) ، ونفخـة إطفـاء جذوة الحياة ، لم تبقِ على وجه السماء ؛ ولا على وجه الأرض حيـاً يـُرزق ؛ باسـتثناء جبرائيـل واسـرافيل وميكائيـل وعزرائيـل ، وهـم

المعنيون بقوله تعالى : **{ إلا مَا شَاءَ اللهُ }** ؛ وقيل أنَّ رسول الله محمد (ص) سأل جبرائيل عن المستثنين في هذه الآية فقال : هم الشهداء مقلدون أسيافهم حول العرش(٥٦) ، وأنا أرجحُ الرأي الأول، أمَّا النفخة الثانية ؛ فهي نفخة الحشر وعودة الأرواح إلى الأجساد ؛ لينهض الموتى من قبورهم ؛ ويقفوا في عرصات القيامة بين الله سبحانه ، ليعرف كلِّ عبدٍ ما قدم لنفسه في الدار الأولى ؛ فإنْ كان خيراً ؛ فهو من أصحاب اليمين ؛ ومن ثم فهو من أهل الجنة ؛ وإنْ ؛ كان شراً ؛ فهو من أصحاب الشمال ؛ ومن أهل السعير؛ والمدة الزمنية الفاصلة بين النفختين هي أربعون سنة(٥٧).

عاشراً : قال تعالى (٥٨) : **{ فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ }** .

في هذه الآية المباركة جاء ت الصّاعقة بصيغة الفعل (يصعقون) وهو من الأفعال الخمسة ؛ والمخاطب في هذه الآية الكريمة هو : النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ إذ يخاطبه الحق عزَّ وجل قائلاً : دع كفار مكة ومشركيها ، يتخبطون في ضلالهم وسوء أفعالهم وتصرفاتهم ؛ فإنَّهم سيهلكون بالصّاعقة في يوم الوقت الموعود ؛ وهو يوم صعقةِ النفخة الأولى ؛ التي تطفئ جذوة الحياة الدُنيا ؛ فتموت جميع الخلائق ؛ وعند ذلك لا تنفعهم حيلتهم ؛ ولا تدفع عنهم شيئاً (٥٩) وسيؤول مصيرهم إلى جهنم وبئس المصير .

الخاتمـــة : بعد أنْ قرأنا آيات الصَّاعقة ؛ وأحصينا عددها ؛ وتعرفنا على السور التي جاءت فيها ؛ فضلاً عن معرفة أنواعها وأوقاتها وأصحابها ، وكذلك وقفنا على أسمائها و مرادفاتها ؛ وذلك بعد رحلة إيمانية ممتعة في كتاب الله العزيز ؛ القرآن الكريم ، توصلنا بفضل من الله وتوفيقه من خلالها إلى النتائج الآتية :

١- الصّاعقة عقوبة عذاب آنية دنيوية متقدمة قبل أوان يوم القيامة ؛ خصَّ بها الله سبحانه وتعالى الأقوام والأمم التي عاثت في الأرض فساداً ؛ ليكونوا عبرةً لغيرهم من الأقوام والأمم ؛ لعلهم يرعوون عن غيهم وكفرهم .

٢- الصّاعقة في الأغلب الأعم ؛ هي برق ساطع يغشي الأبصار؛ وقد يعميها.

٣- الصّاعقة تمثل مجموعة عقوبات ؛ تجمعت في عقوبة واحدة مثل : الصّاعقة والصيحة والرجفة والعذاب .

٤- قد يفوق المعاقب بالصّاعقة ؛ ويعود إلى الحياة الدنيا مرة ثانية ؛ من مثل موسى (ع) وقومه ؛ وذلك على سبيل المعجزة .

٥- قد تكون الصّاعقة تحذير وتخويف ؛ مثلما حدث للرجلين المنافقين اللذين فرا من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) .

٦- وردت الصّاعقة في ثمانِ سور ؛ في عشرِ آيات ؛ وبعدة صيغ .

٧- الصّاعقة تكون مصاحبة للرعد والبرق والسحاب ومتزامنة معهما ؛ يسوقهم جميعاً ملك الرعد حيث يشاء ، وتصيب من تشاء بأمر الله سبحانه وتعالى .

وأخيراً وليس آخراً ، الحمدُ لله ربِّ العالمين ؛ الذي هدانا لدراسة كتابه الكريم القرآن الكريم وتدبر أياته ، فإنْ أصبتُ فيما كتبتُ فبفضلٍ من الله وتوفيقه ، وإنْ جانبتُ الصواب ، فمن تلقاء نفسي ، وحسبي أنَّي اجتهدتُ ولكلِّ مجتهدٍ نصيب ، وآخر دعوانا : ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وصلى الله تعالى على رسوله الكريم محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين وسلم تسليماً كثيراً .

الهوامش

١- سورة الذاريات ؛ الآية : ٥٦

٢- سورة القيامة ؛ الآية : ٢٦

٣- لسان العرب ؛ المادة : صعق

٤- المصدر السابق نفسه

٥- المصدر السابق نفسه

٦- سورة الأعراف ؛ الآية : ١٤٣

٧- سورة البقرة ؛ الآية : ٥٥

٨- سورة هود الآية : ٦٧

٩- الإنترنت – الموسوعة الحرة

١٠- سورة القمر الآيات : ٦ – ٨

١١- سورة النجم الآية : ٥٠

١٢- سورة هود الآيات : ٥٠ – ٥٣

١٣- سورة فصلت الآيات : ١٣ – ١٦

١٤- سورة الحاقة الآيات : ٦ – ٨

١٥- سورة الذاريات الآيتان : ٤١ – ٤٢

١٦- سورة القمر الآية : ١٩

١٧- سورة الحاقة الآيات : ٦ – ٨

١٨- سورة السجدة الآية : ١٦

١٩- سورة فصلت ؛ الآية : ١٣

٢٠- قصص الأنبياء (الحافظ) : ٣٤٢
٢١- قصص الأنبياء (النجار) : ٣٥٠
٢٢- صحيح مسلم : ١ / ٧٩ / ٢٩٣
٢٣- سبحات : أنوار
٢٤- سورة البقرة ؛ الآية : ٥٦
٢٥- سورة النساء ؛ الآية : ١٥٣
٢٦- مجمع البيان : ٣ / ١٧٢
٢٧- سورة فصلت ؛ الآية : ١٣
٢٨- مجمع البيان : ٩ / ٧
٢٩- سورة هود ؛ الآية : ١١٠
٣٠- سورة الأنفال ؛ الآية : ٣٣
٣١- سورة فصلت ؛ الآية : ١٧
٣٢- سورة الذاريات ؛ الآيتان : ٤٣ ــ ٤٤
٣٣- سور فصلت ؛ الآية : ١٣
٣٤- سورة الحاقة ؛ الآية : ٥
٣٥- مجمع البيان : ١٠ / ٨١
٣٦- سورة الأعراف ؛ الآيتان : ٧٧ ــ ٧٨
٣٧- مجمع البيان : ٤ / ٣٣٨
٣٨- سورة الشعراء ؛ الآيتان : ١٥٧ ــ ١٥٨
٣٩- سورة الشمس ؛ الآية : ١٤
٤٠- سور هود ؛ الآيتان : ٩٤ ــ ٩٥

٤١- سورة العنكبوت ؛ الآية : ٤٠

٤٢- مجمع البيان : ٨ / ١٩

٤٣- سورة الذاريات ؛ الآية : ٤٤

٤٤- سورة البقرة ؛ الآية : ١٩

٤٥- مجمع البيان : ١ / ٨٢

٤٦- سورة الرعد ؛ الآية : ١٣

٤٧- مجمع البيان : ٦ / ١٧

٤٨- م . ن : ٦ / ٣

٤٩- سورة الأعراف ؛ الآية : ١٤٣

٥٠- مجمع البيان : ٤ / ٢٧١ - ٢٧٢

٥١- سورة الزُمر ؛ الآية : ٦٨

٥٢- مجمع البيان : ٦ / ٣٠٩

٥٣- م . ن : ٨ / ٣٢٢ ، ٧ / ٣٢٤

٥٤- م . ن : ٦ / ٣٠٩

٥٥- م . ن : ٦ / ٣٠٩ ــ ٣١٠ ، ٧ / ٣٢٤

٥٦- م . ن : ٨ / ٣٢٢

٥٧- م . ن : ٨ / ٣٢٢

٥٨- سورة الطور ؛ الآية : ٤٥

٥٩- مجمع البيان : ٧ / ٢١٦

المصادر

١- القرآن الكريم
٢- صحيح مسلم ، الإمام مسلم النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، ١٩٥٥م ، القاهرة .
٣- قصص الأنبياء - للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) حققه وضبطه وعلق عليه وخرَّج أحاديثه علي بن عبدالحميد أبو الخير ، و وحمد وهبي سليمان ، ومعروف مصطفى رزيق ، دار الخير ، ط ١١ ، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م ، بيروت ، لبنان .
٤- قصص الأنبياء ، لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب - عبدالوهاب النجار، دار الجيل ، ط٢ ، دار الجيل ، (د . ت) .
٥- لسان العرب – للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ) ، ط٤ ، ٢٠٠٥م ، طبعة جديدة محققة ، بيروت .
٦- مجمع البيان في تفسير القرآن - تأليف الإمام الشيخ أبي علي الفضل ابن الحسن بن الفضل الطبرسي من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس الهجري ، وضع حواشيه وخرَّج آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، بيروت ، لبنان .
٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - وضعه محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الجيل ، بيروت ، دار الحديث خلف جامع الأزهر ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م القاهرة .

الفصل السادس

الخطبة النبوية الشريفة

امتداد للقرآن الكريم

الخطبة النبوية الشريفة امتدادٌ للقران الكريم

الخطابة هي إحدى السُبل المهمة التي انتهجها الرسول الكريم مُحمّد (صلى الله عليه وآله السلم) في نشر الدين الإسلامي الحنيف، وذلك عندما كان يستقبل القبائل العربية في موسم الحج ، لأنَّ الخطابة أرفع فنون القول البشري درجة ، وهي أسمى درجة من الشعر وأرفع ، بدلالة أنَّ الله سبحانه وتعالى ؛ ارتضى لنبيه الكريم مُحمد عليه الصلاة والسلام ؛ أنْ يكون خطيباً ، ولم يرتضِ له ؛ أنْ يكون شاعراً ، ذلك لآنَّ الخطابة تمثلُ منبر علية القوم من الملوك والرؤساء والقادة والفرسان ووجوه المجتمعات والقبائل ، أما الشعر فهو لعامة الناس ؛ يشترك فيه العقلاء والمجانين والحمقى ، مثلما يشترك فيه علية القوم وسوقتهم ، فمن هذا المنطلق ؛ كان النبي مُحمد خطيباَ مفوهاً لا يدانيه خطيب ، ولم يكن شاعراَ ؛ قال تعالى(١) : **{ وما علمناهُ الشعرَ وما ينبغي لهُ ...}** .

والقرآن الكريم ، هو دستور المسلمين الذي أنزله الله سبحانه على نبيه الكريم ، ليكون دليل عمل للمسلمين في كلِّ عصورهم وأوطانهم ؛ وعلى اختلاف لغاتهم ومشاربهم وألوانهم ، فالقرآن الكريم تشريعٌ يحتاج إلى توضيحٍ في بعض آياته الكريمة وأحكامه ، وهنا يأتي دور الرسول الكريم مُحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ليوضح للمسلمين ما استغلق فهمه عليهم ، وفي أحيان أخرى يأتي القرآن الكريم شاهداً معززاً لأقوال الرسول وأفعاله ، وهنا سأقف

على خطبة قصيرة للرسول مُحمد عليه الصلاة والسلام ، لتكون مثالاً تطبيقياً على ما تقدم التمهيد له .

فقد روى الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) خطبة قصيرة فقال (٢) : ((إنَّ رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) خطب بعشر كلمات _ والجاحظ أراد بعشر كلمات ، عشر جمل من باب تسمية الكل باسم الجزء في باب المجاز المرسل ، وهو تعبير بلاغي معروف عند العرب ومشهور - فقد ارتقى النبي مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناسُ إنَّ لكم معالمَ فانتهوا إلى معالِمِكُم (٣) ، وإنَّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتِكم ، إنَّ المؤمنَ بينَ مخافتينِ : بينَ عاجلٍ قدْ مضى ، لا يدري ما اللهُ صانعٌ بهِ ، وبينَ أجلٍ قدْ بقى ، لا يدري ما اللهُ قاضٍ فيهِ ، فليأخذْ العبدُ من نفسِهِ لنفسِهِ ، ومن دُنياهُ لآخرتِهِ ، ومن الشبيبةِ إلى الكبرةِ(٤) ، ومن الحياةِ قبلَ الموتِ ، فَوَالذي نفسُ مُحمدٍ بيدهِ ، ما بعدَ الموتِ من مُستعتبٍ ، ولا بعدَ الدُنيا من دارٍ ، إلا الجنة أو النار)) .

المسلمون كافة ؛ القاصي منهم والداني ، وبمختلف أطيافهم وألوانهم ولغاتهم يعرفون جيداً ، أنَّ أقوال رسول الله مُحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأفعاله ؛ وما يرتضيه من الأقوال والأفعال هيَ سُنة ، والسُنة النبوية الشريفة تمثل الرافد الثاني للشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم ، الذي يُعد الرافد الأول لها ،

والرسول مُحمّد عليه الصلاة والسلام ، لم ينطق ، ولم يتصرف ، إلا بما يرتضيه الله سبحانه وتعالى له ؛ فضلاً عن كونه معصوماً من الخطأ ، ومنزهاً من الخطل ، لذلك قال الله سبحانه وتعالى عنه في محكم كتابه الكريم : (٥) **{ وما ينطقُ عن الهوى ۞ إنْ هُوَ إلا وحيٌ يُوحى }** هاتان الآيتان الكريمتان تؤكدان وبما لا يقبل الشك، أنَّ كلِّ ما نطق به رسول الله مُحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو سُنة واجبة التطبيق ، وعلى المسلمين كافة الأخذ بها ، وهم مطمئنون ، وبخلاف ذلك يتحملون إثماً إنْ ناقشوها ، أو رفضوا إتباعها ، ولو جزئياً ، والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في هذه الخطبة المباركة رسم مساراً واضحاً لكلِّ مسلم ومسلمة ، وعلى المسلمين والمسلمات كافة ؛ أنْ يلتزموا بذلك ؛ ولا يتجاوزوه ، فقد قال الرسول : (أيها الناس : إنَّ لكم معالمَ فانتهوا إلى معالمكم) ، والمَعْلم : هو العلامة الدالة على الطريق الواضح الصحيح ، وهي تعني أنَّ طريق المسلم فيه علامات دالة ، ترشد السائرين فيه إلى الوجهة الصحيحة التي يرتضيها الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم للمسلمين ، وإذا لم يلتزم المسلم بتلك العلامات ، فإنَّ طريقه يكون قد انحرف عن الطريق القويم ، وسار بمنْ سلكهُ باتجاه الضلال والضياع ، وقاده بالمحصلة النهائية إلى نهاية مفزعة ومرعبة ، تنتهي به إلى نار جهنم خالداً فيها ، إلا ما شاءَ الله ، والرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) يريد في هذا أنْ يعرفَ الناسُ أقدارَهم ومقاديرَهم ، ومن معاني المَعْلم البلاغية،

المكانـة أو المنزلـة التـي اختارهـا الله سبحانه وتعـالى للعبد ، وعلـى الإنسـان ألا يتجـاوز ذلك ، فتكـون عاقبتـه وخيمـة ، وإنَّ لكلِّ امـرئٍ حدود ، وعليـه أنْ يعرفهـا ، ويقف عندها ، ولا يتجاوزهـا ، ليظهر أمام الله ، وأمام الناس بحجمه الطبيعي الحقيقي ، فلا يكون صـغيراً فيُزدرى ، ولا كبيراً فارغاً ، فيُفتضح أمره أمام المجتمع ، فضلاً عن كونـه يُعد منافقاً ، وعليـهِ أنْ يعرف قدره ، ومكانتـه قبل أنْ يُعَرِفـَهُ النـاسُ بحجمـه الحقيقـي ، وعنـد ذاك لا ينفـع النـدم وعـض الأنامل ، ولو قرأنا هذا المقطع من الخطبـة قراءة ثانيـة ، لرأينـا أنَّ الله سبحانه وتعـالى عـندما أراد أنْ يخلـق الإنسـان ، جمـع الملائكـة وخـاطبهم قـائلاً (٦) : **{إنـي جاعـلٌ فـي الأرض خليفـة}** أي أنَّ الله سبحانه لم يخلق الأرض بلا هدف وبلا جدوى ، بل أراد أنْ تكون حقلاً ؛ وميداناً لتطبيق العدالة السماوية التي يريدها الله أنْ تسود فـي الأرض ، وخليفـة : تعنـي مـن ينـوب فـي العمـل والقيـادة ، فكـان الإنسـان هو النمـوذج المثـالي لتنفيـذ أوامـر الله سبحانه وتعـالى فـي الأرض ، وبما أنَّ الإنسان هو النموذج الذي اختـاره الله ، فعليـه أن يكون هذا المخلوق في أفضل صورة وهيأة فقال تعالى (٧) : **{ لقدْ خلقنا الإنسانَ في أحسنِ تقويمٍ }** ، هذه الآيـة الكريمـة تشمل النـاس كافة ، وبما أنَّ الله سبحانه وتعالى اختار من بينهم أفضلهم وأكملهم، وهم الأنبياء والرسل ، والنبي مُحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أكرم الرسل والأنبيـاء ، لـذلك اختـاره الله لأنْ يكـون خاتمـاً للأنبيـاء والمرسـلين ، ولـه الشـريعة السـمحة الكاملـة ، لـذا فقـد خاطبـه الله

سبحانه وتعالى قائلاً (٨) : **{وإنكَ لعلى خـلُقٍ عظيم}** ، وهذا المدح الإلهي للرسول مُحمد ، هو تكريم خاص وعام ، فالخاص منهُ ؛ هو لشخص الرسول الأعظم ، والعام هو للمسلمين كافة دون سواهم من الديانات الأخرى ، لأنـَّهُ هو نبيهم المرسل إليهم على وجه الخصوص ، وبعد أنْ خلق الله الإنسان افترض له طريق الخير والصلاح ، ودله على الخير والشرِّ ، وأعطاه العقل والنفس ، وخيره في مساره ، ولم يفرض عليه شيئاً ، وتبعاً لذلك كان على الإنسان أنْ يتحمل تبعة ما تؤول إليه أعماله وأفعاله ، فقد قال تعالى(٩) : **{ونفسٌ وما سواها ۞ فألهمها فجورَها وتقواها}** ، ومعلوم أنَّ الفجور هو التمرد والمعصية وعدم طاعة الله ، وهو من النفس التي جُبِلتْ على الخطأ ، وهي التي تقود العبد إلى المعصية والضلال ، فقد قال عزَّ من قال (١٠) : **{إنَّ النفسَ لأمارة بالسوءِ}**، والتقوى هي من ثمار القلوب والعقول ، فالعقل يمثل الكابح الرادع للنفس الإنسانية ، وهو الآمر الذي يأمرها وينهاها ، فإذا كان العقل أقوى من النفس ، روضها وقادها إلى شاطئ الصلاح والخير ، وصولاً بها إلى الأيمان والالتزام بطاعات الله ، والامتناع عن نواهيه ، وإذا كانت النفس هي المسيطرة على العقل، فأنها تقود العبد إلى ما لا تـُحمد عقباه من ارتكاب الآثام ، وركوب المعاصي ، والتمرد على التعاليم الصحيحة التي جاء بها الإسلام ، واقتراف النواهي المنكرة التي رفضها الإسلام وقوض أركانها وأبطلها ، واللافت للنظر أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يلزم العباد

باعتناق دين معين ، ولكنه كان يحثهم على طاعة الأنبياء والرسل ليجنبهم النهاية المأساوية التي تنتظر المتمردين على تعاليم السماء ، وعدم إتباعهم الأنبياء والرسل ، فقال (١١) : **{ لا إكراهَ في الدينِ فقدْ تبينَ الرُشدِ مِنَ الغَيّ فمن كفرِ بالطاغُوتِ ويؤمنُ باللهِ فقدْ استمسكَ بالعروةِ الوُثقى لا انفصامَ لها واللهُ سميعٌ عليمٌ }** ، أي أنَّ العبدَ مُخيرٌ وغير مُجبر ، وبما أنـَّهُ مُخيرٌ ، وأنَّ الله سبحانه وتعالى قد بيَنَ له طريق الهدى ، وطريق الضلال ، فهو مُخير أيهما يسلك فلنفسه ، ومن باب الإحاطة الإلهية ورحمة من الله بالإنسان الجهول العجول ، قال تعالى (١٢) : **{ إنا هديناهُ السبيلَ ، إما شاكراً وإما كفُوراً}** ، فالشاكر هو المؤمن الذي تمسك بحبل الله فنجى ، والكافر هو الجاحد الذي ابتعد عن رحمة الله فهوى ، وذلك من خلال طاعته لنفسه الأمارة بالسوء ، وفي الجملة الثانية قال الرسول (عليه الصلاة والسلام) : (وإنَّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم) ، الله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان ، افترض له العاقبة الحسنة ، والنهاية في الجنة التي خلقها لمن يرتضي أعماله من عباده ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان خلقه في الجنة ، ولكنه أراد منه أنْ يعمر الأرض ، ويعمل فيها صالحاً فأنزلهُ إلى الأرض ، تطبيقاً لقوله تعالى (١٣) : **{ إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةً }** وعلى الإنسان أنْ يسعى إلى تلك النهاية بالعمل الصالح من خلال الالتزام بتعاليم الإسلام التي جاءت في القرآن الكريم ، وفي السُنة النبوية الشريفة ، فقد قال الله تعالى (١٤) :

{وإنْ ليسَ للإنسانِ إلا ما سعى } ، وإذا لم يلتزم الإنسان بذلك ، قادته نفسه إنْ شاءَ أم أبى إلى النهاية المرعبة ، التي تتمثل في النار التي وقودُها الناس والحجارة ، وذلك تطبيقاً لقوله تعالى (١٥) : **{قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة}** وهي نهايةٌ لم تكن معدة له سلفاً ، ولكنَّ نفسه المتمردة ؛ الأمارة بالسوء ، ومن خلال عدم التزامها بالطاعات ، وقيامها بارتكاب المعاصي والمنكرات ، هي التي أوصلته إلى هذه النهاية المؤلمة ، ونلحظ هنا أنَّ النبي مُحمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤكد أنَّ النهاية في غاية الأهمية ، لأنَّ مصير الإنسان معلقٌ بها ، فإذا كانت النهاية ايجابية ، سعدت نفسه ، واستراحت في الجنة ، وإذا كانت ـ لا سامح الله ـ سلبية شقيت وعانت سوء العاقبة ، وبما أنَّ الإنسان في كلَّ أدوار حياته ، غافل عما يجري حوله ، وما يحيط به من خلال انغماسه بالحياة الدنيا وملذاتها ، فأنه دوماً بحاجة إلى من يذكره بسوء أعماله ، ويرشده إلى الصراط المستقيم ، والله سبحانه وتعالى يُحبُّ عباده ولا يدعهم يضيعون في الحياة الدنيا وملذاتها ؛ فقال(١٦): **{ أيحسبُ الإنسانَ أنْ يتركَ سُدى }** ، ومن أجل ذلك هيأ له الأنبياء والرسل ، وأرسلهم تباعاً وحسب حاجة الناس إليهم ، ليرشدونهم إلى طريق الهدى ، ويصوبوا لهم ما أعوج من مسارات حياتهم ، وينقلونهم من الظلمات إلى النور، من باب لعلَّ العبد يرعوي ويتعظ ، فيثوب إلى رشده ، ويتوب إلى ربه ، فيعمل صالحاً يرضاه الله ، فقال تعالى (١٧) : **{وإنك لتدعوهم إلى صراطٍ**

مستقيمٍ} المخاطب في هذه الآية الكريمة هو النبي مُحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ذلك لأنَّ الله سبحانه وتعالى أرسلهُ رحمة للعالمين ، فقال (١٨) :**{وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمين}** ، والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، هو المبلغ عبادَ الله ؛ عن الله ، فقال مخاطباً المسلمين (١٩) (إنَّ الله سبحانه وتعالى سيسألُ الإنسانَ : ألمْ يأتكَ رسولي فبلغكَ ، وآتيتكَ مالاً ، وأفضلتُ عليكَ ؟ فما قدمتَ لنفسكَ ؟ فينظرْ يمينًا وشمالاً ، فلا يرى شيئًا ، ثم لينظرْ قدامهُ ، فلا يرى غيرَ جهنم) ولاختصار الطريق أمام العبد المسلم، وجدنا رسول الله مُحمد (عليه الصلاة والسلام) قد حدد له مسارين لا ثالث لهما ، وهما (إنَّ المؤمن بين مخافتين) أي بمعنى بين حدَّين ـ البداية والنهاية ـ وهو بين الحدَّين ، لا يعرف موقعه بالتحديد ، وأنَّ رسول الله مُحمد (عليه الصلاة والسلام) قد أكد هذه الحقيقة بقوله (بين عاجل قد مضى ، لا يدري ما الله صانع به ، وبين أجل قد بقى ، لا يدري ما الله قاضٍ فيه) ومما لا شك فيه أنَّ الإنسان لا يعرف ، هل عمله مقبول عند الله أم لا ؟ ولا يعرف ما يترتب على القبول أو الرفض من ثواب أو عقاب ، وهل هو من أصحاب اليمين ؟ أم هو من أصحاب الشمال ؟ وهل يثاب بالجنة ، بعد أنْ يتقبلَ الله أعماله إنْ كانت صالحة مرضية ، أم أنَّ أعماله كانت سلبية ، فعند ذاك ستكون كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، فتذهبُ هباءً منثوراً ؟ ذلك لأنَّ الأمرَ حينذاك بيد الله وحده ، ولا يعلم خواتيم الأعمال غيره ، وبالمحصلة النهائية يؤول

مصيره إلى النار ، فضلا عن أنَّ الإنسان لا يعرف مقدار عمره ، فهو لا يدري ، كم سنة سيعيش ؟ هل هو قصير العمر أم من المُعمرين ؟ ولا يدري ما تضمر له الأيام ، وكيف سيكون قضاء الله فيه ، لأنَّ الإنسان غير مطلع على الغيب ، ولا يدري في أيِّ مكان سيموت ومتى ؟ (٢٠) **{ وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ }** وكذلك هو لا يعرف مقدار الشطر الذي ذهب من عمره ، وكذلك لا يعرف مقدار الشطر المتبقي من عمره ، وما سيجري الله عليه ، فيه من أمور ، لأنَّ كلَّ ذلك هو في علم الغيب ، ولا يحيط به إلا الله وحده ، لذلك لفت رسول الله مُحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نظر المسلم (العبد الصالح) الذي خلصت عبوديته لله سبحانه وتعالى ، إلى أنَّ الأعمال المعتبرة عند الله ، هي الأعمال التي يقدمها المؤمن المسلم ، بنفسهِ لنفسهِ ، وليست الأعمال التي تقدم له بالنيابة ، لأن كلَّ نفس تقدم لنفسها ، لا لغيرها ، وأنَّ الإنسان هو الذي سيتحمل وزر أعماله ، حلوها ومرَّها ، وأنَّ العمل والصلاح والاختبار هو في الدار الدُنيا ، فعلى المؤمن أنْ يتزود من الدار الدُنيا ليوم الحساب ، وخير الزاد التقوى ، لأنَّ الدُنيا دار عمل بلا حساب ، والآخرة دار حساب وثواب وعقاب ، لما قدمه الإنسان لنفسه في حياته ، سواءً كان العمل إيجابياً أم سلبياً ، وذلك تطبيقاً لقوله تعالى (٢١) : **{وأنَّ سعيهُ سوفَ يُرى * ثمَ يجزاهُ الجزاءَ الأوفى}** ثم أضاف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلا : (من الشبيبةِ إلى الكبرةِ) أي أنَّ أفضل الأعمال عند الله ، ما قدمها

المؤمن كاملة ، وبنشاط وبلا كسل ولا ملل ، فالإنسان في شبابه ، وهو في عنفوان قوته ، يؤدي ما مطلوب منه من العبادات بدقة ، وبصورة مباشرة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر يستطيع المسلم الحاج الشاب القوي ، أنْ يؤدي مناسك الحج كاملة بنفسه من دون الاعتماد على غيره ومساعدته ، وعندما يتقدم به العمر ، وتضعف قواه الجسدية ، يحتاج إلى من ينوب عنه في تأدية هذا المنسك أو ذاك ، وبذلك يقل ثوابه وأجره عن الذي يؤدي المناسك بنفسه ، ومصداق ذلك قول النبي الكريم مُحمد عليه الصلاة والسلام (٢٢) : (المؤمنُ القويُ خير ، وأحبُ إلى اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ) فعلى العبد المسلم استغلال قوته في مرحلة الشباب ؛ بالعمل الصالح المرضي ليجمع لنفسه رصيداً طيباً من الحسنات ، قبل فوات الأوان ، ليدرأ بها النقص الذي قد يحصل في مرحلة الشيخوخة والكهولة والعجز، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (ومنَ الحياةِ قبلَ الموتِ) والرسول هنا يلفت نظر العبد الصالح إلى أنَّ أعمال المسلم المأداة وهو على قيد الحياة ، هي التي يعولُ عليها في يوم المحشر والحساب ، وأجرها أكبر بكثير من الثواب التي يأتيه بعد موته ، ذلك لأنَّ الإنسان إذا مات أنقطع عمله ، إلا من ثلاث لسنا بصدد ذكرها ، وهذا يعني توقف عجلة حسناته ؛ إلا ما شاء الله ، لأنَّ الموت هو مسك الختام لأعمال العباد ، ومن ثم أنَّ النبي مُحمداً (عليه الصلاة والسلام) يقسم بالله ، وهو الصادق الأمين على أنَّ الإنسان بعد موته لا يؤخذ منه شيء ، ولا ينظر إليه

أحد ، لأنـَّهُ لا عتب ؛ ولا عتاب يوم القيامة ، فالألسُنُ تصمت ، وتكون عاجزة عن النطق ، ويُحشر الإنسان فرداً كما ولدته أمه ، لا يستطيع أنْ يقدم لنفسه شيئاً ، ولا يستطيع أنْ يدفع عنها شيئاً ، فتأكله الحسرة والندامة على ما فرط في جنب الله ، فيتمنى لو لم يقترف الذنوب ، ويرتكب المعاصي ، ولم يركب السيئات ، وأنْ يُرد إلى الحياة الدُنيا ، ليعمل صالحاً ؛ يرضاه الله سبحانه وتعالى ، ويدرأ به عن نفسه ؛ حرَّ نار جهنم (٢٣): **{ وهم يصطرخون فيها ربنا إخراجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل}** وقوله تعالى (٢٤) **:{ فلو أنَّ لنا كرةً فنكونَ من المؤمنينَ}** ثم يختم عليه السلام خطبته قائلاً :(ولا بعدَ الدُنيا من دارٍ إلا الجنة أو النار) فالرسول مُحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هنا يؤكد بما لا يقبل الشك ، أنَّ الإنسان إذا مات وعرض في يوم الحساب ، سيؤول مصيره إلى واحدة من اثنتين لا ثالثة لهما : الجنة أو النار، ومعنى ذلك أنَّ الإنسان مرهون بما قدمت يداه لنفسهِ في الحياة الدُنيا ، فإنْ كان صالحاً ، سيستلم كتابهُ في يمينهِ ، وهو بفضل الله وتوفيقه في الجنة والنعيم ، في عيشة راضية ، وإنْ كان بخلاف ذلك فأمهُ هاوية ، فذلك هو الخسران المبين ، وهو الشقي الذي خسر نفسه ، ولأنَّهُ لم يقدم لها ما كان يجب أنْ يقدمه لها ، فهو إذن في نار حامية .

وعلى الرغم من قصر الخطبة الشريفة ، إلا أنـَّها أدت المطلوب منها بنجاح منقطع النظير ، فأوصلت المطلوب منها إلى كلِّ مسلم ومسلمة ، بوضوحٍ لا لبس فيه ، وهذا القصرُ في الخطبة

ساعد المسلمين على حفظها لتتداولها الأجيال ، وحفزهم على الاستفادة منها في حقل التطبيق ، وقد سُئل أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) ، (٢٥) (هل كانت العرب تُطيل ؟ فقال : نعم ليُسمع منها، قيل فهل كانت تُوجز ؟ قال : نعم ليُحفظ عنها) ، فيما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) (٢٦) : (يطول الكلام ويُكثر ليُفهم ، ويُوجز ويُختصر ليُحفظ) ، وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) (٢٧) : (وجدنا عدد القصار أكثر ، ورواة العلم إلى حفظها أسرع) ، والخطبة بصورة عامة مثلت منهجاً ؛ ودليل عمل مستقيم؛ لمن أراد مرضاة الله ورسوله من خلال العمل الصالح ، ونلحظ أنَّ النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الخطبة لم يعمد إلى السجعة ، وإنْ جاءت ؛ فهي من العفو الخاطر ، وكذلك لم يعمد إلى الصنعة اللفظية أو الرمز والإبهام ، وإنَّما كان أسلوبه مباشراً وواضحاً ، عمد فيه إلى تصوير الموقف بطريقة تؤثر في نفوس السامعين ، فيخاف من يخاف عذاب الله ، ويطمئن المؤمن إلى مصيره في الجنة والثواب (٢٨)، والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يكون في خطبهِ تارة واعظاً ، وتارة أخرى مشرعاً، إلا أنَّهُ في هذه الخطبة الشريفة جمع بين الاثنين ، الوعظ والتشريع في نسيج بلاغي رائع .

وعند إعادة قراءة الخطبة فنياً سنجد أنَّ أبرز سماتها ما يأتي:

١- متانــة التراكيــب ؛ وتنــاغم الألفــاظ ، فقــد جــاءت المفــردات فــي مواضعها الصحيحة مرتبة مثل الأعداد ، لا يتقدمُ عددٍ على آخر ولا يتأخر .

٢- قصر الجمل ، فقد جاءت الجمل على نسق واحد من الطول ، وهي من نوع السهل الممتنع .

٣- جزالة الألفاظ ووضوح المعاني ، أي أنَّ المعاني جاءت على قدر الألفاظ ، من دون زيادة أو نقصان ، وهذا من كمال البلاغة .

٤- ظهور معاني القرآن الكريم مبثوثة في أثناء الخطبة ، فقد اشتركت إثنتين وعشرين آيةً كريمة في شرح وتحليل هذه الخطبة المباركة.

٥- تميزت لغة الخطبة بكونها لغة ترهيب وترغيب ، وهي اللغة التي تحث المسلم على العمل الصالح بمحض إرادته من غير إكراه .

٦- لقد استخدم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) التوكيد في هذه الخطبة ثلاث مرات من خلال استخدام الحرف المشبه بالفعل (إنَّ المشددة) وهي تفيد التوكيد ، (إنَّ لكم معالم ... ، وإنَّ لكم نهاية ... ، إنَّ المؤمن ... فضلا عن استخدامه القسم (فوالذي نفس محمد بيده ...) مما أعطى الخطبة مكانة خاصة ، وأهمية كبيرة في حياة المسلمين المؤمنين .

٧- على الرغم من قصر الخطبة فقد استخدم النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) حرف الجر (من) أربع مرات ، وهو من حروف ابتداء الغاية (٢٩) وحرف الجر (اللام) مرتين ، وهي تعني إلى ؛ وحرف الجر (إلى) مرة واحدة ؛ وهي تفيد الانتهاء ؛ وهي أنْ تكون منتهى

لابتداء الغاية (٣٠) ، (من نفسه لنفسه ... ، ومن دُنياه لآخرته ... ، ومن الشبيبة إلى الكبرة ... ، ومن الحياة قبل الموت ...) فالرسول الكريم جعل لكلِّ جملة نقطة شروع وانطلاق باتجاه الهدف وهو الغاية ، والعمل الصالح هنا يمثل الوسيلة التي يسلكها المسلم المؤمن ، ليصل إلى الهدف المنشود ؛ المتمثل بالجنة .

٨- عالجت الخطبة موضوعاً واحداً ، تمثل في الدعوة إلى العمل الصالح الذي يرضاه الله ، وهو جوهر الإسلام الذي يدعو إليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بإذن ربه ، ليعمر الإنسان الأرض ، وتزدهر الأوطان ، ويعيش الإنسان في أمنٍ وأمان وسلامٍ .

٩- قوة التأثير في نفوس السامعين ، بحيث هيأت الخطبة جواً مقارباً لما ينتظر الإنسان في يوم الحساب ، لكي يتخذ الإنسان قراره النهائي في ضوء قناعته ، وبما تمليه عليه إرادته ، فإنْ كان خيراً ؛ فهو خير له ، وإنْ كان شراً ، فوزره عليه ، وعليه أن يتحمل نتيجة قراره .

وختاماً أقول : هذا قدر استطاعتي في فهم خطبة رسول الله مُحمد (عليه الصلاة والسلام) واستيعابي لها ، فأنْ أصبتُ فيما اجتهدتُ ، فبفضلٍ من الله وتوفيقه ، وإنْ جانبت الصواب فذلك من تلقاء نفسي ، والحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خيرته ؛ من خلقه مُحمدٍ ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين الكرام؛ وصحبه الغر الميامين .

الهوامش:

١- سورة الرحمن الآية : ٦٩

٢- البيـان والتبيـين : ٣٠٢ – ٣٠٣ ، هكـذا وردت مقدمـة الخطبة .

٣- المعلم : المكانة والمنزلة ، أو الطريق الواضح البيين

٤- الكبرة : بالفتح الكبر

٥- سورة النجم الآيتان: ٥٢-٥٣

٦- سورة البقرة ؛ الآية : ٣٠

٧- سورة التين الآية : ٤

٨- السورة القلم الآية : ٤

٩- سورة الشمس الآيتان: ٧-٨

١٠- سورة يوسف الآية: ٥٣

١١- سورة البقرة الآية : ٢٥٦

١٢- سورة الإنسان الآية : ٣

١٣- سورة البقرة الآية : ٣٠

١٤- سورة النجم الآية: ٣٩

١٥- سورة التحريم الآية: ٦

١٦- سورة المؤمنون الآية: ٧٣

١٧- سورة القيامة الآية : ٣٦

١٨- سورة الأنبياء الآية : ١٠٧

١٩- تاريخ الطبري : ٥٥/٢ ، الكامل في التاريخ : ٢/ ٢٥٥٤

٢٠- سورة لقمان الآية : ٣٤

٢١- سورة النجم الآيتان : ٤٠-٤١

٢٢- صحيح مسلم بشرح النووي : ١٥/ ٣١٥ باب القدر

٢٣- سورة فاطر الآية : ٣٧

٢٤- سورة الشعراء الآية : ١٠٢

٢٥- العمدة : ٨٦/١

٢٦- العمدة : ٨٦/١

٢٧- البيان والتبيين : ٧/٢

٢٨- الأمالي في الأدب الإسلامي : ٢٨٥

٢٩- شرح ابن عقيل : ١٥/٣، جامع الدروس : ١٧٤/٣

٣٠- شرح ابن عقيل : ١٧/٣

<u>المصادر والمراجع</u>

القرآن الكريم .

١- الأمالي في الأدب الإسلامي ـ د . ابتسام مرهون الصفار ،مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٩١م .

٢- البيان والتبيين ـ الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق عبدا لسلام هارون ، ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م ، مصر .

٣- تاريخ الطبري – لأبي جعفر الطبري (ت٣١٠هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مصر، (د.ت) .
٤- جامع الدروس - الغلاييني ، راجعه د.عبدالمنعم خفاجه ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ط ٢٢ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م .
٥- شرح ابن عقيل ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل – محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، ط ١٤ ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، مصر.
٦- صحيح مسلم بشرح النووي - مطبعة دار إحياء التراث العربي ، ط٣ ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .
٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - لابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط٤ ، ١٩٧٢م ، الأردن .
٨- الكامل في التاريخ - لابن الأثير (ت٦٣٠هـ) ، ١٩٦٥م، بيروت .

الفصل السابع

الأفكار الحنيفية في القرآن الكريم

من خلال الشعر الذي سبق الإسلام

الأفكار الحنيفية في القرآن الكريم من خلال الشعر الذي سبق الإسلام:

الموارِدُ الثقافية للشاعر العربي قبل الإسلام ، كثيرة ومتنوعة تنبع من منابع متعددة ؛ منها ما هو معلومات عامة تمثلت في معارف البوادي ؛ وثقافة الحواضر ، ومنها ما كان يتناقله أبناء الجزيرة العربية عن آبائهم وأجدادهم ؛ جيلاً بعد جيل من مكارم الأخلاق ، وأخبار الأسلاف ، ولاسيما أخبار الأمم والأقوام والقبائل البائدة التي سكنت الجزيرة العربية قبل العرب ، مثل أقوام نوح ، ولوط ، وتبع ، وقبائل عاد ، وثمود ، وأرم ، وطسم ، وجديس وغيرها فضلاً عمّا تأثروا به من ثقافات الأمم المجاورة لهم ، مثل الفرس والروم والأقباط والأحباش ، علاوة على ذلك ما ترشح عندهم من الثقافات الدينية التي كانت شائعة في الجزيرة العربية مثل الديانات الحنيفية ، وهي ديانة إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، واليهودية ، والنصرانية ، وغيرها من الديانات ، لذلك تعددت موارد ثقافة الشاعر العربي الجاهلي ، وكان للثقافة الدينية دور مهم في إثراء تجارب الشعراء ، ذلك لأنـّها مثلت المعين الأكبر ، الذي رفد الشعراء بكثيرٍ من المفاهيم والمعلومات والأخبار التي أكدها القرآن الكريم عند نزوله ، وكأنَّ الشاعر الجاهلي يُحاكي القرآن الكريم فيما يقول ، وقد ظهر أثر تلك الثقافات الدينية في الشعر العربي الذي سبق الإسلام بصورة واضحة وجلية ، ولو حذفنا أسماء الشعراء ، وعرضنا شعرهم على القراء والنقاد لقالوا : هذا

شعرٌ إسلاميٌ ، وليس لشعراء جاهليون ، لذا فعندما نقرأ الشعر الجاهلي ونتعمق فيه ، نجد كلَّ مكارم الأخلاق التي جاء بها الإسلام، قد تمثلت فيه ، فضلاً عن تأكيد القرآن الكريم ، لِما قاله الشعراء الجاهليون ممن كانوا يعتنقون الديانة الحنيفية ، فالديانة الحنيفية هي الديانة التي جاء بها النبي ابراهيم الخليل (عليه السلام) وذلك بموجب قوله تعالى (١) : { ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً } ، فالحنيف تعني المسلم الذي يتحنَّف عن الأديان (٢) ، أي يميل الى الحق ، وذكر ابن منظور في اللسان أربعة توجيهات أخرى للحنيفية هي كما يأتي (٣) :

١- الحنيف هو الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة ابراهيم عليه السلام .
٢- وقيل هو المخلص .
٣- وقيل هو من أسلم في أمر الله فلم يلتوِ في شيء .
٤- ويقال الحنيف هو من اعتزل عبادة الأصنام ، وقال في الشاعر جران العَوْد النميري (٤) :

ولما رأيْنَّ الصُّبحَ بادرن ضوءَهُ رسيم قطا البطحاء أو هُنَّ أقطفُ

وأدركنَّ أعجازاً من الليلِ بعدما أقام الصلاة العابدُ المتحنَّـــــــفُ

وقال أبو ذؤيب الهُذلي (٥) :

أقامت به كمقام الحنيـ.....ـف شهري جُمادى وشهري صفر (٦)

وكذلك تعني الحنيفية الإستقامة (٧) ، وبصورة عامة الدين الحنيف هو الإسلام ، والحنيفية تعني ملة الإسلام (٨) ، قال ابن عباس (ضي الله عنه) ، قيل لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)(٩): (أيُّ الأديان أحبُ الى الله ؟ قال : الحنيفية السمحة) ، أما في العرف الجاهلي السائد قبل الإسلام فقد كانت الحنيفية تعني كل من تختن وحجَّ (١٠) .

ولنا في هذا البحث البسيط وقفة مع بعض المفاهيم والقيم التي جاءت في الشعر الجاهلي متواردة ومتناصة مع ما جاء في القرآن الكريم ؛ ومنها ما يأتي:

١- قال حاتِم الطائي (١١) :

أمَا وَالذي لا يعلمُ الغيبَ غيرُهُ ويُحيي العظامَ البيضَ وَهِيَ رَميمُ

عندما ندقق النظر في قول حاتِم الطائي ؛ سيتأكد لنا بما لا يقبل الشك أنَّ الرجلَ لم يكنْ مشركاً ؛ ولا وثنياً ؛ بل كانَ من الموحدينَ الأحناف الذين يؤمنونَ باللهِ وحدهُ ؛ لا شريكَ لهُ ، والأحنافُ هم بقايا دين نبي الله إبراهيم الخليل (عليه السلام) ؛ وهم يؤمنون بأنَّه لا يعلم الغيبَ إلا الله وحده ؛ وأنـَّهُ هو وحدهُ يُحيي ويُميت ؛ شأنهم في ذلك شأنُ أصحابُ الديانات السماوية الأخرى ؛ والقرآن الكريم أكدَ هذا التعالق في علم الغيب مع ما قاله حاتِم الطائي ؛ وصدَّقهُ في قوله تعالى (١٢) : **{ عالمُ الغيْبِ فلا يُظهِرُ على غيبهِ أحداً }** ؛ ولكن اللافت للنظر هو أنَّ الشطر

الثاني من قول حاتِم الطائي يتعالق مع القرآن الكريم ؛ ويتطابق معه تماماً ؛ وإذا ما حذفنا كلمة ((البيض)) من الشطر ؛ يصبحُ آيةً كريمةً(١٣) : **{قالَ منْ يُحيي العظامَ وهيَ رَميمٌ}** ؛ فذاك التطابق المطلق يؤكد أنَّ العربَ يعرفون الديانات السماوية ويؤمنُ بها كثيرٌ منهم ؛ وحاتِم الطائي نفسهُ يقسمُ باللهِ قسماً جازِماً، وكأنـَّهُ مسلمٌ ؛ سمِعَ القرآنَ الكريم ، واطلع عليه ، فآمنَ به ؛ علماً أنَّ حاتِم الطائي مات قبل الإسلام بأكثر من سبعين عاماً تقريباً ؛ وهذا زُهير بن أبي سلمى شاعرُ الحكمةِ والسلام ؛ وهو الآخر لم يدرك الإسلام ؛ يؤكد صحة ما قالهُ حاتِم الطائي ؛ ويؤمن به ؛ وذلك بعدَ ما مرَّ زُهيرٌ على شجرةِ عِضاةٍ مُخضرةٍ؛ وكان قد رآها قبل ذلك يابسةً؛ فخاطبها قائلاً (١٤) : (لولا أنْ تسُبني العربُ ؛ لآمنتُ أنَّ الذي أحياكِ بعدَ يَبْسٍ ؛ سَيُحْيي العظامَ وهيَ رميمٌ) ؛ والسين التي جاءت في ((سيُحْيي)) هي لما يُستقبل من الزمان ؛ سواءً كان قريباً أم بعيداً ؛ ومنها نفهم أنَّ زُهيرَ بن أبي سلمى هو الآخر رجلٌ موحدٌ يؤمنُ بالبعثِ والنشور وإحياء الموتى والحساب ؛ ومصداقُ ذلك قوله :

يُؤخرْ فيُوضعْ في كتابٍ فيُدخرْ ليومِ الحسابِ أوْ يُعجلْ فينقمِ

وبذلك وجدنا حاتِم الطائي ؛ ومن بعده زُهير بن أبي سلمى يؤمنان بأنَّ الله سبحانه وتعالى يُحيي الموتى يوم الحساب ؛ وقد أكد زُهير هذه الرؤية مرة ثانيةً في قوله مخاطباً بنيه (١٥) : (لولا

أنْ تفندونَ ؛ لسجدتُ للذي يُحيي الأرضَ بعدَ موتِها) ؛ فمن هو الذي سيُحيى الأرض بعد موتها ؟ أليس هو الله سبحانه وتعالى القائل (١٦) : **{ اعْلمُوا أنَّ اللهَ يُحيي الأرْضَ بعدَ موتِها}** وسوف نقف على تفصيل الشاهد الشعري لزُهير لاحقاً في موضعه إنْ شاء الله في شعر زُهير ؛ وما تقدم يمثل معتقد الموحدين من الأحناف واليهود والنصارى ؛ وأما المشركون من الوثنيين فكانوا يعبدون الأصنام والأوثان ؛ ولا يقرون بعبودية الخالصة لله الواحد الأحد ؛ ولا يؤمنون بالبعث والحياة الأخرى ؛ فوصفهم الله سبحانه وتعالى في قوله (١٧) : **{ إنَّ هؤُلاءِ ليقُولُون ۞ إنْ هِيَ إلا مَوْتَتُنا الأُولى وَمَا نَحْنُ بمُنشَرين }** ؛ وكذلك قال (١٨) : **{ ما هِيَ إلا حياتُنا الدُّنيا نموتُ ونحيا ومَا يُهلكُنا إلا الدَّهرُ...}.**

٢- قال الأعشى (١٩) :

طريفٌ وجبارٌ أصُولهُ عليهِ أبابيلٌ من الطيرِ تنعبُ

هذا البيت من قصيدةٍ هجا بها الأعشى الحارثَ بن وعلة ، ودعا عليهِ بسوءِ العاقبة ؛ كما حدث لأبرهة وجنوده ؛ حينما جمعَ كيدهُ ؛ وأتى ليجتاح مكة المكرمة ؛ ويستبيح ديارها ؛ ويهدمُ الكعبة المشرفة ؛ رمز توحد العرب وعزتهم على الرغم من جاهليتهم ؛ فخيبَ اللهُ سبحانه وتعالى سعيهُ وردَّ كيده إلى نحورِهِ ؛ فجعلهُ مع جيشهِ أشلاءً ممزقة مبعثرة ؛ لتكونَ طعاماً للضواري والجوارح ؛ وذلكَ بعد أنْ سلط عليهم طيرَ الأبابيل ؛

التي أبادتهم عن بكرةِ أبيهم ؛ ولم تغادر منهم أحداً ؛ فجعلتهم خبراً بعد عين ؛ والنعيبُ هو صوتُ الغرابِ ؛ والعربُ تتشاءم من سماع صوت الغراب المرتبط بقصة هابيل وقابيل ابني آدم (عليه السلام) والتي أكدها القرآن الكريم في قوله تعالى (٢٠) : **{فبعثَ اللهُ غُراباً يبحثُ في الأرضِ ليريَهُ كيفَ يُواري سوْءةَ أخيهِ قال يويلتي أ عجزتُ أنْ أكونَ مِثلَ هذا الغُرابُ فأُواري سوأة أخي فأصبحَ مِنَ النادمينَ }** ؛ وهذا المعتقد ارتبط عند الأعشى مع ذكر طير الأبابيل ؛ وهي الطيور التي دمرتْ جيش أبرهة الحبشي حينما هاجمته تلك الطيور؛ وأخذت ترميهم بحجارةٍ ناريةٍ تحرقهم فتخترقهم ؛ فجعلتهم كالعصف المأكول : وقد أكد القرآن الكريم هذا التعالق في سورة الفيل في قوله تعالى(٢١) : **{ وأرسلَ عليهِمْ طيراً أبابيلَ ۞ ترميهِمْ بحجارةٍ من سجيلٍ ۞ فجعلهُمْ كعصفٍ مأكولٍ }** وهذا يعني أنَّ الأعشى والعرب بصورة عامة ؛ يعرفون قصة هلاك أبرهة الحبشي وجيشه بطير الأبابيل ؛ مثلما يعرفون قصة غراب ابني آدم (عليه السلام) ، فالأعشى يؤكد أنَّ مَنْ يتمادى في الظلم والطغيان سيكون مصيره مثل مصير أبرهة وجيشه ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى لا يرضى بالظلم ؛ فهو يُمهل ولا يَهمل ؛ وعلى الإنسان أنْ يأخذ العبرة من قصة أبرهة ، فلا يظلم الآخرين فيندم على ما فرط في حق نفسه فتأكله الحسرة والندامة .

٣- قال الأعشى في وصيته لابنهِ بصير(٢٢) :

ورَبُكَ لا تُشرِكْ بهِ إنَّ الشركَ يحط من الخيراتِ تلكَ البواقِيا

بلْ اللهُ فاعبدْ لا شريكَ لوجههِ يكنْ لكَ فيما تكدحُ اليومَ راعِيـا

كلُّ الديانات السماوية ، وبلا استثناء تدعو لعبادة الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، وتؤكد على اتباعها وعدم الشرك ، لأنَّ الشرك عاقبتهُ وخيمة ، ومن خلال البيتين نفهم أنَّ الأعشى رجل موحد يؤمن بأنَّ اللهَ وحدهُ لا شريك لهُ ؛ على افتراض أنَّ الأعشى يُدين بالنصرانية ؛ لذا فهو يوصي ابنه بصير بتوحيد الله وعدم الشِرْكَ بهِ؛ لأنَّ من يُشرك بالله سيتعرض للعقاب الالهي إنْ آجلاً أم عاجلاً ؛ ومن تلك العقوبات حبس الخيرات ؛ أما إذا كان الإنسانُ موحداً عابداً مخلصاً لله ؛ ولا يشرك به أحدا ، ويبتعد عن عبادة الأوثان والأصنام ؛ فسيجد الله حافظاً له من كل سوء ، وأنَّ الله سيُوسعُ عليه رزقه ؛ وهذا المعنى يتطابق مع وصية لقمان الحكيم لابنه وهو يعظهُ ؛ والتي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى (٢٣) : **{ وإذْ قالَ لقمانَ لابنهِ وهوَ يعظهُ يا بنيَ لا تشركْ باللهِ إنَّ الشركَ لظلمٌ عظيمٌ }** ؛ فمن البيتين نفهم أنَّ الأعشى في وصيته يؤكد تنزيه الله وعدم الشرك به ؛ وعند ذلك سيكون اللهُ حصناً حصيناً للعبد الموحد وسيحميه من كلَّ الشر .

٤- وقال الأعشى أيضاً في وصيته لابنه بصير (٢٤) :

وإياكَ والميْتاتِ لا تقربَنَها كفى بكلامِ اللهِ عنْ ذاكَ ناهيا

الأعشى يحيط إحاطة تامة بوصية لقمان الحكيم لابنه ، وها هو يعيد عليه بعضٍ مقاطعها ، لذلك وجدناهُ يوصيهِ بعدم أكل لحوم الحيوانات الميتة ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى قد حرمها لأسباب صحية تضر بصحة الإنسان ؛ وعلى الإنسان أنْ يبتعد عنها فلا يتناولها ؛ وذلك امتثالاً لأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه ؛ وهذا يعني أنَّ الديانات السماوية كافة ؛ والتي سبقت الإسلام كانت تحرم أكل اللحوم الميتة ؛ أما في الإسلام فقد أكد الله سبحانه وتعالى تحريمها في القرآن الكريم ؛ في قوله تعالى (٢٥) :**{ حُرمَتْ عليكُمُ الميتةَ والدمُ ولحمُ الخنزيرِ وما أهلَ لغيرِ اللهِ بهِ والمنخنقةُ والموقوذةُ والمتردية والنطيحةُ وما أكلَ السبُعُ...}** ؛ فنجد القرآن الكريم قد فصل في أنواع اللحوم المحرمة ومنها الميتة ، وما وصى الأعشى به ابنه يتطابق مع الآية الكريمة السالفة الذكر من حيث الفكر والمضمون .

٥- قال الأعشى (٢٦) :

لوْ أُطْعِمُوا المَنَّ والسَّلْوَى مَكانَهُمُ ما أبْصَرَ النَّاسُ طعْماً فيهمُ نجِعَا

هذا البيت من القصيدة التي مدح فيها الأعشى هوذةُ بن علي رئيس بني حنيفة من قبيلة بكر بن وائل ؛ وذلك بعد توسطهِ لفكاك

أسرى قبيلة تميم الذين كانوا محبوسين في سجن المشقر باليمامة ؛ وذلك بعد استيلائهم على قافلة تجارية فارسية متجهة إلى اليمن ؛ وهؤلاء الأسرى وكما يصفهم الأعشى مرعبون ؛ يسيطر عليهم الخوف والهلع ؛ وينتابهم فزعُ شديد خوفاً من مصيرهم المجهول ؛ الذي سيؤول بهم حتماً إلى الموت ، لذلك لو أُطعِمَ هؤلاء الأسرى المنَّ والسلوى ؛ وهو آمان من الله سبحانه وتعالى ؛ أنزله على قوم موسى (عليه السلام) في قوله (٢٧) : **{.... وظللنا عليهمُ الغمامَ وأنزلنا عليهُمُ المَنَّ والسَلوَى}** ، ما اطمأنوا أبداً ؛ فوجوههم تدل على ذلك ؛ وقد استجاب حاكم اليمامة لطلب هوذة ابن علي فأطلق سراح مائة أسير ؛ منهم الشاعر المعروف ربيعة بن مقروم الضّبي؛ فالتعالق واضح بين الآية الكريمة والبيت الشعري من خلال مفردتي المنِّ والسلوى .

٦- قال أبو قلابة الطابخي الهُذلي (٢٨) :

ولا تقولنَّ لشيءٍ سوفَ أفعلَهُ حتى تبينَ ما يَمْنِي لكَ المَاني

أبو قلابة شاعر جاهلي من قبيلة هُذيل يخاطب قومه ويقول لهم: إذا عزمتم على القيام بأمرٍ ما ؛ فلا تستعجلوا حتى يتبينَ لكم الأمر بوضوح ؛ وأنَّ الأمور كلها معقودة بمشيئة الله سبحانه وتعالى وحده ؛ والماني هو الله عزَّ وجل ؛ والشطر الأول من البيت يتفق روحاً ومعنى مع القرآن الكريم في قول الله تعالى (٢٩) **:{ ولا تقولنَّ لشيءٍ إنـّي فاعلٌ ذلكَ غداً ۞ إلا أنْ يشاءَ اللهُ ...}** ؛ نلحظ

هنا أنَّ رؤية الشاعر قد تطابقت تماماً مع ما أراده الله سبحانه وتعالى ؛ فيما يتناص الشطر الثاني مع قوله تعالى (٣٠) : **{ وَمَا تشاءُون إلا أنْ يشاءُ اللهُ ... }** ؛ ذلك لأنَّ الأمور قد تتغير؛ فلا يستطيع الإنسان الوفاء بما عزم القيام به ؛ وعند ذلك تضيع كلمته؛ وتذهب أدراج الرياح ، وهنا على المتكلم أنْ لا يستعجل الأمور؛ حتى تتضح له بصورة جلية واضحة ؛ لأنـَّها مرتبطة بمشيئة الله وتوفيقه .

٧- قال زُهير بن أبي سلمى (٣١) :

فلا تكتُمنَّ اللهَ ما في نُفوسِـكم ليَخفى ومهما يُكتمِ اللهُ يعلـمِ

يُؤخرْ فيُوضعْ في كتابٍ فيُدخرْ ليومِ الحسابِ أوْ يُعجلْ فينقمِ

زُهير بن أبي سلمى معروفٌ عنه أنـَّهُ شاعرُ الحكمة والسلم ؛ وهو من الشعراء الموحدين الأحناف ؛ ولو لم نكن نعرف أنَّ زُهيراً مات قبل الإسلام ؛ لقلنا أنَّ الشعرَ لشاعرٍ إسلامي ؛ وذلك من خلال الألفاظ التي جاءت في البيتين ؛ فما قاله زُهير يتفق مع قوله تعالى(٣٢) : **{ وإنْ تجهرْ بالقولِ فأنـَّهُ يعلمُ السرَّ وأخفى }** ؛ وكذلك يتفق مع قول رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحديث الشريف : (إذا يخفى عليكَ المرءُ يُنبئكَ فعلهُ) ؛ هذا ما يتعلق بالبيت الأول ، أما ما جاء في البيت الثاني فأنـَّه يتعالق مع قوله تعالى (٣٣) : **{ إنا نَحنُ نُحيي المَوتى ونكتُبُ ما قدمُوا وأثارهُم وكلِّ شَيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مبينٍ }** ، وأما فيما يتعلق بالعقوبات

الأخروية والدنيوية فقد وردت في عدد كبير من الآيات الكريمة ؛ تمثلت في العقوبات التي طالت الأمم التي سبقت العرب والإسلام مثل : قوم عادٍ وثمود ولوط وفرعون وهامان وغيرهم ممن طالتهم تلك العقوبات .

٨- قال زُهير بن أبي سلمى (٣٤) :

فلو كانَ حيٌّ ناجياً لوجدتهُ من الموتِ في أحراسه رَبَّ ماردِ

يقول زُهير لا يستطيع كائن من كان الإفلات من قبضة الموت ، ذلك لأن قبضة الموت تطال جميع الأحياء بلا استثناء ، ولو أحاط الإنسان نفسه بالرجال والحراس وأحكم غلق الحصون المنيعة ، فإنَّ الموت حتماً سيطالهُ ، ولا مفر منه ، وقول زُهير هذا يتعالق مع ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى (٣٥) :

{أينـَمَا تكُونـُوا يُدرِككُمُ المَوْتُ ولو كُنتـُمْ في بـُرُوجٍ مُشَيَّدةٍ} .

٩- قال السِمؤل (٣٦) :

وأتاني اليقينُ أنـَّي إذا مـُـ.....ـتُ وإنْ رُمَّ أعظمي مبعوثُ

السِمؤل شاعر يهودي كان يسكن في تيماء بالحصن الأبلق الذي بناهُ النبي سليمان بن داوود (عليه السلام) ؛ وقد ورثه السمؤل عن آبائه ؛ لأنـَّهُ من سلالة سليمان بن داوود (ع) ؛ وبالمحصلة النهائية فهو رجل موحد يؤمن بأنَّ اللهَ واحدٌ لا شريكَ لهُ ، والسِمؤل ممن يقرأون التوراة ويفقهونها ويحيطون بعلومها وتعاليمها ؛ وهو بذلك هو يؤمن إيماناً مطلقاً بالبعث والنشور ، وأنَّ اللهَ سيبعثُ من في القبور؛ وأنَّ الناسَ كافة سوفَ يُعْرضَون على اللهِ يوم القيامة للحساب ؛ لينال كلَّ

واحدٍ منهم جزاءَهُ الذي يستحق ؛ بما قدمت يداه لنفسه من عمل في دار الدُنيا ؛ و (مبعوت لغة في مبعوث) ولا عجب بعد ذلك من اتفاق هذه الأفكار وغيرها من العقائد الدينية اليهودية التي جاءت في التوراة على لسان السِمؤل ؛ فالتوراة كتابٌ سماوي ؛ أنزله الله على النبي موسى (عليه السلام) ؛ وجاء القرآن الكريم مصدِقاً لما جاء في التوراة ؛ فالقرآن الكريم يعضد ما قاله الشاعر ويؤكده ؛ وذلك في قوله تعالى (٣٧) : **{ وأنَّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأنَّ اللهَ يبعثُ من في القبور}** .

١٠- قال أُمية بن أبي الصلت (٣٨) :

والشهرُ بينَ هلالهِ ومحاقهِ أجلٌ لعلمِ الناس كيفَ يعددُ

لا نقصَ فيهِ غيرَ أنَّ خبيئَهُ قمرٌ وساهورٌ يُسَلُ ويُغمدُ

المقصود بالأجل الذي ورد في الشعر هو الشهر القمري ؛ والساهور هو الغلاف الذي يحيط بالقمر؛ بلْ هو القمر بجزأيهِ المضيءُ والمظلمُ ؛ وكلنا يلحظ القمر في أيامه الأولى عندما يولدُ هلالاً ؛ نرى جزءاً منه أسوداً غير مضيءٍ والجزء الآخر مضيئاً ويسمى هلالٌ : والهلال بمرور الأيام يكبر شيئاً فشيئاً ، حتى يغطي الساهور كله فيكون بدراً ؛ وذلك في منتصف الشهر القمري ؛ ومن ثَمَ يبدأ العد التنازلي والتناقص تدريجيا شيئاً فشيئاً حتى يختفي القمر تماماً ؛ وذلك في اليوم الأخير من الشهر القمري ؛ ويسمى ذلك اليوم بالمحاق ؛ ومنه يولد هلال الشهر القمري الجديد ؛ والشهر القمري كما هو معروف ثلاثون يوماً ؛ يبدأ من المحاق وبه ينتهي ؛

ويستغرق خروج القمر كلياً من الساهور خمسة عشر يوماً ليصبح بدراً ؛ يستغرقُ ذات المدة في الدخول إلى المحاق ؛ وأدوار القمر مع الساهور ؛ تطرق إليها القرآن الكريم في قوله تعالى (٣٩) :**{ والقمرَ قدرناهُ منازلَ حتى عادَ كالعرجونِ القديمِ }** ؛ وهذا اتفاق تام مع ما جاء في القرآن الكريم ؛ وكذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى علم الإنسان حساب الأشهر والسنين من خلال القمر وأدواره ؛ إذ أنَّ كل أدوار القمر من المحاق والى المحاق تمثل شهراً واحداً ؛ وكلّ أثني عشر شهر تمثل سنة ؛ جاء ذلك في قوله تعالى (٤٠) : **{والقمر نوراً وقدره منازلَ لتعلموا عددَ السنينَ والحساب ...}** ؛ وهذا اتفاق آخر وتعالق بين القرآن الكريم والشعر الجاهلي .

١١- وقال أمية بن أبي الصلت (٤١) :

فقلتَ لهُ : يا إذهبْ وهارونَ فادعُوا إلى اللهِ فِرْعَوْنَ الذي كانَ طاغيا

المتكلم هو الله سبحانهُ وتعالى ؛ والمخاطب هو النبي موسى بن عمران ؛ وأخاهُ هارون (عليهما السلام) أمرهُ الله سبحانه وتعالى أنْ يصطحب أخاه هارون ؛ ويذهبا إلى فرعون الذي تجبر وطغى ؛ ويبلغاه رسالة الله سبحانه وتعالى ؛ ويدعوانه إلى سبيل الرشاد ، والحكم بالحق والعدل بين الرعية ، ولا يظلم بني إسرائيل ؛ من قبل أنْ يأتيه يومٌ لا مرد له من الله ؛ وعندئذ لا ينفعه الندم وعض الأنامل؛ فيكون خشبة أو حجارة في نار جهنم ؛ يصلاها مذموماً مدحوراً ؛ وهذا القول جاء متطابقاً مع ما جاء في القرآن الكريم في قوله

تعالى(٤٢) : **{اذهبْ أنتَ وأخوكَ بآياتي ولا تنيا في ذكري ۞ اذهبا الى فرعونَ أنـَّهُ طغى }** .

١٢- قال أمية بن أبي الصلت (٤٣) :

عندَ ذي العرشِ يعرضونَ عليهِ يعلمُ الجهرَ والكلامَ الخفِيا

الشاعر يخاطب قومه ويقول لهم : إنَّ كلَّ ما خلق الله سبحانه وتعالى من إنسٍ وجنٍ وملائكة يعرضون عليه يوم القيامة ؛ وأنَّ اللهَ محيطٌ بعلم كل شيء ؛ ولو أسررتم شيئاً ما في نفوسكم ؛ ولم تبوحوا به لأحد ؛ فأنَّ الله يعلمه وسيحاسبكم عليه يوم القيامة ؛ والشطر الثاني من البيت يتفق مع جاء في قوله تعالى (٤٤) : **{سنقرئكَ فلا تنسى إلا ما شاءَ اللهُ أنـَّهُ يعلمُ الجهرَ وما يخفى }** ؛ وكذلك يتفق مع قوله تعالى (٤٥) : **{ يومئذٍ تعرضونَ عليهِ لا تخفى منكمْ خافية}** .

١٣- قال أمية بن أبي الصلت (٤٦) :

ربِّ كُلاً حتمتهُ واردَ النا .....رِ كتاباً حتمُهُ مقضِيا

الشاعر يؤمن بأنَّ كلَّ ما خلق الله سبحانه وتعالى لابدَّ أنْ يعرض يوم القيامة على النار؛ وليس هناك استثناءٌ لأحد مهما كان ؛ والعرض على النار لا يعني بالضرورة أنْ يكون عقوبة أو الدخول فيها ؛ وإنـَّما هو من باب الإطلاع والمعرفة ؛ والوصول إليها والإشراف عليها لا الدخول فيها ؛ وما قال به الشاعر يتعالق مع ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى (٤٧) : **{ وإنْ منكمْ إلا واردُها كانَ على ربِكَ حتماً مقضِياً }** .

١٤- قال أمية بن أبي الصلت (٤٨) :

يومَ نأتيهِ مثلَ ما قالَ فرداً لمْ يذرْ فيهِ رشداً وغويا

يقول الشاعر في يوم الحشر عندما تأتي الخلائق إلى عرصات القيامة لا تأتي زُمراً ؛ بل يأتون أفراداً كما خلقهم الله أول مرة ، ليس لهم مال ولا أولاد ولا أنصار ؛ فصاحب الخيرات يقف إلى جوار صاحب السيئات ، ولم يتخلف أحدٌ من الخلق أبداً ، بل سيعرضون جميعاً ، وعندئذ سيكون كلاً منهم مشغولاً بنفسه ؛ لا يهمهُ أمرَ غيرهِ، ولا يعنيه ؛ وسيحشر الملوك إلى جوار السوقة كما وعد الله سبحانه بذلك ، لا فوارق بينهم حينئذ ؛ ولن يتخلف عن حضور هذا المشهد كائن من يكون ؛ فكل ما خلق الله سبحانه وتعالى يأتي فرداً كما ولدته أمه ؛ وقول الشاعر يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم(٤٩):**{ وكلهم آتيهِ يوم القيامة فرداً}.**

١٥- قال أمية بن أبي الصلت (٥٠) :

ألا كلُّ شيءٍ هالكٌ غيرَ ربنا وللهِ ميراثُ الذي كان فانيا

ما قاله الشاعر أمية بن أبي الصلت هو من الأفكار التي جاءت في القرآن الكريم والكتب السماوية كافة ؛ فالشطر الأول منه يتناص مع قوله تعالى في الآية الكريمة (٥١) : **{ لا إلهَ إلا هُوَ كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهُهُ }** ؛ الشاعر يقول كل ما خلق الله لابدَ أنْ يهلكْ ، ولا يبقى غير الله جلت قدرته ليرث السمواتِ والأرض ومن عليهما ؛ والمقصود بالفانيا هو ملك السمواتِ والأرض ؛ وهذا التناص جاء متطابقاً حرفياً وفكرياً مع الآية الكريمة ؛ ولكن بتبديل بعض الألفاظ

ليستقيم الوزن للشاعر ؛ فيما يتناص الشطر الثاني مع قوله تعالى(٥٢) : { **ولله ميراثُ السمواتِ والأرض واللهُ بما تعملونَ خبير**}؛ أي أنَّ الله سبحانه وتعالى بعد الصحية الأولى التي تميت الخلائق كافة ؛ لا يبقى حي غيره فهو الوارث الوحيد الذي يرث كلما خلق ؛ لأنه هو من خلق الخلائق فالملكُ يومئذ لله وحده .

١٦- قال أمية بن أبي الصلت (٥٣) :

دعـا ابنهُ نـوحٌ ألا اركبْ فإنني دعوتـُكَ لما أقبلَ الماءُ طاغيا

فقالَ سأرقى فوقَ أعيطٍ حالــقٍ فقال لهُ : لســتَ الغدية ناجيا

هذه النتفة تمثل تسجيلاً للحوار الذي جرى بين نبي الله نوح (عليه السلام) وابنه كنعان وقيل يام (٥٤) ؛ وذلك بعد أنْ أرسلت السماءُ مطرها مدراراً لعدة أيام ؛ وغمر الماءُ وجه كلَّ شيء ، حتى لم يُعد يُرى سوى وجه الماء ؛ هنا نادى نوحٌ (عليه السلام) ابنه بعاطفة الأبوة مشفقاً عليه من الغرق ، أنْ اركبْ معنا في السفينة ؛ ولكنَّ الكفر والضلال أبيا أنْ يفارقا ذلك الابن الضال ؛ فأجاب قائلاً: أنـَّهُ سيرتقي الجبل المجاور لهم ؛ فيكون في مأمنٍ من الماء والغرق؛ ولكن مشيئة الله سبحانه وتعالى وإرادته أرادت أنْ يـُغرق الكافرين كافة ، ولا ينجو منهم دياراً ؛ فيموتوا جميعاً غـرقى ، لينقطع هذا النسل الكافر ، ويؤول مصيرهم إلى جهنم وبئس المهاد ؛ ومع ذلك أخبر نوح (عليه السلام) ابنهُ أنـَّهُ لا ينجو ولا يسلم من الغرق إلا من رحمه الله ، وما جاء في القرآن الكريم هو قوله تعالى(٥٥) : { **وهي تجري بهم في موجٍ كالجبالِ ؛ ونادى نوحٌ**

ابنهُ؛ وكانَ في معزلٍ ؛ يا بنيُ اركبْ معنا ولا تكنْ معَ الكافرينَ ۞ قالَ سآوي إلى جبلٍ يعصُمُني منَ الماءِ ؛ قالَ لا عاصمَ اليومَ من أمرِ اللهِ إلا من رحِمْ ؛ وحالَ بينهما الموجُ فكانَ من المغرقينَ}؛
وهذه الآيات الكريمات تتناص مع ما قال به الشاعر أُمية .

١٧- قال النابغة الذبياني (٥٦) :

والمـُؤَمِنُ العائذاتِ تمسحُها ركبانُ مكة بين الغـَيلِ والسندِ

المُؤَمِنُ هو الله جلَّ جلالهُ الذي منح الأمن والآمان لكل المخلوقات في الحرم المكي ؛ والعائذات هي الطيور التي تلجأ إلى مكة المكرمة بحثاً عن الأمن والطعام الذي يقدمه لها الحجيج ؛ وسميت تلك الطيور بالعائذات لأنها إلتجأت إلى بيت الله الحرام طلباً للآمان ، علماً أنـَّها أمنت فطرياً وعفوياَ بأنَّ الله سبحانه وتعالى سيحميها ؛ وفعلاً فقد حرم الله صيدها وتهيجها أنْ تخاف ؛ فيصيبها الرعب والخوف ؛ وركبان مكة ؛ هم الحجيج الذين يقصدون مكة لزيارة بيت الله الحرام ؛ لأداء مناسك الحج أو العمرة ؛ والتحريم هنا يخص المُحرِمُون الذين عقدوا النية على الحج أو العمرة ؛ وقد حدد النابغة الذبياني المنطقة المحرمة بين (الغـَيل والسند) وهي المنطقة المحصورة بين مكة المكرمة ومِنى ؛ وهما أجمتان معروفتان عند الحجيج ؛ وهذه المنطقة المحرمة متعارف عليها عند العرب وزوار بيت الله الحرام في الجاهلية ؛ وجاء الإسلام فأكدها ؛ وما قال به النابغة يتفق مع القرآن الكريم في قوله تعالى (٥٧) : **{ يا أيـُّها الذينَ امَنـُوا لا تـَقـْتـُلـُوا الصَّيْدَ وَأنتـُمْ حُرُمٌ ... }** .

١٨- قال النابغة الذبياني (٥٨) :

إلا ســـــليمانَ إنْ قال الإلهُ لهُ قمْ في البريةِ احددها عن الفندِ

وخيسَ الجنَّ إني قد أذنتُ لهم يبنونَ تدمرَ بالصفاحِ والعمـــدِ

سليمان هو نبي الله بن النبي داوود (عليهما السلام) كان نبياً وملكاً أعطاهُ الله ملكاً لم يعطِ مثلهُ لنبيٍ أو ملكٍ ممن خلق ؛ إذ كان كل شيء في الوجود مسخر في خدمته وبإمرته ؛ فقد أمره الله أن يقيم مملكته على أساس العدل والحق وينشر المساواة بموجب تكافؤ الفرص بالحق بعيداً عن الظلم والتعسف ، وأحددها أي احدوها بالحق والعدل ، وعندما عزم سليمان على بناء مدينة تدمر سخر الله سبحانه وتعالى له الجنَّ يبنونها بالأحجار العريضة والسواري من الرخام ؛ وهذا يتعالق مع ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى (٥٩) : **{.. وَمِنَ الجنِّ منْ يعملْ بينَ يديهِ بإذنِ ربهِ ... }** .

١٩- قالت الخنساء تحرض بني سُليم وعامراً على غطفان لقتلهم أخاها معاوية (٦٠) :

لا شيءَ يبقى غيرَ وجهِ مليكنا ولستُ أرى حياً على الدَّهرِ خالداَ

معاوية بن الشريد السُلمي أخو الخنساء غير الشقيق ؛ قتله حرملة بن هاشم في غزوة جرت بين الطرفين ؛ ولما رأت الخنساء بطءَ قومِها في طلب ثأر أخيها ؛ قالت تحرضهم وتحضهم ، وتحرض معهم حلفائهم من بني عامر للأخذ بثأر معاوية من حرملة وقبيلة غطفان ؛ فالخنساء تقول لهم : لِمَ هذا التباطؤ والتخاذل ؟ أهو خوفاً من الموت فهو سيطالكم إنْ عاجلاً أم آجلاً ، فكلّ مخلوق لابد

أنْ تطالهُ يدُ الموت مهما طال عُمُرُهُ وامتد ؛ والاستثناء الوحيد هو مليكنا ؛ وأرادت بذلك الله سبحانه وتعالى القاهر فوق عباده ؛ وما قالته الخنساء يتطابق مع القرآن الكريم في قوله تعالى (٦١) : **{ كُلُّ منْ عليها فانٍ ۞ وَيَبقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإكرامِ }** .

٢٠- وقالت الخنساء ترثي أخاها صخراً (٦٢) :

ألا ليت أمّي لم تلدنِي سوِيةً وكنتُ تراباً بينَ أيدي القوابِلِ

تتمنى الخنساء لو أنَّ أمها ولدَتها ميتة ؛ ولم تشهد اليوم الذي قُتل فيه أخاها صخر بن الشريد ، فتعيش تلك الفاجعة والمأساة الأليمة ؛ فكانت تتمنى لو أنها كانت تراباً عند ولادتها ولم تعش فترى ما ترى ؛ ولا يتمنى الإنسان مثل هذه الأماني ؛ إلا عندما يكون في أسوأ حالاته ، فلا يحسدُه أحد ؛ فهذه المواقف لا تغيظ عدواً ؛ ولا تسرُ صديقاً ؛ وهذه الأمنية تتناص مع أماني الكفار يوم القيامة ؛ حين يستلمون كتبهم في شمائلهم ويساقون إلى جهنم زُمراً ؛ وقد صور القرآن الكريم أمنيتهم هذه في قوله تعالى (٦٣)**:** **{ويقولُ الكافرُ : يا ليتني كُنتُ تـُراباً }** ذلك لأنَّ الله سبحانه وتعالى سيحول المخلوقات كافة ؛ والتي لا تـُعرض في عرصات القيامة إلى ترابٍ ؛ مثل البهائم والجراثيم ؛ فالكافر يتمنى لو كان بهيمة أو جرثومة ؛ ولا يرى خِزيَ العذاب وذل المقام ؛ وكذلك تمنت الخنساء لو أنـَّها كانت تراباً ؛ ولم تشهد فاجعة مقتل أخيها صخر ابن الشريد السلمي .

٢١- قال إياس بن مالك الطائي (٦٤) :

كِلا ثعلبَيْنا طامعٌ بغُنيةٍ وقدْ قَدَرَ الرحمنُ ما هوَ قادرُ

يقول إياس بن مالك على الإنسان أنْ لا يطمع في شيءٍ ذلك لأنَّ الأمورَ كافة ؛ تجري بمشيئة الله سبحانه وحده ؛ فهو الذي قدر الأقدار على خلقه ؛ وهي ستنطبق عليهم في حياتهم الدُنيا ، وأنَّ ما يريده الله هو الذي سيطال الإنسان إنْ شاء أم أبى ، وما ذهب إليه إياس يتفق مع قوله تعالى (٦٥) : **{ إنَّ اللهَ بالغٌ أمرهُ وقدْ جعلَ لكلِّ شيءٍ قدراً }** .

٢٢- قال قيس جُروَة الطائي (٦٦) :

فلا تهزئي منا ولا تتعجبي فلستُ أرى فيما قضى اللهُ ليَ بُدا

يؤكد قيس بن جروة أنَّ الإنسان في حياتهِ مُسيرٌ وغير مُخير ؛ ولو كان الأمر بيده لاختار لنفسه الأفضل والأحسن ؛ ولكن الأمر خارج ارادته ؛ فهو بيد الله سبحانه وتعالى وحده ؛ وعلى الإنسان أنْ يرضى بما قدر الله له ، وهذا الكلام يتعالق مع قوله تعالى (٦٧) : **{وما كانَ لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسولهُ أمراً أنْ يكونَ لهم الخيرةِ من أمرِهم }**، فالإنسان ومهما عمل جاهداً ، فلن يستطيع أنْ يفر مما كتب الله له فهو لاقيه ؛ وما عليه إلا القبول بما قدر الله سبحانه وتعالى له .

٢٣- قال خُباب بن عَدي الطائي (٦٨) :

وأرمي بنفسي في فروجٍ كثيرةٍ وليسَ لأمرٍ حمهُ اللهُ صارفُ

يقول خُباب يضع الانسانُ نفسه في مآزق مهلكة ومتعددة ؛ لأسباب مختلفة ومتنوعة ؛ ومع ذلك يكتب اللهُ له السلامة فيخرج منها سالماً معافى ؛ ذلك لآنَّ أمر الله سبحانه هو قدرٌ مقدرٌ ؛ فهو وحده يرمي به من يريد من عباده ويصرفه عمن يشاءُ ؛ لهُ الأمرُ من قبل ومن بعد ؛ وهذا النوع من التفكير والرؤية يتطابق مع قوله تعالى (٦٩) : **{فيصيبُ بهِ منْ يشاءْ ويصرفهُ عمنْ يشاءْ }.**

٢٤- قال خُفاف بن عبدالله الطائي (٧٠) :

أرهبُ اليومَ إنْ تأتى عليَ صيحةٌ مثلَ صيحةِ الأحقافِ

خُفاف رجلٌ موحدٌ يخاف الله سبحانه ؛ ويخشى على نفسه من أنْ يعاقبه الله إذا ما تمادى في غيه وعصيانه ؛ فهو ينذر نفسه من سوء العاقبة ؛ لأنَّ الله يُمهل ولا يَهمل ، فهو سيحاسب إنْ آجلاً أم عاجلاً ؛ لذلك فهو يخاف أنْ يُسْمِعَهُ الله صيحةً مثل صيحةِ أهل الأحقاف ؛ وهم قومُ عادٍ لما عصوا أمر ربهم ؛ ولجوا في تمردهم وعصيانهم وطغيانهم ؛ فأخذتهم الصيحةُ ، وأصبحوا جاثمين في ديارهم لا حراك لهم ؛ فأصبحوا خبراً بعد عينٍ ؛ وهذا الإيمان يتطابق مع قوله تعالى (٧١) **:{ واذكر أخا عادٍ إذ أنذرَ قومَهُ بالأحقافِ ... }** وكانت نتيجة الإنذار أنْ أخذتهم الصيحة (٧٢) في قوله تعالى : **{ فأخذتهم الصيحةُ بالحق ... }** أي عاقبهم الله على سوء أعمالهم ؛ فأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

٢٥- قال ملحان الطائي (٧٣) :

وأبيضُ مجتابٌ إذْ الليلُ جنَّهُ رعى حذر النارِ النجومَ الطوالعا

إذا استثقل الأقوامُ نوماً رأيتهُ حذارِ عقاب الله ؛ للهِ ضـــارِعـــا

يقول ملحان على المؤمن الموحد لله عندما يقف في جوف الليل بين يدي الله أنْ يكون قلبه مثل الثوب الأبيض خالٍ من الذنوب ؛ وعليه أنْ يتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أنْ يجنبه النار في ليل ملأت سماءه النجوم ؛ وملحان في الوقت يتضرع إلى الله أنْ يدرأ عنه حر نار جهنم ؛ فالناس يغطون في نوم عميق ؛ وهم في غفلة لا يدرون ما يجري حولهم ، وهو مسهدٌ حذرٌ من عقاب الله ؛ فهو يدعوه ويتضرع إليه خفية ؛ لكي يجنبه شرَّ ذلك المشهد الرهيب ؛ وهذه الرؤية التوحيدية تتطابق مع القران الكريم في عدة آيات هي(٤٢) : **{ وَمَنَ اليلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلة...}** ؛ **وقوله تعالى** (٧٥) : **{واذكُرْ رَّبَّكَ في نَفْسِكَ تَضَرُّعَاً وخيفة ...}** ؛ **وقوله تعالى** (٧٦) : **{ادعُوا رَبكُمْ تضَرُّعاً وَخُفْيَة...}** .

٢٦ـ قال زُهير بن مسعود الضبّي (٧٧) **:**

للعنكبوتِ بهِ بيتٌ بهِ واهٍ دعائمُهُ الطرفاءُ والحبقُ

أشار الشاعر زُهير بن مسعود الضبّي في هذا البيت الشعرى الى أنَّ بيت العنكبوت ؛ من البيوت الهشة الساذجة والبسيطة ؛ التي لا تقوى على الصمود ؛ فوصفهُ بالبيت الواهن ؛ وهذا المعنى يتعالق مع قوله تعالى في القرآن الكريم (٧٨) : { **وإنَّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت}**؛ والوهن هو الضعف .

الخاتمة :

بعد الاطلاع على عدد من الأبيات الشعرية الجاهلية التي تطابقت مع القرآن الكريم وتعالقت معه ؛ وجدنا أنَّ الشعراء الجاهليين الذين اتفق شعرهم مع القرآن الكريم كانوا من الأحناف الموحدين ؛ فضلاً عن أنَّ الشعراء الجاهليين والعرب بصورة عامة كانوا مطلعين على الديانات السماوية اليهودية والنصرانية وأخبار الأمم التي سبقتهم ؛ بل كان عدد كبير منهم على اليهودية مثل السموأل ؛ كما كان الأعشى الكبير ، وأمية بن أبي الصلت كانا على النصرانية ؛ لذلك لا نستغرب أنْ وجدنا مفاهيماً وقيماً وتعاليماً إسلامية مبثوثة في أشعارهم ؛ وفي الوقت نفسه ننفي عن العرب صفة الجهل ، والتي عُرِفَ بها عصرهم ؛ فالجاهلية عند العرب قبل الإسلام ؛ تعني جهلهم في الدين لا غير ؛ لأنَّ سوادهم الأكبر كان يعبدُ الأصنام والأوثان ؛ وهي حجارة لا تضر ولا تنفع ؛ وآخر دعوانا أنْ الحمد لله وصلى الله على حبيبه المصطفى وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين وسلم تسليما كثيراً .

الهوامش :

١- سورة آل عمران الآية : ٦٧

٢- معجم لسان العرب ، مادة : حنف

٣- المصدر السابق نفسه

٤- ديوانه : ٦٣

٥- أشعار الهذليين : ١ / ٨٣

٦- شهري صفر : أراد المحرم الحرام وصفر

٧- معجم لسان العرب ، مادة : حنف

٨- المصدر السابق نفسه

٩- مسند أحمد بن حنبل ، رقم الحديث : ٢١٠٧

١٠- معجم لسان العرب ، مادة : حنف

١١- ديوانه : ١٨٤

١٢- سورة الجن : الآية ٢٦

١٣- سورة يس : الآية ٧٨

١٤- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : ٢٧٧/٢

١٥- جمهرة أشعار العرب : ١ / ٧٠

١٦- سورة الحديد ؛ الآية : ١٧

١٧- سورة الدخان ؛ الآيتان : ٣٤-٣٥

١٨- سورة الجاثية ؛ الآية : ٢٤

١٩- ديوانه : الآية ٣١

٢٠- سورة المائدة ؛ الآية : ٣١

٢١- سورة الفيل الآيات : ٣ - ٥

٢٢- ديوانه : ١٩

٢٣- سورة لقمان : الآية : ١٣

٢٤- ديوانه : ١٩٨

٢٥- سورة المائدة : الآية ٣

٢٦- ديوانه : ١٠٨

٢٧- سورة الأعراف : الآية ١٦٠
٢٨- شرح أشعار الهذليين : ٢/ ٧١٣
٢٩- سورة الكهف : الآيتان : ٢٣-٢٤
٣٠- سورة الإنسان ؛ الآية : ٣٠
٣١- ديوانه : ١٨
٣٢- سورة طه :الآية ٧
٣٣- سورة يس : الآية ١٢
٣٤- ديوانه : ٢٣٦
٣٥- سور النساء : الآية ٧٨
٣٦- ديوانه : ٨١
٣٧- سورة الحج : الآية ٧
٣٨- ديوانه : ١٨٤
٣٩- سورة يس : الآية ٣٩
٤٠- سورة يونس : الآية ٥
٤١- ديوانه : ٣٩٦
٤٢- سورة طه : الآيتان ٤٢-٤٣
٤٣- ديوانه : ٣١٣- ٣١٤
٤٤- سورة الأعلى الآية : ٧
٤٥- سورة الحاقة ؛ الآية : ١٨
٤٦- ديوانه : ٣١٤
٤٧- سورة مريم الآية : ٧١

٤٨- ديوانه : ٣١٤

٤٩- سورة مريم : ٩٥

٥٠- ديوانه : ٣١٦

٥١- سورة القصص الآية : ٨٨

٥٢- سورة آل عمران الآية : ١٢٨

٥٣- ديوانه : ٣١٨

٥٤- مجمع البيان : ٥ / ٢١١

٥٥- سورة هود الآيتان : ٤٢ ـ ٤٣

٥٦- شرح الأشعار الستة الجاهلية : ٢٥٢

٥٧- سورة المائدة : ٩٥

٥٨- شرح الأشعار الستة الجاهلية : ٣٤٢ ـ ٣٤٣

٥٩- سورة البقرة الآية : ١٠٢

٦٠- الخنساء : ٣٧

٦١- سورة الرحمن الآيتان : ٢٦ ـ ٢٧

٦٢- الخنساء : ١٢٢

٦٣- سورة النبأ الآية : ٤٠

٦٤- شعر طيّء : ٢١٨/١

٦٥- سورة الطلاق : ٣

٦٦- شعر طيّء : ٢/ ٥٥٠

٦٧- سورة الأحزاب الآية : ٣٦

٦٨- شعر طيّء : ٥٦٧/٢

٦٩- سورة النور الآية : ٤٣

٧٠- شعر طيّء : ٥٨٦

٧١- سورة الأحقاف : ٢١

٧٢- سورة المؤمنون الآية : ٤٣

٧٣- شعر طيّء : ٦٩٢/٢ ؛ وملحان هو ابن خال عَدي بن حاتِم لأنـَّهُ ابن أخ ماوية زوج حاتِم الطائي ؛ ينظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : ٣٨

٧٤- سورة الإسراء الآية : ٧٩

٧٥- سورة الأعراف الآية : ٢٠٥

٧٦- سورة الأعراف الآية : ٥٥

٧٧- شعر زُهير بن مسعود الضبّي : ٧٧

٧٨- سورة العنكبوت الآية : ٤١

المصادر

- القرآن الكريم .
- أمية بن أبي الصلت : حياته وشعره – دراسة وتحقيق د. بهجة عبدالغفور الحديثي ؛ ط٢ ؛ طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ؛ ١٩٩١م ؛ بغداد .
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : محمود شكري الألوسي ؛ شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري ؛ ط٣ ؛ (د.ت ؛ د. م) .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب – للثعالبي (ت٤٢٩هـ) ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ؛ دار المعارف بمصر ؛ (د. ت) .
- جمهرة أشعار العرب – لأبي زيد القرشي ؛ شرحه وقدم له علي فاعور ؛ ط١؛ دار الكتب العلمية ؛ ١٩٨٦م ؛ بيروت .
- الخنساء – شرح ديوان الخنساء مع أهم أخبارها - شرح وتقديم إسماعيل اليوسف ؛ منشورات دار الكتاب العربي ؛ دمشق – سوريا د.ت . .
- ديوان الأعشى – شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ،١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

- ديوان جران العود النميري – صنعة أبي جعفر محمد بن حبيب ، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السُّكري ، تحقيق وتذييل د.نوري حمودي القيسي ، دار الرشيد ، ١٩٨٢م ، بغداد .
- ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي وأخباره – صنعة صالح بن مدرك الطائي ، رواية هشام بن محمد الكلبي ، دراسة وتحقيق د. عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني ، القاهرة ، (د.ت).
- ديوانا عروة بن الورد والسموْأل – دار صادر ؛ بيروت ؛ د.ت .
- شرح الأشعار الستة الجاهلية – للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي ؛ تحقيق ناصيف سليمان عواد ؛ الجمهورية العراقية ؛ وزارة الثقافة والفنون ؛ ١٩٧٩م ؛ بغداد .
- شرح أشعار الهذليين – صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت٢٧٥هـ) ؛ حققه عبد الستار أحمد فراج ؛ وأحمد محمود شاكر؛ مكتبة دار العروبة ؛ مطبعة المدني ؛ القاهرة ؛ ١٩٦٥م .
- شعر زهير بن أبي سلمى – صنعة الأعلم الشنتمري ؛ تحقيق د. فخرالدين قباوة ؛ منشورات دار الآفاق الجديدة ؛ ط٣ ؛ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ؛ بيروت.

- شعر طيءٍ وأخبارها في الجاهلية والإسلام – جمع وتحقيق ودراسة د.وفاء فهمي السنديوني ؛ العلوم للطباعة والنشر؛ ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ؛ الرياض .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – لابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) ؛ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ؛ دار الجيل ؛ ط٤ ؛ ١٩٧٢م ؛ بيروت .
- مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد السابع والستين الجزء الثالث لسنة ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠ م ، بغداد ((شعر زهير بن مسعود الضبّي)) .
- مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم – للطبرسي ؛ وضع حواشيه وخرج آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين ؛ منشورات دار الكتب العلمية ؛ ط١ ؛ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ؛ بيروت – لبنان .
- مسند أحمد بن حنبل – تحقيق شُعيب الإرناؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٩م ، بيروت .
- المعلقات السبع – برواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ؛ إعداد ومراجعة عبدالعزيز محمد جمعة ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ؛ الكويت .

فهرس المحتويات

الآيـــــــــة	٣
الإهـــــــداء	٤
المقدمـــــــة	٥
الفصل الأول - صورةُ الرسول الأعظم كما رسمها القرآن الكريم :	٩
الفصل الثاني – كبائرُ الذَّنوبِ كما حددَها القرآن الكريم :	٣١
الفصل الثالث – العقوبةُ القرآنية منهجٌ تربويٌّ لإصلاحِ الفرد والمجتمع :	٧٧
الفصل الرابع – الصيحةُ في القرآن الكريم :	١٠١
الفصل الخامس – الصاعقةُ في القرآن الكريم :	١٤١
الفصل السادس – الخطبةُ النبوية الشريفة امتداد للقرآن الكريم :	١٦٩
الفصل السابع – تناصُ الشعرُ الجاهليُّ مع القرآنِ الكريم :	١٨٩
فهرس المحتويات	٢٢٠